مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث عشر - السنة السابعة. المحرم ١٤٤٤هـ/أغسطس ٢٠٢٢م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث عشر - السنة السابعة. المحرم ١٤٤٤هـ/أغسطس ٢٠٢٢م



مجلة تدبر

٤٦٤ ص ، ١٧×٢٤سم

رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨

بتأريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨

ردمد: ١٦٥٨-٧٦٤٢

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًّا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٧١١٩

المدينة المنورة ٤١٤٦٢

+966 50 30 72 333

info@tadabburmag.sa

http://www.tadabburmag.sa

@tadabburmag

إدارة وتشغيل مكتب

خبرات طيبة للبحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

- مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

- أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

- أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

- أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:
  - التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
  - تعليم تدبر القرآن الكريم.
  - الاستنباط من القرآن الكريم.
  - المقاصد القرآنية.
  - المناسبات القرآنية.
  - الإعجاز القرآني.
  - البلاغة القرآنية.
  - الموضوعات القرآنية.
- ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- ثالثًا: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

◆ أولًا: طبيعة المواد المنشورة :

تَهدف المجلة إلىٰ إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ علىٰ أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

◆ ثانيًا: الإجراءات العلمية لتقديم البحث :

١- أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلىٰ أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

- اللغة العربية لغة النشر الأساسية في المجلة، (مع إمكانية تنوع مشترك مع لغة أخرىٰ).

◆ ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٥) صفحة.
- هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلىٰ، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها علىٰ حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.
- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي علىٰ: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية)

المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- تقديم استمارة أو صفحة يشير فيها الباحث إلىٰ علاقة بحثه بمجالات النشر في المجلة.
- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

رابعًا: كَيفيَّةُ تَوثِيقِ المَرَاجِعِ:

يُوثِّقُ البَاحِثُ المَرَاجِعَ فِي نِهَايَةِ البَحْثِ حَسَبَ النِّظَامِ التَّالِي:

- إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسىٰ؛ محمد بن عيسىٰ. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فنوع الرسالة

(ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلىٰ ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيُّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.
- رومنة المصادر والمراجع نهاية البحث بالأحرف اللاتينية وفق نظام التوثيق (Apa).

خامسًا: بيان مسار البحث المُقدَّم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرىٰ حتىٰ تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلِي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّتِه للتحكيم، أو رفضه.

٣- إِطْلَاعُ الباحث علىٰ خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- متوسط مدة تحكيم البحث من شهر إلىٰ شهرين (٣٠: ٦٠ يومًا)، ومتوسط مدة نشر البحث في أعداد المجلة من ستة أشهر إلىٰ سنة.

٥- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٦- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرىٰ بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٧- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٨- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّر بالضرورة عن رأيِ المجلة.

٩- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه، وإن لم تتوفر المستلات فيعطىٰ خمس نسخ من العدد كاملًا.

بفضل الله وتوفيقه حصلت مجلة تدبر على المرتبة الأولى على المستوى العربي لعام (٢٠٢١م) في معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي (أرسيف arcif) من بين (٧٩) مجلة في تصنيف الدراسات الإسلامية. وحصلت على المرتبة (٦٢ مكرر) من بين (٨٧٧) مجلة في معامل أرسيف.

المَوَادّ العِلْمِيّة المنشورة في المَجلّة تُعَبِّر عن آراءِ أصحابها

مسيرة المجلة

من ١٤٣٨: ١٤٤٤ الموافق: ٢٠١٦: ٢٠٢٢

- صدر من المجلة ثلاثة عشر عددًا، من المحرم من عام ١٤٣٨هـ إلىٰ المحرم ١٤٤٤هـ.
- اشتملت الأعداد علىٰ (٦٣) بحثًا علميًّا محكمًّا.
- بالإضافة إلىٰ ملخصات مترجمة باللغة الانجليزية - و(٣٩) تقريرًا عن رسائل ومشاريع علمية في تدبر القرآن - وتقارير مؤتمرات وملتقيات دولية في الدراسات القرآنية.
- تنوعت الأبحاث حول مجالات المجلة الثمانية.
- صدر عن المجلة كشاف لكافة أعداد وأبحاث وتقارير المجلة.
- بلغ عدد البحوث الواردة للمجلة (٢٠٠) بحثًا علميًّا، من (١٢) دولة، بلغ عدد المحكمين (١٥٠) محكِمًا من (١٥) دولة في العالم.
- أهدت المجلة (٣٥٠٠) نسخة من أعدادها للجامعات والمراكز العلمية المتخصصة والمكتبات.

◆ الاعتمادات المحلية والدولية:

- حصلت المجلة علىٰ الاعتماد الأكاديمي من جامعات محلية وعالمية.
- كما للمجلة رقم دولي issn 1658-7642

ورقم إيداع: ISBN: 1438/5883

- كما حصلت علىٰ معيار معامل التأثير العربي من عام (٢٠٢١:٢٠١٧).
- كما أقامت المجلة ورشتي عمل لتطويها علميًا وإداريًا وبحضور نخبة مميزة من المتخصصين في الدراسات القرآنية.
- بلغ عدد الفوائد المنشورة (١٠٠٠) فائدة منتقاة من أبحاث المجلة.
- وبفضل الله حققت المجلة انتشارًا واسعًا ومقبولًا في مواقع التواصل الاجتماعي، حيث بلغ عدد متابعي المجلة علىٰ المنصات كالتالي:
  - (١٠ آلاف) متابع = تويتر
  - (٦آلاف) متابع = الفيس بوك
  - (٧٠٠) متابع = تليجرام
  - (١٢٠٠) متابع = انستقرام
- تجاوزت عدد المشاهدات لمنشورات المجلة (٣ملايين) مشاهدة.
- بلغ عدد زوار موقع المجلة لـ(٤٠٠) ألف زائر
- **سعت المجلة لاشتراطات الاعتماد الدولي فكانت للمجلة:**
  - هيئة تحرير متنوعة.
  - هيئة استشارية محلية ودولية.
  - أعداد منتظمة الصدور.
  - اشتراطات فنية ملتزمة بها في المجلة في أعدادها.
  - محكمون متنوعون محليًا ودوليًا.
  - التزام المجلة بنشر كافة الأعداد علىٰ الموقع الالكتروني.

- للمجلة قواعد وأخلاقيات لنشر الأبحاث.

- يسعدنا استقبالنا لأبحاثكم العلمية المتصلة بتدبر القرآن لتحكيمها ونشرها في المجلة طوال العام ودون توقف؛ وذلك من خلال بريد المجلة الإلكتروني:

info@tadabburmag.sa

- كما يسعدنا اطلاعكم لأعداد المجلة مجانا من خلال زيارة موقعنا الإلكتروني:

www.tadabburmag.sa

- ويمكنكم التواصل معنا من خلال حساباتنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

@tadabburmag

- أو التواصل عبر الرقم التالي.

٠٠٩٦٦٥٠٣٠٧٢٣٣٣

مجلة تدبر

معًا لتحكيم ونشر الأبحاث العلمية في تدبر القرآن،

بأبحاثكم ومشاركتكم ينتشر علم تدبر القرآن.

المحتويات

مجلة تدبر





افتتاحية العدد

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، أنزل الكتاب المبين؛ هدًى للمتقين، ورحمةً للناس أجمعين، وهو مباركٌ علىٰ من تدبر آياته وتذكر بها واستجاب؛ فكان من أُولي الألباب.

والصلاة والسلام علىٰ نبيِّنا محمد ﷺ، الذي عاش عابدًا لربه، ومتدبرًا لكتابه، ومبينًا لمقاصده، وداعيًا إلىٰ هداياته؛ حتىٰ صار القرآن خُلقه وهديه وقوله وفعله وحياته. وتبعه علىٰ ذلك الآل والأصحاب، رضي الله عنهم أجمعين.

أما بعد؛

فنضع بين أيدي قرَّاء **مجلة تدبُّر** العدد **الثالث عشر**، وقد تضمَّن خمسة أبحاث متصلة بتدبر القرآن الكريم، متنوعة المجالات.

منها: دراسة عن تدبر القرآن الكريم عند عَلَم من أعلام التفسير، هو الشيخ **عبد الرحمن السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ. ودراسة عن استنباط دلالات الآيات الكونية من خلال **تفسير ابن عاشور** «التحرير والتنوير»، وجاءت عينة الدراسة في سور المفصل التي تكثر القراءة بها في الصلوات الجهرية. ودراسة بلاغية عن أسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم. ودراسة موضوعية عن **حال الإنسان من العدم إلىٰ دار الجزاء** في سورة الإنسان. ثم دراسة موضوعية عقدية عن **الملة في القرآن الكريم**، تناولت المفهوم والأنواع.

كما تضمَّن العدد تقريرًا عن رسالة علمية تناولت **استشهاد الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالآيات القرآنية من سورة الفاتحة إلىٰ نهاية سورة الأنعام، وتقريرًا عن **معهد الإمام الشاطبي** للقرآن وعلومه بجدة.

ونحمد الله ﷻ الذي يسر وأعان إخراج هذه الدراسات والتقارير المميزة عن القرآن الكريم، والتي قدمها باحثون من جنسيات مختلفة، وبلاد مترامية، وما هذا إلا بفضل الله ﷷ وحده وعونه وتيسيره.

- فنسأل الله أن يرزقنا شكر نعمه، ويحفظها علينا وعلىٰ المسلمين جميعًا.

- ونشكر **حكومة المملكة العربية السعودية** ممثلة في **وزارة الإعلام** علىٰ خدمتها لهذا النشاط في مجال الدراسات القرآنية.

- كما نشكر **هيئة التحرير** فردًا فردًا علىٰ ما يقدمونه من جهد في الرقي بالبحوث المرسلة للمجلة والنظر فيها، وفي اختيار المحكِّمين الأكْفَاء لها، كل حسب اختصاصه ومجاله، ثم النظر في تقارير المحكِّمين وجوابات الباحثين، ومشاركتهم في الاجتماعات والمناقشات التي تطور العمل وترتقي بجودته للأفضل عالميًّا.

- ونشكر **الهيئة الاستشارية** التي أثرت المجلة بآرائها ومشورتها وبذلت خلاصة تجاربها لتكون المجلة رائدة وقدوة لغيرها من المجلات النظيرة.

- ثم الشكر لكل من أسهم في المجلة وطباعتها، وإدارتها، وأعان علىٰ تكاليفها لتكون بهذه الصورة الجيدة.

- وشكرًا لكم **جُمهور المجلة** المبارك، ونسعد بأفكاركم وأبحاثكم وتقاريركم المميزة التي تخدم مجالات تدبر القرآن الكريم والدراسات حوله.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد على آله وصحبه أجمعين.





أولًا: البُحُوث

مجلة تدبر





مجالات تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من خلال كتابه "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" دراسة تطبيقية تحليلية

Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book "Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan « Applied Analytical Study

د. بهاء الدين عادل عرفات دنديس
Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis

أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن، ومستشار علمي بمجمع القرآن الكريم بالشارقة، وإمام وخطيب مسجد خليل الرحمن بالشارقة

Assistant Professor of Interpretation and sciences of the Qur›an. scientific advisor at the Holy Qur'an Academy in Sharjah and the imam of Khalil Al-Rahman Mosque in Sharjah

قدم للنشر في: ٢٧-١٠-١٤٤٣هـ، الموافق ٢٨-٥-٢٠٢٢
قبل للنشر في: ٢٨-١١-١٤٤٣هـ، الموافق: ٢٧-٦-٢٠٢١
نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٠ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٤٦ يومًا).

◆ مكان الميلاد: الخليل - الضفة الغربية - فلسطين ◆

◆ حصل على درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه، تخصص «القراءات القرآنية» من قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بأطروحته: دراسة وتحقيق كتاب «مبلغ الأماني فيما ضعفه ابن الجزري من حرز الأماني ووجه التهاني» للإمام منصور الأنصاري متوفى في في حدود : (٩٤٠هـ).

◆ حصل على درجة الدكتوراه في القرآن الكريم وعلومه، تخصص «التفسير وعلوم القرآن» بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بأطروحته: دراسة وتحقيق جزء من تفسير: كنز العرفان وعطية الرحمن في تفسير القرآن لعطية السلمي، ت: (٩٨٣هـ).

بعض النتاج العلمي:

١- الجديد في تفسير القرآن المجيد عند الدكتور محمد صافي المستغانمي، دراسة تحليلية لبرنامج في رحاب سورة، مؤتمر علمي، ٢٠٢١م، الجزائر، جامعة عبد الحميد بن باديس.

٢- مواءمة علم القراءات لمتطلبات الواقع عبر العصور، مؤتمر علمي، ٢٠٢٢م، الإمارات، الجامعة القاسمية.

◆ البريد الشبكي: Email: dr.bahaa.dandis@gmail.com

المُستخلص

الحمد لله وكفىٰ، وصلاة وسلامًا علىٰ الحبيب المصطفىٰ، وآله وصحبه ومن اقتفىٰ، وبعد:

يسلط هذا البحث الضوء علىٰ منهجية تدبر القرآن الكريم عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فيجلي مفهوم التدبر وفق رؤية الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويكشف النقاب عن آلية الوصول إلىٰ التدبر الأمثل لآيات القرآن الكريم، ويفصح عن الشروط التي ينبغي أن يتحلَّىٰ بها من يخوض غمار التدبر، ويزيح الستار عن فوائد وثمرات ذلك التدبر، ويعرض نماذج تمثيلية لمجالات التدبر التي تطرق إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، وكانت الدراسة تطبيقية تحليلية علىٰ آيات مختارة من سور القرآن الكريم، وقد خلص البحث إلىٰ جملة من النتائج، من أهمها:

١- قدَّم الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» بقالب تدبُّري قَلَّ نظيره بين كتب التفاسير.

٢- مفهوم التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شامل لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل الشيخ التفسيرَ في المرتبة الأولىٰ، يليه التدبر المعبَّر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبَّر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ علىٰ الحِكم والأسرار.

٣- كانت ثمرات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها، وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

٤- تنوعت آثار التدبر عند الشيخ السعدي بين الإثراء العلمي (تأملات ابتكارية، استنباطات، لطائف المعاني،...)، والانفعال الوجداني القلبي (تعجب، تأثر،...)، والسلوك العملي (الدعاء، الاستعاذة،...).

٥- تعددت مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتراوحت بين المجالات الأسلوبية والمجالات الموضوعية.

الكلمات المفتاحية: مجالات، التدبر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن.

Contemplation Areas of The Holy Quran According to Sheikh Al-Saadi –May Allah rest his soul- Through His Book "Tayseer Al-Karim Al-Rahman in the Interpretation of the Words of Al-Mannan "

Applied Analytical Study

Conducted by:

Dr. Bahaa Al-Deen Adel Arafat Dandis

Assistant Professor of Interpretation and sciences of the Qur'an.

Current job: scientific advisor at the Holy Qur'an Academy in Sharjah and the imam of Khalil Al-Rahman Mosque in Sharjah

Email: dr.bahaa.dandis@gmail.com

Abstract

Praise be to Allah, and blessings and peace be upon the beloved Mustafa, his family, companions and those who followed,

This research sheds light on the methodology of Contemplation Areas of The Holy Quran by to Sheikh Saadi -May Allah rest his soul-. It clarifies the concept of contemplation according to the vision of the Sheikh and reveals the mechanism of reaching the optimal contemplation of the verses of the Holy Qur'an. It also discloses the conditions that should be possessed by those who engage in contemplation and unveils the benefits and fruits of that contemplation. Moreover, it presents representative examples of the

areas of contemplation that Sheikh Abd al-Rahman al-Saadi – may his soul rest in peace - touched on in his book "Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir al-Kalam al-Mannan. "The applied analytical study was conducted on selected verses from the Holy Qur'an. The research concluded a number of results, the most important of which are:

1- Sheikh Al-Saadi presented his interpretation in a contemplative and meditative form which distinguishes it from other interpretation books.

2- The concept of contemplation according to Sheikh Al-Saadi includes the pillars of the rhetorical process of the Holy Qur'an: interpretation, contemplation, and deduction. The Sheikh put interpretation in the first place, followed by contemplation expressed by meditation, and then deduction expressed by staring, extracting, and revealing wisdom and secrets.

3- The fruits of contemplation of Sheikh Al-Saadi were related to the creedal aspect of faith; which is the most important and supreme aspect and represents the ultimate and greatest goal of contemplation.

4- The effects of contemplation of Sheikh Al-Saadi varied between scientific enrichment (innovative reflections, deductions, subtle meaning,...), sentimental and heartfelt emotions (amazement, affection,...), and practical behavior (praying, seeking refuge,...).

5- There were many areas of contemplation according to Sheikh Al-Saadi, and they ranged between stylistic and thematic areas.

Keywords: areas, contemplation, Saadi, Tayseer Al-Karim Al-Rahman.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآنَ الكريمَ حبلُ الله المتين، ونورُه المبين، هو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، والعروة الوثقىٰ، والمعتصَم الأقوىٰ، هو النور والشفاء، والهدىٰ والضياء، فتح الله به آذانًا صمًا، وأعينًا عميًا، وقلوبًا غُلفًا، وهدىٰ به من الضلالة، وبصَّر به من الجهالة، وجعله إمامًا للمتقين، وحجة علىٰ الناس أجمعين، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألْسِنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلَق علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه.

ولذا كان الإقبال علىٰ هذا الكتاب العظيم، تلاوة وترتيلًا، تعلمًا وتعليمًا، تأملًا وتدبرًا، من أجلِّ الأعمال، وأرفع الخصال، وأسنىٰ المطالب، وأعلىٰ المراتب؛ التي تستحق أن تعمر فيها الأعمار، وتعمل فيها الأبصار.

وتدبر القرآن الكريم غاية عظيمة من غايات إنزاله قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، فحريٌّ بنا أن نقف عند آيات الكتاب المجيد، نتفيأ ظلالها، ونجول في أرجائها، ونتأملها وندقق فيها؛ لنصل إلىٰ هداياتها ونترجم رسائلها سلوكًا عمليًّا مقتفين به هديَ الكتاب والسنة؛ لنفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

هذا، ولقد كنت منذ صغري شغوفًا بكتب الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، أطالعها وأدقق فيها، وأحفظ عباراتها، وأقتبس من دررها، وكان لي مع كتابه النفيس «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»(١) صداقة طويلة، فقد لازمته سنين عديدة، ودونت عليه تعليقات فريدة، نقلًا عن مشايخنا الأجلاء وعلمائنا النبلاء، وبينما كنت أقرأ في هذا السِفر الجليل، استرعت انتباهي تلك المنهجية البديعة التي بنىٰ عليها الإمام السعدي تفسيره، فهو ليس مجرد تجلية لمعنىٰ الآية، أو توضيح لغوامض الكلمات فحسب، بل يمكن أن يقال: هو تفسير بقالب تدبري، فعزمت -مستعينًا بالله ﷻ- علىٰ بيان منهجية الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تدبر القرآن الكريم من خلال إيضاح مفهوم التدبر عنده، وتسليط الضوء علىٰ مجالات التدبر التي تدور عليها خواطره وتأملاته، وارتأيت أن يكون ذلك من خلال نماذج تطبيقية تحليلية علىٰ آيات مختارة من سور القرآن الكريم، ومن الله أستمد العون والسداد؛ فهو سبحانه الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١- كونه يتعلق بكلام الله ﷻ الذي هو أشرف العلوم وأعلاها قدرًا.

٢- كونه دراسة تحليلية تطبيقية علىٰ سِفر جليل يتمتع بقيمة علمية كبيرة، ومكانة عالية بين كتب التفسير.

---

(١) لم أتعرض لبيان ترجمة المؤلف أو التعريف بالكتاب ومنهج مؤلفه فيه؛ نظرًا لشهرة المؤلف والكتاب وكثرة المؤلفات حولهما، وتجنبًا للتطويل، ومحاولة للتركيز علىٰ موضوع البحث الرئيس.

٣- كونه دراسة لمنهج مفسر حاذق وشيخ بارع؛ مشهود له بالإمامة في التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الشرعية.

٤- كونه يتعلق بعلم تدبر القرآن الكريم، الذي يعد أحد الغايات العظمىٰ من إنزال القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

١- الرغبة في خدمة هذا التفسير الجليل «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

٢- الرغبة في الوقوف علىٰ المعالم المنهجية التدبرية التي سلكها الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بناء تفسيره، وإبرازها وتوضيحها.

٣- رِفْدُ المكتبة القرآنية ببحث ينير الطريق للمهتمين بالدراسات القرآنية، ويساهم في فتح آفاق بحثية جديدة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الفهارس ومصادر المعلومات، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وبعد سؤال المتخصصين في الدراسات القرآنية؛ لم أعثر علىٰ أي دراسة تحليلية تطبيقية حول طبيعة البحث المذكور وشاكلته، بَيْدَ أن هناك دراسات حول منهج الإمام السعدي في التفسير، وفي التدبر بشكل عام، ومن أبرزها:

١- عبد الرحمن السعدي وجهوده في تدبر القرآن الكريم، للباحث: زكريا بن عبد الرحمن بن محمد بافضل، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية

بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، ٢٠١٧م، ولعل هذه الرسالة تطرقت -بشيء من الاقتضاب- إلىٰ نماذج من مجالات التدبر تحت عنوان: «الفصل الثالث: تطبيقات الشيخ عبد الرحمن السعدي في تدبر القرآن الكريم»، وثمة اختلاف بين هذا البحث وبين الفصل المذكور يتمحور حول طريقة تناول الموضوع وكيفية تعهده بالتحليل والتمثيل، وآلية تقسيم الأمثلة وتنويعها.

٢- تدبرات السعدي، للشيخ عبد الرحمن بن محمد السبهان، وقد جمع فيه أكثر من (١٠٠٠) فائدة من تفسير السعدي، طبع: ٢٠١٧م.

٣- منهج الشيخ السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»؛ للباحث: ناصر العبد سليم المرنخ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بغزة،٢٠٠٢م.

٤- ترجيحات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في التفسير (جمعًا ودراسة)؛ للباحث: عبد الله بن أحمد الزقيلي، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

٥- استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة؛ للباحث: سيف بن منصر بن علي الحارثي، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع: ٢٠١٦م.

٦- قواعد الترجيح بالنص القرآني عند الشيخ عبد الرحمن السعدي من خلال كتابيّ: تيسير الكريم الرحمن والقواعد الحسان؛ للباحث: عبد الباسط بابا عربي، رسالة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي بالجزائر، ٢٠١٥م.

◆ **خطة البحث:**

يتكون البحث الماثل من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس، وبيانها علىٰ النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع في إخراجه.

التمهيد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الثاني: العلاقة بين مفهوم التدبر والمصطلحات القريبة منه كمصطلح: (التأويل، والتفسير، والاستنباط، والتأمل، والتفكر، والتعقل) عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الثالث: كيفية تدبر القرآن الكريم وشروطه؛ كما قررها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

المطلب الرابع: ثمرات التدبر وفوائده؛ كما يراها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الفصل الأول: مجالات التدبر الأسلوبية.

المبحث الأول: أساليب بناء ألفاظ الآيات القرآنية.

المطلب الأول: دقة اختيار الألفاظ.

المطلب الثاني: قوة دلالة اللفظ علىٰ المعنىٰ.

المطلب الثالث: الأوزان الصرفية.

المبحث الثاني: أساليب بناء تراكيب الآيات القرآنية.

المطلب الأول: الصياغة.

المطلب الثاني: معاني حروف الجر.

المطلب الثالث: الجمل المعترضة.

المبحث الثالث: أساليب بيان الآيات القرآنية.

المطلب الأول: أسلوب النهي.

المطلب الثاني: أسلوب الاحتراز.

المطلب الثالث: أسلوب التنكير.

المطلب الرابع: أسلوب الحذف.

المطلب الخامس: أسلوب الاكتفاء.

المطلب السادس: أسلوب التكرار.

المطلب السابع: أسلوب البناء للمفعول.

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

المطلب التاسع: أسلوب الالتفات.

المطلب العاشر: أسلوب الإغراء.

المطلب الحادي عشر: أسلوب التعريف والتنكير.

المطلب الثاني عشر: أسلوب استعمال الظاهر في مقام المضمر.

المبحث الرابع: أساليب القرآن في رد الشبهات وتفنيد مزاعم المشركين.

المطلب الأول: أسلوب التسلسل المنطقي.

المطلب الثاني: أسلوب الحجة المنطقية العقلية.

المطلب الثالث: أسلوب التقسيم المنطقي.

المبحث الخامس: المضامين التربوية لأساليب الآيات القرآنية.

المطلب الأول: النموذج الأول: مراعاة الأسلوب المناسب لحال المدعو.

المطلب الثاني: النموذج الثاني: التأني في طلب العلم.

المطلب الثالث: النموذج الثالث: التأدب مع الضيفان.

الفصل الثاني: مجالات التدبر الموضوعية.

المبحث الأول: أقسام القرآن.

المبحث الثاني: الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي.

المبحث الرابع: مشاهد القيامة.

المبحث الخامس: الأدعية القرآنية.

المبحث السادس: أسماء الله الحسنىٰ.

المطلب الأول: نماذج من تدبرات الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لأسماء الله الحسنىٰ.

المطلب الثاني: اختلاف تدبر الاسم الحسن لاختلاف سياق الآية الوارد فيها.

المطلب الثالث: احتفاء الشيخ «عبد الرحمن»باسم الله «الرحمن».

المبحث السادس: الأحكام

المطلب الأول: الأحكام الفقهية

المطلب الثاني: الأحكام العقدية.

المبحث السابع: أمثال القرآن.

المبحث الثامن: القصة القرآنية.

المبحث التاسع: مشكل القرآن.

المبحث العاشر: المناسبات القرآنية.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للآيات.

المطلب الثاني: الآيات الكونية ودلائل قدرة الله ﷻ.

المطلب الثالث: السياق.

المطلب الرابع: التقديم والتأخير.

المطلب الخامس: العطف.

المطلب السادس: التسلسل المنطقي في عرض المعلومة.

المطلب السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.

المطلب الثامن: الاقتران.

المبحث الحادي عشر: دلالات الآيات.

المطلب الأول: نموذج استنباط بدلالة السياق.

المطلب الثاني: نموذج استنباط بدلالة الاقتران.

المطلب الثالث: نموذج استنباط بدلالة العطف.

المبحث الثاني عشر: الآيات ذات الأوصاف والمسميات.

المطلب الأول: النموذج الأول: أعظم وعيد ورد في الذنوب.

المطلب الثاني: النموذج الثاني: أصل في محاسبة العبد نفسه.

ثم **الخاتمة**، وفيها:

١- أهم النتائج.

٢- أهم التوصيات.

ثم **الفهارس**: وتشمل:

١- ثبت المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

يتمثل المنهج المتبع في إخراج البحث في الآتي:

١- اتبعت في صياغة هذا البحث المنهج الاستقرائي الجمعي، وكانت الدراسة دراسة تطبيقية تحليلية.

٢- عرضت نماذج مختارة لنصوص من تفسير تيسير الكريم الرحمن؛ مما يظهر فيها مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

٣- راعيت في اختيار النماذج أن تكون متنوعة، مختصرة، دالة علىٰ الفكرة المراد بيانها ببساطة ووضوح.

٤- لم أقصد استيعاب جميع مجالات التدبر، وإنما أردت إظهار نماذج تطبيقية لها.

٥- كتبت الآيات بالرسم العثماني وفق رواية حفص عن عاصم، حسب طبعة مجمع الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

٦- وثَّقت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر الآية ورقمها والسورة التي فيها.

٧- اعتمدت علىٰ نسخة «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، الصادرة عن مؤسسة الرسالة، في طبعتها الأولىٰ، عام: ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، بتحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٨- اكتفيت بوضع الإشارة المرجعية في إحالة كلام الشيخ لتفسيره عند الموضع الأخير من تفسيره للآية أو الآيات موضع الدراسة.

٩- اكتفيت بإيراد النص التفسيري من كتاب الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، دون التعرض لتخريج الأحاديث أو الآثار أو الشواهد الشعرية أو القراءات القرآنية أو التراجم للأعلام أو بيان غريب إلا ما تقتضيه ضرورة البحث؛ فمحل ذلك نصوص الكتاب المحقق.

١٠- ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع وللموضوعات.

التمهيــد

يشتمل التمهيد علىٰ أربعة مطالب رئيسة وهي:

المطلب الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

يرىٰ الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن تدبر القرآن الكريم مُنصَبٌّ نحو: «**التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، واستخراج ما فيه من العلوم، والوقوف علىٰ أسراره وحِكمه**»[1].

فالمتأمل لمفهوم التدبر عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يجده شاملًا لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم؛ من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل التفسيرَ في المرتبة الأولىٰ، يليه التدبر المعبَّر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبَّر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ علىٰ الحِكم والأسرار.

فأما التفسير فإنه من لازم التأمل في المعاني، ولا يُعنىٰ بالتفسير -هنا- التفسير بكافة أطيافه وألوانه، بل بحده الأدنىٰ من إيضاح دلالة الآية ومضمونها والمعبَّر عنه بالمعنىٰ الإجمالي، وهو ما سار عليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره، فلا يمكن تأمل الآية دون بيان معناها، ثم بعد التفسير والتأمل يأتي التحديق، ومتىٰ ما كدَّت القريحة وحدقت الأفكار في مبادئ الآيات وعواقبها؛ خلصت إلىٰ درر من الاستنباطات والدلالات النفيسة المنبئة بأن هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تفنىٰ أسراره، ولا يدرك قراره.

(١) بتصرف من تيسير الكريم الرحمن (ص:١٨٩-١٩٠، ٧١٢).

ولذلك، فإن المدقق في عبارات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجدها محلاة بالتدبر في أغلبها، وكأني بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لما أراد أن يقرب في كتابه التفسير لم يجد أنفع من التدبرات.

المطلب الثاني: العلاقة بين مفهوم التدبر والمصطلحات القريبة منه؛ كمصطلح: (التأويل، والتفسير، والاستنباط، والتأمل، والتفكر، والتعقل) عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

يظهر لي- والعلم عند الله تعالىٰ- أنه لا فروق جوهرية في الدلالة بين التأويل والتفسير والاستنباط والتأمل والتفكر والتعقل وغيرها من المصطلحات عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فهي وإن كان بينها تباين وافتراق إلا أنه يستعملها للدلالة علىٰ مسمًّىٰ أو مقصد واحد، فهو يراها كلها متقاربة تؤدي غرضًا واحدًا هو الأثر والانتفاع، فتشترك كلها في النتيجة المرجوة منها.

فأما العلاقة بين التدبر والتأويل؛ فتظهر جلية حين نراه يجعل أحد معاني التأويل الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران: ٧] منطبقًا تمامًا علىٰ المعنىٰ اللغوي للتدبر فيقول: «**إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي وتؤول إليه، تعين الوقوف علىٰ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حيث هو تعالىٰ المتفرد بالتأويل بهذا المعنىٰ**»(١)، وبنحو ذلك التأويل نراه يفسر التأويل الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فيقول: «**أي: سأخبرك بما أنكرت عليَّ، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما يؤول إليه الأمر**»(٢)؛ ومن المتقرر أن معرفة عاقبة الأمور وما تنتهي وتؤول إليه هي غاية التدبر، وعليه فهما إذن بمعنىٰ واحد عنده.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٨٢).

وأما العلاقة بين التدبر والتفسير والاستنباط؛ فقد كشف المحور المتقدم: «مفهوم تدبر القرآن الكريم عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ» أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعُدُّ التفسير المرحلة الأولى الابتدائية من مراحل التدبر؛ فهو داخل فيه ولبنة في تكوينه، ويعُدُّ الاستنباط المرحلة النهائية التي يصل إليها المتدبر؛ لاستخراج ما يقف عليه من الحكم والفوائد.

وأما العلاقة بين التدبر والتأمل والتفكر والتعقل؛ فبينها تداخل واضح واشتراك في الدلالة على التدبر عند الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ويتبدى ذلك جليًّا عند تفسيره للآيات الواردة في الحث على التدبر، فنراه -مثلًا- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] يقول: «**يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه**»[١]، وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] يقول: «**أي: فهلَّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل**»[٢]، وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] يقول: «**فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تُدرَك بركته وخيره**»[٣]. فجعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ التدبر بمعنى التأمل.

وأما التفكر فكما في تفسيره قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] إذ يقول: «**أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٨٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧١٢).

الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحثه علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه»[(١)]، وعند إنعام النظر في هذه العبارات نجده عطف التدبر علىٰ التفكر؛ ليدلل بهما علىٰ غرض واحد وهو ما يشتركان فيه من الأثر المرجو منهما، حيث جعل آثار التفكر هي عينها آثار التدبر، حيث ذكر أن التفكر مفتاح لخزائن العلم، وأنه بيان لطريق الخير والشر، وفيه دعوة لمكارم الأخلاق وزجر عن مساوئها، وهو بصنيعه هذا يؤكد علىٰ اتحادهما الدلالي في ذهنه، ويقوي ذلك تفسيره للتدبر بالتفكر في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] حيث قال: «**أي: أفلا يتفكرون في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه!»**[(٢)].

وأما التعقل فكما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤] إذ يقول: «**أخبر تعالىٰ أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات، أي: أدلة علىٰ وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته**[(٣)]**، ولكنها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلىٰ حسب ما منَّ الله علىٰ عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٥٤).

(٣) هذا نابع مما قرره في كتابه: القواعد الحسان لتفسير القرآن؛ «القاعدة السابعة والخمسون: في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والأرض وما فيهما علىٰ التوحيد والمطالب العالية». (ص:١٤١).

وفكره وتدبُّره»، فجعل التعقل بمعنىٰ التدبر؛ حيث رتب عليه نفس مقصد التدبر ونتيجته من المعرفة والانتفاع والانقياد.

المطلب الثالث: كيفية تدبر القرآن الكريم وشروطه؛ كما قررها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

لا شك أن لتدبر القرآن الكريم قواعد وأسس وشروط ينبغي لمن أراد أن يخوض غمار التدبر أن يلم بها ويحيط بما فيها، وقد كشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن كيفية التدبر وشروطه بمثال عملي تطبيقي، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]؛ يقول: **«تضمَّن ما شرحه الله وفصَّله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ﴾ [غافر: ٧] التنبيه اللطيف علىٰ كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا علىٰ مجرد معنىٰ اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنىٰ اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا علىٰ وجهه، نظر بعقله إلىٰ ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه،......، وقد يخفىٰ في بعض الآيات مأخذه علىٰ غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالىٰ أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوِّق لوصول رحمته،**

إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها»[1].

فقد تضمنت هذه الأسطر القليلة جملة من الفوائد الغزيرة والمعلومات الدقيقة منها:

أولًا: أن دعاء الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧] والآيات بعدها، هو تدبر عملي لما استشعروه من سعة رحمة الله وعلمه بكل شيء، ففاضت ألسنتهم بالدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرحمة والإكرام الشامل في دار النعيم المقيم.

ثانيًا: أن المسلك السليم للوصول إلىٰ التدبر الصحيح لا يقتصر علىٰ مجرد معرفة معنىٰ اللفظ بمفرده، بل يتعدَّاه إلىٰ تأمل دلالاته ولوازمها والأحكام المتصلة بها.

ثالثًا: أنه يشترط لمن أراد أن يتدبر كلام الله ﷻ شروط منها:

- أن يكون ذا عقيدة سليمة، متمتعًا بملكة تأملية وفكر ثاقب، ليكون تأمله علىٰ بصيرة ودون اتباع لهوىٰ أو تعصب لمذهب أو رأي، ويصدر تدبره عن أساس راسخ متين.

- أن يأخذ بطرف من العلوم المتصلة بتفسير القرآن الكريم؛ ليكون تدبره مرتكزًا علىٰ مفاهيم سليمة وقواعد قويمة.

- أن يكثر من التضرع والالتجاء إلىٰ الله ﷻ بسؤاله أن يفتح عليه من بركات الفهم وأنوار العلم بكتابه الكريم.

- أن يفرغ قلبه من الشواغل والملهيات، والصوارف والمعيقات.

---

(١) تيسر الكريم الرحمن (ص:٧٣٢).

- أن يتجنب المعاصي والذنوب وأمراض القلوب وكل ما يعيق الفهم وينور العقل.

- أن يغوص في أعماق النصوص، ويستكنهها ويتأمل فيها.

المطلب الرابع: ثمرات التدبر وفوائده كما يراها الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

أودع الله كتابه الكريم من الكنوز العظيمة والمكنونات البديعة ما تستحق أن تفنىٰ في التنقيب عنها الأعمار، وتدبر القرآن الكريم أحد السبل الموصلة إلىٰ تلك العطايا، فما هي الجوائز والثمرات التي يحصل عليها ويجنيها من يعيش مع كتاب الله ويتدبر معانيه ويتأمل فيه؟ لقد استطاع الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن ينظم جملة من فوائد التدبر، من أبرزها:

١-أن التدبر مفتاح العلوم والمعارف، به يستنتج كل خير، وبه تستخرج منه جميع العلوم.

٢- أنه وسيلة لازدياد الإيمان في القلب وترسيخ شجرته فيه.

٣- أنه السبيل الموصل إلىٰ معرفة الرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما يُنزَّه عنه من سمات النقص[(١)].

٤- أنه الدليل إلىٰ الطريق الموصلة إلىٰ الله ﷻ، فهو يبين تلك الطريق ويوضح صفة أهلها، ومآلهم ومرجعهم، كما ويحذر من العدو الحقيقي وأساليبه

---

(١) قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومن تدبر كلامه عرف الرب ﷻ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله علىٰ المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب فحذر مما حذره مولاه، ورغب فيما رغب فيه». أخلاق حملة القرآن، للآجري (ص:٤٠).

المؤدية إلىٰ الوقوع في المعاصي المفضية إلىٰ حلول أليم العقاب وشديد العذاب.

٥-أنه يرقىٰ بالعبد حتىٰ يبلغ به إلىٰ درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله ﷻ، فهو حين يرىٰ آيات القرآن يصدق بعضها بعضًا، ويوافق بعضها بعضًا -فترىٰ الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا- فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور(١).

٦- أن يبين للعبد طرق الخير والشر، ويحثه علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق(٢).

هذه بعض فوائد التدبر التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره، ونجد أنه لاحظ الأصل الرئيس والهدف المباشر من إنزال القرآن الكريم وهو الدعوة إلىٰ توحيد الله ﷻ وتقرير العقيدة السليمة في نفوس البشرية، وبيان نعيم الموحدين وعقوبة الكافرين، فكانت ثمرات التدبر عنده متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

وفي ذلك يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**هذا، وإن نظرت إلىٰ الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره**»(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).

(٣) تيسر الكريم الرحمن (ص:٧٨٧).

والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بصنيعه هذا يقتفي أثر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إذ يقول في كلامه النفيس: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر علىٰ معاني آياته،..... وبالجملة تُعرِّفُه الربَّ المدعوَّ إليه، وطريقَ الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتُعرِّفُه في مقابل ذلك ثلاثة أخرىٰ: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه،.....، وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه، أضعافُ أضعافِ ما ذكرنا من الحكم والفوائد، وبالجملة فهو أعظم الكنوز، طَلْسَمُهُ الغَوْصُ بالفكر إلىٰ قرار معانيه»[(١)].

(١) مدارج السالكين؛ لابن القيم (١/ ٤٤٩-٤٥١).

الفصل الأول:

مجالات التدبر الأسلوبية.

المبحث الأول:

أساليب بناء ألفاظ الآيات القرآنية.

القرآن الكريم مستودع البلاغة والفصاحة والبيان، حيث جاءت آياته بأبلغ أسلوب وأفصح لفظ وأوجز عبارة، والناظر فيها يجد الدقة في انتقاء الألفاظ، والبراعة في سبك العبارات، والجمال في تراكيب الجمل وصياغتها، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ضمَّن تفسيره طائفة من التدبرات المتصلة بهذا الجانب، وهاك مطالب هذا المبحث تُجلِّي لك ما ذكرت:

◆ المطلب الأول: دقة اختيار الألفاظ.

يعتني الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تدبره لآيات القرآن الكريم بإبراز دقة القرآن الكريم في اختيار ألفاظ جمل الآيات، ويهتم بالكشف عن أسرار ذلك، فمثلًا في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] نجده يلاحظ المعنىٰ الدقيق للفظ (أقام)، ويسقطه علىٰ لفظ الصلاة، فيجعلها بناءً متكامل الأركان، ويربط بينه وبين ماهية الصلاة بما تشتمل عليها من أعمال ظاهرة وباطنة، ونراه يسمي الخشوع فيها والتدبر والتأمل في كل قول وفعل فيها: روح الصلاة، ثم يستشعر الأثر المترتب عن الإقامة المثلىٰ للصلاة التي تؤتي أكلها في المصلي، ففي الدينا تكون حصنًا له

من ارتكاب المنكرات، وفي الآخرة دليلًا له إلىٰ جنات القربات، حيث يقول: «**قال:** ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣]، **لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة، فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهرًا؛ بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنًا؛ بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها:** ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، **وهي التي يترتب عليها الثواب، فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها**»[(١)].

وكذلك ملاحظته استعمال القرآن لفظ (الأهواء) بدل (الدين) في الحديث عن معتقدات أهل الكتاب في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ فيقول: «**إنما قال:** ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾، **ولم يقل: (دينهم)؛ لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتىٰ هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوىٰ ولا محالة، قال تعالىٰ:** ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]»[(٢)].

المطلب الثاني: قوة دلالة اللفظ على المعنى.

يهتم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بدلالات الألفاظ، فيتعهدها بالتأمل والتحليل، ويلحظ قوتها في الدلالة علىٰ المعنىٰ المراد وملائمتها للسياق، فمن ذلك ملاحظته استعمال لفظ المكر في التعبير علىٰ ما كان من قول النسوة في حادثة امرأة العزيز ويوسف حيث قلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢)، وتفسير الفاتحة والبقرة؛ لابن عثيمين (٢/ ٣٣).

ﵟضَلَٰلٖ مُّبِينٖﵞ [يوسف: ٣٠]، **يعني: أن الخبر اشتهر وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلُمْنَها، ويقُلْنَ:** ﵟٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖﵞ، **أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه،** ﵟإِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖﵞ **حيث وُجِدَت منها هذه الحالة التي لا تنبغي منها، وهي حالة تحطُّ قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرًا، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلىٰ رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز؛ لتحنق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرًا، فقال:** ﵟفَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّﵞ [يوسف: ٣١]»[١].

ومن ذلك ملاحظته دلالة لفظ (الرب)، وما يحمله من معانٍ في قوله تعالىٰ: ﵟوَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَﵞ [يس: ٤٦]، فلاحظ أولًا إضافة الآيات إلىٰ الرب، وتأمل دلالتها فقال: «**وفي إضافة الآيات إلىٰ ربهم، دليل علىٰ كمالها ووضوحها، لأنه ما أَبيَن من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانًا**»، ثم لاحظ وجه المناسبة والعلاقة بين لفظ الربوبية والآيات القرآنية؛ فقال: «**وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها علىٰ ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم**»[٢].

ومن ذلك ملاحظته للازم الفعل ﵟيُضِلُّﵞ، وما يلزمه من أن يكون صاحبه ضالًّا في نفسه، فالفعل المتعدي ﵟيُضِلُّﵞ لزم منه الفعل اللازم (يَضِلُّ) -وهذا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٦)، والقواعد الحسان: القاعدة الحادية والثلاثون: ربوبية الله في القرآن علىٰ نوعين: عامة وخاصة. (ص:٩٠).

التأمل على إحدى القراءتين الواردة في الآية[(١)]- فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الزمر: ٨] «**أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم**»[(٢)].

المطلب الثالث: الأوزان الصرفية.

إن الناظر في تفسير الشيخ السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجده لا يتطرق إلى المباحث اللغوية وما فيها من نحو وصرف ومعاجم وغيرها، إلا أنه يوظف هذه المباحث في تقوية المعاني وإثرائها بطريقة غير مباشرة، فمن ذلك ملاحظته الدلالة المعنوية للأوزان الصرفية، وتدبر ما تحمله في طياتها من معان، فنراه عند تفسير قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، يلاحظ دلالة الوزن الصرفي فاعل في لفظ ﴿عَٰبِدُونَ﴾، فيقول: «**قال: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾، فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار؛ ليدل على اتصافهم بذلك، وكونه صار صبغة لهم ملازمًا**»[(٣)].

(١) في الآية قراءتان: الأولى بفتح الياء وكسر الضاد: (يَضِل) فعل لازم، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس عن يعقوب، والثانية: بضم الياء وكسر الضاد (يُضِل) فعل متعدٍّ، قراءة الباقين (الجمهور). انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، والدر المصون؛ للسمين الحلبي (٨/ ٢٦٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٦)، انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ لأبي السعود (١/ ١٦٨)، ودليل البلاغة القرآنية؛ للدبل (ص:١٩٢).

المبحث الثاني:
أساليب بناء تراكيب الآيات القرآنية(١)

المطلب الأول: الصياغة.

آيات القرآن الكريم، جاءت في أعظم الأساليب وأعلاها، وأرقىٰ العبارات وأحلاها، بأجود نظام، وأحكم كلام، لا يتطرق لصياغتها خلل، ولا يشوبها دخل، فيها سبك وتلاؤم، واتساق وتناغم، وللشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وقفات مع صياغة الآيات، فيتأمل لَبنات بنائها وأسلوب صياغتها، فقد لاحظ أن اختيار القرآن للنهي عن الكفر عبارة: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] أبلغ في النهي وأعمق في الدلالة من: (ولا تكفروا)، فقال: «**قوله**: ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ **أبلغ من قوله: (ولا تكفروا به)**»، ثم راح يعرض ما استشفه من بلاغة، ويعلل ما توصل إليه فكره من تدبر فقال: «**لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلىٰ الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدىٰ بهم من بعدهم**»(٢).

ولاحظ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]؛ أبلغ من: (وَلا تَتَّبِعْ)، وعلل ذلك بقوله: «**لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه**»(٣).

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة الواحدة السبعون: في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن علىٰ جوامع المعاني. (ص: ١٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٠)، وانظر: جامع البيان؛ للطبري (١/ ٦٠١-٦٠٢)، والجواب الكافي؛ لابن القيم (ص:١٤٩).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (١/ ٤٦١)، والتحرير =

كما أنه يلاحظ احتراز القرآن ودقته في انتقاء العبارات والألفاظ وحروف المعاني، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١] يقول: «**قوله: ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ولم يقل: أن تقصروا الصلاة؛ فيه فائدتان: إحداهما: أنه لو قال: (أن تقصروا الصلاة)؛ لكان القصر غير منضبط بحدٍّ من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: ﴿مِنَ الصَّلَاةِ﴾؛ ليدل ذلك علىٰ أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلىٰ ما تقرر من فعل النبي ﷺ وأصحابه. الثانية: أن ﴿مِنَ﴾ تفيد التبعيض؛ ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلىٰ ركعتين**»(١).

◆ المطلب الثاني: معاني حروف الجر.

لما كانت الكلمة القرآنية أحد ثلاثة أنواع: اسم أو فعل أو حرف، كان لثلثها الأخير عناية فائقة في نظر الشيخ وتأملاته وتدبراته، فنراه يتأمل حروف الجر، ويستحضر معانيها، ويلاحظ معنىٰ حرف الجر (مِن) في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]، من حيث دلالته علىٰ التبعيض، ويتأمل العلاقة بين التبعيض والإنفاق، ويتفطن إلىٰ علة إيراده في الآية فيقول: «**وأتىٰ بـ(مِن) الدالة علىٰ التبعيض؛ لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزءًا يسيرًا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم**»(٢).

= والتنوير؛ لابن عاشور (٢/ ٣٦-٣٧).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠)، وانظر: التحرير والتنوير (١/ ٢٣٦)، وتفسير الفاتحة والبقرة؛ =

ويلاحظ معنىٰ حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٥] من حيث دلالته علىٰ الاستعلاء؛ فيقول: «**وأتىٰ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في هذا الموضع، الدالة علىٰ الاستعلاء**»، ولا يقف الأمر عند ذلك بل يتعداه ليقارن بين استعمال حروف الجر ودلالتها علىٰ المعنىٰ، فنجده يلاحظ دلالة استعمال حرف الجر ﴿فِي﴾ عند مقابلة الهدىٰ بالضلالة في آية تقارب الآية المذكورة في الفحوىٰ، ليؤكد معنىٰ الآية الأول من استعمال ﴿عَلَىٰ﴾ مع الهداية، وليوضح دلالة ﴿عَلَىٰ﴾ علىٰ استعلاء المكانة، وليوضح كذلك دلالة ﴿فِي﴾ الظرفية، ويشير إلىٰ تمكنها من صاحبها في الظرفية فيقول: «**وفي الضلالة يأتي بـ ﴿فِي﴾ كما في قوله:** ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]؛ **لأن صاحب الهدىٰ مستعل بالهدىٰ، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر**»(١).

◆ المطلب الثالث: الجمل المعترضة.

جمل القرآن الكريم يشد بعضها بعضًا، وتؤازر إحداها الأخرىٰ، فكل واحدة تأخذ بِحُجَز أختها، تقويها وتشد عضدها، وليست الجمل المعترضة بمنأىٰ عن هذا الصنيع، فهي وإن سميت معترضة إلا أنها تؤدي وظيفة الجمل الأساسية بحذافيرها، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفطن لهذه الخصيصة، فأرْعَها انتباهه، ومن ذلك تأمله سر مجيء الجملة المعترضة: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١] في معرض الحديث عن جزاء المؤمنين، وبيانه أثرها علىٰ المعنىٰ، وما فيها من معنىٰ عميق واحتراز دقيق، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا

= لابن عثيمين (١/ ٣٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠)، وانظر: الكشاف؛ للزمخشري (١/ ٤٤).

بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الطور: ٢١-٢٢]، فقال: «**ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار كذلك، يُلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكمًا واحدًا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالىٰ ألا يعذب أحدًا إلا بذنب، ولهذا قال:** ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ **أي: مرتهن بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرىٰ، ولا يحمل علىٰ أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور**»(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٥).

المبحث الثالث:
أساليب بيان الآيات القرآنية

المطلب الأول: أسلوب النهي.

القرآن الكريم حافل بالتوجيهات والتحذيرات، مليء بالإرشادات والتنبيهات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعتني بتدبر ما جاءت به التحذيرات من أساليب النهي، فيلاحظ أبعاد النهي والتركيب اللفظي للأسلوب الوارد فيه، فمثلًا نراه يقف عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، فيتدبر الآية ويصدر تدبره عن انفعال باستفهام تعجبي، ثم يترجمه في دعاء فيقول: «**ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلىٰ كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته علىٰ ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلىٰ الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم**»[(١)].

ويتأمل النواهي والتحذيرات الإلهية، ويستشف ما فيها من دلالات من خلال ملاحظة أسلوب الآية وتركيبها، فمثلًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، لاحظ ثلاثة أشياء، فقال: «**وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب علىٰ الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٠)، وانظر: البسيط؛ للواحدي (١١/ ٥٧٨)، ورموز الكنوز؛ للرسعني (٣/ ٢٥١).

وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور»(١)، فأما الشيء الأول: وهو النهي عن قول الكذب على الله، فمستفاد من النظر إلى تركيب الجملة كاملة من النهي: ﴿لَا تَقُولُواْ﴾، والاستثناء ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، وملاحظة المعنى العام المفهوم من الآية، وأما الشيئان الآخران وهما: النهي الثاني، والشيء المأمور به، فمستفادان من النظر إلى الاستثناء: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، فإن المرء في علمه بأسماء الله وصفاته وأفعاله وشرعه يدور بين فلكي العلم والجهل، فإن كان جاهلًا فالنهي موجه إليه بعدم القول بلا علم، وإن كان عالمًا فالأمر موجه إليه بتبليغ الحق وتبيينه.

المطلب الثاني: أسلوب الاحتراز(٢)

آيات القرآن الكريم بلغت في الإحكام غايته، وفي الاحتراز نهايته، فألفاظها منتقاة بأعلى المستويات، وأدق الاختيارات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل دقة القرآن في استعمال الألفاظ وإضافتها، فيلاحظ دقة القرآن الكريم في إضافة الصفات إلى متعلقاتها واحترازه في نسبتها، فنراه يتأمل احتراز القرآن في إضافة وصف الكبر المشعر بالتعظيم إلى عبّاد الأصنام وأصحابها، لا إلى ذات الأصنام، وذلك عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ فيقول: «**وتأمل هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول: «إلى عظيم الفرس»، «إلى عظيم الروم»**،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٢١٦).

(٢) القواعد الحسان: القاعدة السابعة والعشرون: المحترزات في القرآن تقع في كل المواضع في أشد الحاجة إليها. (ص:٨١).

ونحو ذلك، ولم يقل: «إلىٰ العظيم»، وهنا قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ولم يقل: «كبيرًا من أصنامهم»، ويترجم تأمله هذا إلىٰ تحذير فيقول: «**فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلىٰ من عظمه**»(١).

ومن ذلك ملاحظته لدقة القرآن في استعمال بعض الاحترازات في العبارات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فلاحظ استعمال حرف الجر ﴿مِنْ﴾ مع الأمر بحفظ البصر دون حفظ الفرج، وفتش عن علة ذلك وأوضحها بقوله: «**وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقًا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أتىٰ بأداة ﴿مِنْ﴾ الدالة علىٰ التبعيض**(٢)**، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك**»(٣).

المطلب الثالث: أسلوب التنكير.

تنوعت دلالات التنكير في القرآن الكريم، وهي مستفادة بحسب السياق، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له عناية بحال الكلمة من التعريف والتنكير، فيُقَلِّب الكلمة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٢٦).

(٢) علىٰ أحد الأقوال الواردة فيها، قال السمين في الدر المصون (٨/ ٣٩٧): «في ﴿مِنْ﴾ أوجهٌ، أحدُها: أنها للتبعيضِ لأنَّه يعفىٰ عن الناظِر أولُ نظرةٍ تقعُ مِنْ غيرِ قَصْدٍ. والثاني: لبيانِ الجنسِ. قاله أبو البقاء، وفيه نظرٌ؛ من حيث إنَّه لم يتقدَّمْ مُبْهَمٌ يكونُ مفسَّراً بـــ ﴿مِنْ﴾. والثالث: أنها لابتداءِ الغاية، وقاله ابنُ عطية. والرابعُ: أنها مزيدةٌ. وهو قولُ الأخفشِ». وانظر: مفاتح الغيب؛ للرازي (٢٣/ ٣٦٠، ٣٦١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٦)، وانظر: روضة المحبين؛ لابن القيم (ص:٩٢)، والتحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٣، ٢٠٤).

ويلاحظ حالها ويتأمل مآلها، فمن ذلك ملاحظته دلالة التنكير علىٰ العظمة في لفظ ﴿هُدًى﴾ من قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة: ٥]؛ فيقول: «﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ أي: **علىٰ هدىً عظيم، لأن التنكير للتعظيم**[١]»، ثم يصدر تدبره عن انفعالي وجداني باستفهامات تفيد حصر الهداية فيما جاء به النبي ﷺ من عقيدة وشريعة؛ فيقول: «**وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة؟**»، ويقول: «**وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم؟، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة**»[٢].

◆ المطلب الرابع: أسلوب الحذف[٣].

أخالني لا أجد أسلوبًا حفل به القرآن كما الحذف، فلإن كانت البلاغة الإيجاز، فالقرآن متربع علىٰ عرش البلاغة، ولإن كان الإيجاز عين البلاغة فلا أدلَّ عليه من الحذف، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ له وقفات كثيرة مع أسلوب الحذف في القرآن الكريم، ومن ذلك ملاحظته متعلق الإنفاق المحذوف في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، حيث يقول: «**ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي؛ قربة إلىٰ الله**»[٤].

---

(١) ينظر الكشاف: (١/ ٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

(٣) القواعد الحسان: القاعدة الرابعة عشرة: حذف المتعلق المعمول فيه: يفيد تعميم المعنىٰ المناسب له. (ص:٤٣)، والقاعدة السادسة عشرة: حذف جواب الشرط يدل علىٰ تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد. (ص:٤٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠).

فذكر لذلك ثلاثة تقديرات، كل واحدة منها ناتجة عن لحظة تأملية وتجربة تدبرية في الآيات التي ورد فيها الحث على الإنفاق، فقوله: «**لكثرة أسبابه**» يقصد به الدوافع وراء الإنفاق، فقد يكون الإنفاق لأداء عبادة ابتداءً كالزكاة، أو في أداء عبادة كالحج، أو بر وصلة، أو في الإنفاق على الوالدين والأسرة، أو في كفارة، أو في عتق رقبة، أو مشاركة في وجوه الخير كبناء المساجد والمستشفيات وكفالة طلاب العلم وغيرها، وقوله: «**وتنوع أهله**» يقصد به الفئة المستحقة للإنفاق عليها كمصارف الزكاة ومن في حكمهم، وهذا مستفاد من استحضاره الذهني للآيات الكريمات نحو قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله تعالى:﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقوله: «**ولأن النفقة من حيث هي قربة إلى الله**» مستفاد من تأمله للآيات الكريمات الحاثة على الإنفاق في سبيل الله، وأنها من أعظم القرب التي يحبها الله ويرضى عن فاعليها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٨-٢٠].

ومن ذلك تأمله علة حذف معمول الإبانة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٦٩]؛ فقال: «﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾، **أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل علىٰ أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك علىٰ رسوله**»(١).

ومن ذلك ملاحظته الأثر البلاغي في دلالة حذف معمول التساؤل في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠] فقال: «**وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك علىٰ أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه**»(٢).

المطلب الخامس: أسلوب الاكتفاء

لا شك أن الاكتفاء أحد أشكال الحذف، وإفراده بالبحث- هنا- لتسليط الضوء علىٰ المنهجية البديعة التي سلكها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تناوله، ومن ذلك ملاحظته أسلوب القرآن بالاكتفاء بذكر أحد الأمرين المتلازمين من الحكمة من الإنعام بالملابس والثياب وهما الوقاية من الحر والبرد، فاقتصرت الآية علىٰ ذكر

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٨)، وانظر: الوسيط؛ للواحدي (٣/ ٥١٩)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٦/ ٥٩٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٠٣)، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ للبيضاوي (٥/ ١٣)، وروح المعاني؛ للألوسي (١٢/ ٨٨).

الوقاية من الحر ولم تذكر البرد، فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]: «**ولم يذكر الله البرد**[(١)]**؛ لأنه قد تقدم أن هذه السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾** [النحل: ٥]»[(٢)]، وهذا نص كلامه أول السورة: «**هذه السورة تسمىٰ سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها، وفي آخرها متمماتها ومكملاتها**»[(٣)]. فنلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تأمل المواضيع التي تناولتها السورة، ولاحظ أن السورة تعرض في أولها أصول النعم وقواعدها فناسب البداية التأصيل، وتعرض في آخرها المتممات والمكملات فناسب النهاية الكمال، واستطاع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن يربط بين هذه العلاقة وبين أساليب الآيات ليرد آخرها علىٰ أولها في استنتاج بديع، فجعل الاقتصار علىٰ ذكر الوقاية من الحر مردود علىٰ أول السورة التي ذكر فيها الأصل من اتخاذ الملابس وهو الدفء، ودقة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وفطنته وملاحظته لهذا الموضع تنبئ عن فهم عميق، وتأمل وتحقيق في العبارات والأساليب.

المطلب السادس: أسلوب التكرار.

من المقرر أن ما تَكرَّر تَقرَّر، واللفظ القرآني إذا تكرر حمل معه فوائد، وملح زوائد، والآية إذا كررت أو أعيدت عادت كأنها آية جديدة، فليس تكرارها تفكهًا ولا عبثيًا، بل التكرار ينطوي علىٰ حكم وأسرار، وقد كشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن شيء من حكم هذا التكرار، وأبان عن غوامض من هذه الأسرار، ومن ذلك

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٦٢٥)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٦/ ٥٧٧)، وفتح الرحمن؛ للأنصاري (ص:٣١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٤٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٣٥-٤٣٦)، وانظر: مجموع الفتاوىٰ؛ لابن تيمية (١٥/ ٢١٨، ٢١٩).

ملاحظته مرات تكرار لفظ ﴿تَبَارَكَ﴾ في سورة الفرقان؛ حيث ورد فيها ثلاث مرات الأول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، والثاني في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ﴾ [الفرقان: ١٠]، والثالث في قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ صدر تأمله ببيان معنىٰ اللفظ المكرر، وقسم الآيات بحسب ما فيها من معان ودلالات، ملاحظًا مقصد السورة وهدفها الرئيس، وجعل ذلك التقسيم باعتبارات تكاملية، فلاحظ معنىٰ الحكمة والعلم في أحكام الأمر والجزاء، ومعنىٰ الآيات الشرعية بإنزال الكتاب والآيات الكونية بتسخير السماوات وما فيها من أجرام وبروج، ومعنىٰ الرحمة بإيصال الخيرات الدينية والدنيوية، وما بين هذه العلاقات من تلائم وتناغم، وكشف عن تأمله بقوله: «**كرر تعالىٰ في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ ثلاث مرات؛ لأن معناها كما تقدم أنها تدل علىٰ عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال علىٰ عظمته وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها ما يدل علىٰ سعة رحمته وواسع جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتضٍ لتكرار هذا الوصف الحسن فقال:** ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]»(١).

ومن ذلك أيضًا تأمله مناسبة التعقيب بتقرير النعم وتذكرها وشكرها بقوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٦] بعد التخويف بالعذاب الوارد

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٦)، وانظر: أسرار التكرار في القرآن؛ للكرماني (ص:١٨٨)، وفتح الرحمن؛ للأنصاري (ص: ٤٠٢، ٤٠٣).

في قوله تعالىٰ: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]؛ فبدأ ببيان معنىٰ الآية فقال: «**ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم؛ فقال:** ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ﴾ **أي: يرسل عليكما لهبٌ صافٍ من النار.** ﴿وَنُحَاسٞ﴾ **وهو اللهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنىٰ أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما** ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾**، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله**».

ثم ذكر وجه مناسبة التعقيب فقال: «**ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطًا يسوقهم به إلىٰ أعلىٰ المطالب وأشرف المواهب، امتنَّ عليهم فقال:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٦]»(١).

ومن ذلك تأمله تكرار الآية: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٣، ٥]، فقد تكررت مرتين في سورة الكافرون، الأولىٰ بعد ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢]، والثانية بعد: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾ [الكافرون: ٤]، ولاحظ أنها جاءت في كل مرة مراعاة لحال من أحوال الكافرين، فالأولىٰ راعت الوصف الأولي الابتدائي، والثانية راعت لزومه واستمراره فيهم، فقال: «﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] **لعدم إخلاصكم في عبادته، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمىٰ عبادة، ثم كرر ذلك؛ ليدل الأول علىٰ عدم وجود الفعل، والثاني علىٰ أن ذلك قد صار وصفًا لازمًا**»(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٣٠)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٨/ ١٨٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٣٦).

المطلب السابع: أسلوب البناء للمفعول.

لا شك أن لعدول الأسلوب من منحىٰ لآخر غايات ودلالات، ومن ذلك استعمال أسلوب البناء للمفعول دون الفاعل، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تدبر هذا الأسلوب، ومن ذلك تأمله السر البلاغي في صياغة الفعل للمفعول (قيل)، فيقول في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]: «**لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك علىٰ أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته علىٰ ما قضىٰ به علىٰ أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة**»[(١)].

المطلب الثامن: أسلوب الاستفهام.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ معاني الأساليب البيانية القرآنية، ومن ذلك ملاحظته السر البلاغي في أسلوب الاستفهام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وأنه مستعمل لتقرير النفي؛ فقال: «**هذا استفهام بمعنىٰ النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا. أي: كلامًا وطريقة وحالةً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهىٰ الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه**»[(٢)].

◆ ◆ ◆

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٣١)، وانظر: الفوائد؛ لابن القيم (ص: ١٦٢)، وروضة المحبين (ص: ٦٤، ٦٥)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ٧٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٩). وانظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٨٨)، وتفسير سورة فصلت؛ لابن عثيمين (ص: ١٨٣).

المطلب التاسع: أسلوب الالتفات.

يحمل أسلوب الالتفات دلالات عظيمة، ومضامين جليلة، فليس الالتفات مجرد تحويل في الأسلوب، بل له أثره البالغ في بلاغة التراكيب ومعاني العبارات؛ وذلك بما يحمله من قيم أخلاقية وإشارات تربوية، فنرىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في معرض تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام مع ضيفه يلاحظ دلالة الالتفات في الخطاب عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ويلاحظ أن في عدم توجيه الخطاب بالنكارة إلىٰ الضيوف نوع من الأدب ولطف الكلام فقال: «**ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال:** ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، **ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفىٰ**»(١).

ومن ذلك ملاحظته التغاير في الأسلوب الإنشائي عند تغاير المعنىٰ المراد إيصاله، ففي قوله تعالىٰ حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] يلاحظ أن معنىٰ إرادة الخير صيغ بأسلوب البناء للفاعل، بينما معنىٰ إرادة الشر صيغ بأسلوب البناء للمفعول، فقال: «**وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلىٰ الله تعالىٰ، والشر حذفوا فاعله تأدبًا مع الله**»(٢).

المطلب العاشر: أسلوب الإغراء.

لكل مقام مقال، وأَعْظِم بالقرآن حين يتحدث، فتراه يسوق أساليب الترغيب والترهيب بأحسن توظيف وأحكم تأليف، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ أساليب القرآن في الترغيب والترهيب، وهي في بعض الأحيان دقيقة خفية، لا تظهر إلا لمن

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٩٠)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٨/ ٢٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٩/ ٤٤).

أعمل فكره وأدار بصره، ومن ذلك تدبره لانتقاء القرآن الكريم اسم (الرحمن) للدلالة علىٰ الذات العلية من بين الأسماء الحسنىٰ، واستشعاره لما يحمله الاسم العظيم من الدلالات، وتدبره كذلك لتركيب الجملة وإضافة العصيان إلىٰ اسم (الرحمن)؛ وذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤] فقال: «**وفي ذكر إضافة العصيان إلىٰ اسم الرحمن، إشارة إلىٰ أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته**»[(١)]؛ فنراه يلحظ معنىٰ الترغيب والترهيب الذي هو أحد أشكال تدبر القرآن الكريم، ويستشعر أسلوب الإغراء في الآية الدافع للعبد نحو سلوك سبيل الرحمة من أداء الطاعات، واجتناب سبيل النقمة بارتكاب المعاصي والمخالفات.

المطلب الحادي عشر: أسلوب التعريف والتنكير.

يستشف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من الدلالة البلاغية للتعريف والتنكير معنىٰ لطيفًا، ففي قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٥-٦]، لاحظ تكرار (العسر) و(اليسر) مرتين، وتنبه إلىٰ أن (العسر) جاء في المرتين معرفًا بينما جاء (اليسر) فيهما منكرًا، فقال: «**وتعريف (العسر) في الآيتين، يدل علىٰ أنه واحد، وتنكير (اليسر) يدل علىٰ تكراره، فلن يغلب عسر يسرين**»، ولم يتوقف عند هذا الحد بل لاحظ معنىٰ ال التعريف وما فيها من دلالات، وربطها بالمعنىٰ السابق؛ فقال: «**وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة علىٰ الاستغراق والعموم يدل علىٰ أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له**»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٩)، وانظر: الكشاف (٤/ ٧٧١)، والتسهيل لعلوم التنزيل؛ لابن جزي (٢/ ١٩٣).

◆ **المطلب الثاني عشر: أسلوب استعمال الظاهر في مقام المضمر.**

وضع الظاهر موضع المضمر يكون لفوائد ومحترزات، وتعليلات ومبررات، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل دقة القرآن في توظيف الألفاظ وإظهارها وإضمارها، ومن ذلك تأمله التعبير بالاسم الظاهر دون الضمير لعلة احترازية في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]؛ فيقول: «**وتأمل كيف قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعد قوله ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، ولم يقل: (فويل لهم)؛ ليعود الضمير إلىٰ الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، فقالت في عيسىٰ: «إنه عبد الله ورسوله» فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فلهذا خص الله بالوعيد الكافرين**»(١).

ويتدبر كذلك أسلوب القرآن في استعمال الظاهر مكان المضمر، فنراه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [غافر: ٢٥] يلاحظ التعبير بالاسم الظاهر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بدل ضمير الجمع (هم) عند إضافة الكيد للقوم المذكورين قبل فيقول: «**﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: (كيدهم)**»، فكشف عن النكتة في ذلك ملاحظًا معهود القرآن وعادته الأسلوبية فقال: «**وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالىٰ: إذا كان السياق في قصة معينة أو علىٰ شيء معين، وأراد الله أن يحكم علىٰ ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم،**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٣)، وانظر: الجواب الصحيح؛ لابن تيمية (٢/ ١٦٥)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٥/ ٢٣١)، وروح المعاني (٨/ ٤١١).

وعلَّقه علىٰ الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلهذا لم يقل: (وما كيدهم إلا في ضلال)، بل قال: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٣٦)، وانظر: أنوار التنزيل (٥/ ٥٥)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ٢٧٣)، والقواعد الحسان: القاعدة السابعة والأربعون: السياق الخاص يراد به العام إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة. (ص:١٢٢).

المبحث الرابع:
أساليب القرآن في رد الشبهات وتفنيد مزاعم المشركين(١)

انبرىٰ الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لبيان أساليب القرآن الكريم في رد شبهات المشركين ومطاعن المشككين ودعاوىٰ المغرضين، وقد أحسن في عرض الأساليب، فأبان عن جملة من الأساليب المنطقية والحجج العقلية، التي تدمغ الباطل وتمحقه، وتدحض حجته وتسحقه، فلا يملك الحصيف العادل إلا الإذعان والتسليم، وترك لجج المجادلة والخصام، وهاك نماذج من تلك الأساليب:

◆ المطلب الأول: أسلوب التسلسل المنطقي.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ التسلسل المنطقي والعرض الترتيبي للآية القرآنية، فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ٥] يقول: «**وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلىٰ أبطل منه، فأخبر أولًا أنه: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾، والقول علىٰ الله بلا علم لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانيًا أنه: قول قبيح شنيع فقال: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ﴾، ثم ذكر ثالثًا مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق**»(٢). فجعل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الرد علىٰ قول الكفرة المشركين: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا﴾ [الكهف: ٤]، وإبطال قولهم يتدرج في ثلاثة مراحل، المرحلة الأولىٰ: نفي

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة الثانية والخمسون: إذا وضح الحق وبان، لم يبق للمعارضة العلمية، ولا العملية محل. (ص:١٣٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٧٠).

العلم عنهم ورميهم بالجهل والقول علىٰ الله بغير علم، وهذه مقدمة ضرورية لما بعدها، المرحلة الثانية: وصف قولهم بالقبح والشناعة، والجاهل إن تكلم بغير علم فلا يخلو قوله من قبح، أدناه قبح التجرؤ علىٰ الكلام بغير علم، فما بالك لو تكلم في حق الله! وهذه المرحلة توطئة وضرورية لما بعدها، المرحلة الثالثة: وصف قولهم بالكذب، وهذا وصف دقيق لمبلغ القبح والشناعة في قولهم، فهو قول شنيع مختلق، ومحض افتراء وكذب؛ إذ لا أصل له ولا حقيقة.

◆ المطلب الثاني: أسلوب الحجة المنطقية العقلية.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يلاحظ الحجة المنطقية التي تعرضها الآيات القرآنية في بيان بطلان آلهة المشركين وتقرير زيفها وعجزها، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ۝٧٤ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] يقول: «**هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالىٰ، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في غاية العجز ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ﴾ ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والإرادة**[(١)]**، فإذا استطاع، يبقىٰ: هل يريد نصرة من عبده أم لا؟ فَنَفْيُ الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما**»[(٢)]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قرر أن للنصر شرطين: الاستطاعة والإرادة، ولاحظ أن الآية نفت عن الآلهة الاستطاعة، فانتفت ضمنيًا الإرادة، ونفي الاستطاعة والإرادة دليل عجز لا يتصف به الإله.

---

(١) في النص الأصلي: (والقدرة)، والذي يظهر ما أثبته؛ كما قال محقق الكتاب: ويبدو -والله أعلم- أن الشرطين هما: الاستطاعة والإرادة، وبقية كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يدل علىٰ ذلك.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٩)، وينظر: جامع البيان؛ للطبري (١٩/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وإغاثة اللهفان؛ لابن القيم (١/ ٤٠)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ١٧٩).

المطلب الثالث: أسلوب التقسيم المنطقي.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يتأمل التقسيم المنطقي في عرض الحجة، فمن ذلك تأمله للأسلوب المنطقي للآية الكريمة: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] الواردة في سياق محاجة الكافرين والرد علىٰ إنكارهم وجود إله خالق؛ فلاحظ أن الآية تحمل جملة من الأسئلة التي تقود إلىٰ تقرير نتيجة حتمية أنه لا خالق إلا الله، فبدأ أولًا بعرض الاستنباط فقال: «**وهذا استدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين**»، ثم شرع بعد ذلك في بيان ما قرره فقال: «**وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خُلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وُجدوا من غير إيجاد ولا مُوجِد، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وهذا أيضًا محال، فإنه لا يتصور أن يُوجِدوا أنفسَهم، فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهما، تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالىٰ هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالىٰ**»(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١٦)، وانظر: مفاتح الغيب (٢٨/ ٢١٨).

المبحث الخامس:

المضامين التربوية لأساليب الآيات القرآنية.

إن الناظر في تفسير الشيخ السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» يجده يعتني بالجوانب الأخلاقية والمضامين التربوية، فجاء تفسيره حافلًا بالتدبرات الغنية بالإشارات والقيم الأخلاقية التربوية، وهذه المطالب تحكي نماذج من هذه التدبرات.

◆ المطلب الأول: النموذج الأول: مراعاة الأسلوب المناسب لحال المدعو[(١)].

ومن ذلك ملاحظة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أسلوب القرآن الكريم في التدرج في معالجة القضايا والأمور، ويظهر ذلك جليًا عند تدبر قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] فيقول: «**ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإنِ انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب......، فإن كان المدعو يرىٰ أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلىٰ الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعىٰ لاستجابته عقلًا ونقلًا**»[(٢)]. فنراه يتأمل الأمر بدعوة الخلق

---

(١) القواعد الحسان: «القاعدة الحادية والعشرون: القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة للعرف والعوائد». (ص: ٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٥٢)، وانظر: الصواعق المرسلة؛ لابن القيم (٤/ ١٢٧٦)، والرد علىٰ =

إلىٰ سبيل الله المستقيم مراعيًا اختيار الوسيلة المناسبة بحسب حالة المدعو وفهمه وانقياده، فيجعل لكل حالة أسلوب ووسيلة، ويلاحظ ترتيب الآية وتدرج القرآن في عرض الوسائل والأساليب وانتقالها من الحكمة إلىٰ الموعظة إلىٰ المجادلة بالتي هي أحسن، فالترتيب لذاته مقصود، والداعية يقدر حال المدعو وظروفه، ويبدأ بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، فإن تعذر القبول بالرفق واللين، انتقل إلىٰ الدعوة بالموعظة، فإن كان المدعو مجادِلًا؛ فيجادَل بالتي هي أحسن.

المطلب الثاني: النموذج الثاني: التأني في طلب العلم.

ومن ذلك معايشته للآيات التي تحمل توجيهات إلهية للنبي ﷺ ولأنبيائه الكرام، فيستشف منها جوانب من الفوائد الدقيقة والآداب الرفيعة التي ينبغي أن يتحلىٰ بها المتعلم والمعلم، ويوظفها في خدمة العملية التعليمية من الناحية التربوية، فنراه عند تفسير قوله تعالىٰ: «﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] يقول: «**ويؤخذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنىٰ ويصبر حتىٰ يفرغ المُمْلي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم؛ فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل ويعرف المقصود منه قبل الجواب؛ فإن ذلك سبب لإصابة الصواب**»(١).

= المنطقيين؛ لابن تيمية (ص: ٤٦٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٤)، وانظر: فتح الرحيم الملك العلام؛ للسعدي (ص: ٢١١).

المطلب الثالث: النموذج الثالث: التأدب مع الضيفان.

ومن ذلك ملاحظته أسلوب العرض دون الأمر في خطاب إبراهيم لضيفه حين أعد لهم الطعام حين قال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧]، ولم يقل: (كلوا)، وما في هذا الأسلوب من الأدب واللين، ويصدر تأمله عن دعوة للاقتداء بسلوك الأنبياء عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فيقول: «**ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا، وقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولىٰ منها، بل أتىٰ بأداة العرض، فقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾. فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا)، ونحوه**»(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨١١)، وانظر: مفاتيح الغيب (٢٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٣٦٠).

الفصل الثاني:

مجالات التدبر الموضوعية

استطاع الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ -بتوفيق الله له- طَرْق عدةَ مجالات تدبرية، ومواطن تأملية، بحسب موضوعاتها ومضامينها، وعلىٰ تنوع مشاربها ومناحيها، والناظر فيها يجدها مستودعًا للتدبرات ومنبعًا للتأملات، فما أجمل أن نعتني بها ونجتهد في التفتيش عن مكامن التدبر فيها، والمباحث الآتية تسلط الضوء علىٰ جوانب منها، فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول:

أقسام القرآن

للشيخ السعدي رحمه الله عناية خاصة بأقسام القرآن الكريم، فلا تكاد تجد موضعًا من الأقسام لم يقف عنده ويحلله ويتأمله، ويصدر عن تأملات وتدبرات نفيسة، ومن ذلك تأمله للقسم الوارد في فاتحة سورة يس؛ عند قوله تعالىٰ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ١-٥]، فنراه يوضح العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه؛ فبدأ أولًا ببيان أقسام القسم فقال: «**هذا قسم من الله تعالىٰ بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة،**......، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ **هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد** ﷺ، **وإنك من جملة المرسلين، فلست ببدع من الرسل**»، ثم كشف عما تأمله من علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وهي علاقة تعاضد ومساندة؛ فقال: «**ولا يخفىٰ ما بين المقسم به، وهو القرآن**

الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد ﷺ، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفىٰ به دليلًا وشاهدًا علىٰ رسالة محمد ﷺ، بل القرآن العظيم أقوىٰ الأدلة المتصلة المستمرة علىٰ رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد ﷺ»، ثم قال بعدها: «**فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، علىٰ أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالىٰ أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع علىٰ صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه، وهذا الصراط المستقيم** ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾»[(١)].

ومن ذلك إبرازه مدلولات القسم وبيانه الروابط وإيضاحه العلاقات بين المقسم به والمقسم عليه بقالب تدبري، ويظهر ذلك عند تأمله فاتحة سورة التين، فبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بتأمل العلاقة بين المقسم به في الآيات الكريمة؛ واستطاع أن يبرز العلاقة بين التين والزيتون الذين هما نباتات، وبين الطور والبلد الأمين الذين هما أماكن، فراعىٰ مكان انتشار التين والزيتون وكثرة زراعتهما، فكانت الشام حاضنتهما وهي محل نبوة نبي كريم، وهي العلاقة المشتركة بين الطور والبلد الأمين فهما محل نبوة نبيين كريمين أيضًا؛ فكانت السورة مفتتحة بالقسم بأشرف المواضع وأقدسها، فقال: «﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين: ١]، **هو التين المعروف، وكذلك** ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ [التين: ١] **أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسىٰ ابن مريم** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، **أي: طور**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٢)، وانظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٥/ ٤٤٩)، ونظم الدرر؛ للبقاعي (١٦/ ٩٤).

سيناء، محل نبوة موسىٰ ﷺ، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ٣] وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد ﷺ. فأقسم تعالىٰ بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها».

ثم راح يتأمل المقسم عليه مستشعرًا ما يتوجب علىٰ الإنسان القيام به تجاه تلك النعمة العظيمة والمنة الجسيمة من صنع الإنسان في أحسن صورة وأتم خلقة، فقال: «**والمقسم عليه قوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤] أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين**»[١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٢٩)، وانظر: مفاتيح الغيب (٣٢/ ٢١١)، ونظم الدرر (٢٢/ ١٣٤).

المبحث الثاني:
الخطاب القرآني[1]

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ اهتمام واضح في ملاحظة الخطاب القرآني، فيقف عنده ويتأمله، ويسقطه على الواقع، ويكشف عن شيء من أسراره، ويبرز علة تغاير الخطاب وما يحمل في طياته من إشارات، فمثلًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، فيقول: «**واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة**»، فنراه هنا يلاحظ الفارق الزماني للقوم المخاطبين أصالة ويسقطه على القوم المخاطبين نيابة، ويستشف من ذلك الخطاب فوائد فيقول: «**ونسبت لهم لفوائد عديدة منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟**

ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة السادسة والأربعون: ما أمر الله به في كتابه، إما أن يوجه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه، وإما أن يوجه لمن دخل فيه فهذا أمر به ليصحح ما وجد منه، ويسعى في تكميل ما لم يوجد فيه. (ص:١٢١).

ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل علىٰ أن الأمة المجتمعة علىٰ دين تتكافل وتتساعد علىٰ مصالحها، حتىٰ كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثًا من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلىٰ غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله»(١).

ويلاحظ المعاني التربوية في الخطاب والحوار القرآني، ويتأمل الأثر النفسي لاختيار اللفظ وما يتركه في نفس المخاطبين فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، لاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن يوسف عليه السلام مر بمراحل عصيبة ومواقف شديدة، فمن إلقائه في الجُبِّ صغيرًا، إلىٰ بيعه عبدًا مملوكًا، مرورًا بفتنة امرأة العزيز، ثم دخوله السجن، وغيرها من المشاهد والأحداث التي تجسدت فيها الألطاف الإلهية والعناية الربانية، ولكنه اختار في موقف تعداد نعم الله عليه وإحسانه به أن يذكر نعمة إخراجه من السجن، والمتقرر أن العبد إذا أراد أن يحدث بنعم الله عليه فإنه يذكر أولاها عناية، وأعلاها ولاية، وأكثرها رعاية، وأخصها إحسانًا، وأوسعها امتنانًا، ولعل أقربها إلىٰ الوصف المذكور نعمة إخراجه من السجن، إذ كانت العناية فيها عظيمة، والمنة فيها جسيمة، طفل صغير يلقىٰ في بئر مظلم في صحراء مقفرة مليئة بالوحوش والسبع والهوام، لا غذاء ولا كساء، دون ذنب اقترفه، وليس له في ذلك يد ولا اختيار، أما حادثة السجن فكانت باختياره(٢)،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣-٥٤)، وانظر: إرشاد العقل السليم (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٥١٢)، والبرهان في علوم القرآن؛ للزركشي (٣/ ٦٦)، وفتح الرحمن؛ =

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا لاحظ أن يوسف عليه السلام أحسن قراءة موقف اجتماع أبويه وإخوته به فانتقىٰ أرقىٰ العبارات وأحلىٰ الكلمات ليوصل مقصوده دون تجريح أو إحراج؛ فلم يجرح ولم يحرج؛ فقال بكل لباقة وأناقة: «﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾، **وهذا من لطفه وحسن خطابه** عليه السلام**، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب**»(١).

ونراه يقف عند طائفة من الآيات التي تخاطب النبي ﷺ مُذكِّرة بمنَّته سبحانه علىٰ نبيه وحفظه له من كيد أعداء الدين المتربصين للفتك به وبدعوته؛ وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٧]، فيقول: «**وفي هذه الآيات، دليل علىٰ شدة افتقار العبد إلىٰ تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملِّقًا لربه أن يثبته علىٰ الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصل إلىٰ ذلك؛ لأن النبي** ﷺ **وهو أكمل الخلق، قال الله له:** ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾، **فكيف بغيره؟**»، فنراه هنا يصدر تدبره عن استشعار بشدة افتقار العبد لمولاه، وأنه مهما بلغت مرتبته وعلا قدره فإنه لا يزال مفتقرًا لسؤال ربه الثبات علىٰ الإيمان، ويلاحظ أن الخطاب موجه إلىٰ سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ وهو المُسَدَّد المؤيَّد بنور الله، فيستشعر أنه لا مفر من سؤال العبد ربه الثبات، بل حريٌّ بغير النبي ﷺ أن يداوم علىٰ ذلك

= للأنصاري (ص:٢٨٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠٥)، وانظر: انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٦٠).

فهو أولىٰ بذلك وأجدر، ثم يقول: «**وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك علىٰ أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم -عند وجود أسباب الشر- بالعصمة منه، والثبات علىٰ الإيمان**»، فيلاحظ أن استشعار النعم في أوقات معينة وشكرها -وأعظمها نعمة الإيمان- مما يحبه الله ويرضاه، وشكرها يكون بالعصمة من الوقوع في أسباب الشر وبسؤال الله الثبات عليها، ويلاحظ أيضًا نوع الخطاب فيها، وما يتضمنه من أسلوب التهديد والوعيد علىٰ ارتكاب الآثام، فيقول: «**وفيها أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل -وحاشاه من ذلك- بقوله:** ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾»[(١)]. فيلاحظ أن الآية الكريمة جاءت بأسلوب افتراضي؛ لتبين أن الجرم يعظم بحسب مرتبة صاحبه، والخطاب هنا -وإن كان موجهًا للنبي ﷺ- فهو غير متجه إليه البتة، والمراد تحذير أمته من الوقوع في مسالك المهادنة والموافقة لمطالب أعداء الدين الحريصين علىٰ زعزعة ثباته في قلوب المؤمنين الصادقين، فهذا التهويل في التحذير دليل أكيد علىٰ عظم الجرم وبشاعته، وأنه لا هوادة في من يقترف مثل هذه الأفعال أيًّا كانت مرتبته، بل يعظم إثمه بحسب مرتبته.

ومن ذلك ملاحظته الأثر الدلالي العميق في استعمال صيغة الجمع عند توجيه الخطاب للمفرد في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، فمن المعلوم أن المخاطب به خطابًا أوليًا هي الحصان الرزان أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها، إلا أن الخطاب جاء لجماعة المسلمين، وتفطَّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٤)، وانظر: مفاتيح الغيب (٢/ ٣٨٠)، وإعلام الموقعين؛ لابن القيم (١/ ١٣٦).

لذلك ووقف عنده وراح يتأمله وصدر عن تدبر مفاده: «**ولذلك جعل الخطاب عامًّا مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم علىٰ مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلىٰ هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه**»[1].

ومن ذلك ملاحظته لمغزىٰ إيراد الافتراضات القرآنية في المحاجة العقلية للمخاطبين في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣]، وكشفه عن ما وراءها من إشارات، وما فيها من تحذيرات وتنبيهات، فهي وإن كانت موجهة للقوم المعاندين ابتداءً، إلا أن عموم المؤمنين مخاطبون بها خطابًا ضمنيًّا وهو ما تفطن إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تأمله حين قال: «**وفي هذه الآيات، تنبيه إلىٰ أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرىٰ مع العوائد، ورأىٰ أن هذا أمر لم يزل مستمرًّا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء علىٰ الله بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر**»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٢٣)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ١٦٨)، وتفسير سورة القصص؛ =

المبحث الثالث:

المتشابه اللفظي

لم يغفل الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علم المتشابه اللفظي، بل جعله محط اهتمامه وموضع أنظاره، فهو يلاحظ دقة القرآن في استعمال بعض الأدوات والتراكيب مع ألفاظ في مواطن وتركها في مواطن أخرىٰ، ويكشف عن النكتة في ذلك، فتراه يتأمل السر البلاغي واللطيفة البيانية في اقتران الفعل ﴿فُتِحَتۡ﴾ بالواو في معرض الحديث عن دخول المتقين الجنة، بينما خلا ذلك الفعل من الواو في معرض الحديث عن دخول الكافرين النار، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، فقال: «**وقال في النار** ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، **وفي الجنة** ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ **بالواو، إشارة إلىٰ أن أهل النار بمجرد وصولهم إليها؛ فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم وعلىٰ وصولهم؛ أعظم لحرِّها، وأشد لعذابها.**

وأما الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتىٰ بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلىٰ الله بمحمد ﷺ، حتىٰ يشفع، فيشفعه الله تعالىٰ»[1]، وللمفسرين في توجيه هذا المتشابه أقوال

= لابن عثيمين (ص: ٣٢٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٣٠).

مخالفة لما ذهب إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فقد قال الكرماني: «﴿وَفُتِحَتِ﴾ **بالواو للحال: أي جاؤوها وقد فتحت أبوابها**»[1]. وقال البيضاوي: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ **حذف جواب إذا للدلالة علىٰ أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين**»[2]، وقال السمين: «**وإنما جيْءَ هنا بالواوِ دونَ التي قبلها؛ لأنَّ أبوابَ السجون مغلقةٌ إلىٰ أَنْ يَجيْئَها صاحب الجريمة فتُفتَحَ له ثم تُغْلَقَ عليه؛ فناسَبَ ذلك عَدَم الواوِ فيها، بخلافِ أبوابِ السرورِ والفرحِ فإنَّها تُفْتَحُ انتظارًا لمَنْ يَدْخُلُها**»[3]. فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ معاني الأحاديث الشريفة في شفاعة النبي ﷺ في فتح أبواب الجنة[4]، وأعملها في توجيه المتشابه اللفظي هنا، والحقيقة أن الآية تصف دخول المؤمنين بعد شفاعة النبي ﷺ وفتحه أبواب الجنة، والأحاديث تصف مرحلة سابقة عنها.

---

(١) أسرار التكرار في القرآن؛ للكرماني (ص: ٢١٩).

(٢) أنوار التنزيل (٥/ ٥٠).

(٣) الدر المصون (٩/ ٤٤٧).

(٤) كما في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: مَن أنْتَ؟ فأقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ**». المسند الصحيح المختصر؛ لمسلم القشيري (١/ ١٨٨).

المبحث الرابع:
مشاهد القيامة

يحفل القرآن الكريم بالحديث عن يوم القيامة وعرض مشاهده، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يعيش مع هذه المشاهد ويلاحظ مقصد القرآن وهدفه من الإخبار عن أحداث يوم القيامة وما يكون فيه من وقائع، ومن ذلك تأمله ما يكون من تبرؤ الشيطان من أتباعه، وكفره بشركهم، وتحكي الآية ذلك المشهد وفيه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يُحلِّق بعيدًا في مقصد الآية، فيلاحظ فيها جوانب من الألطاف الإلهية بعباده المؤمنين، فيقول: «**وهذا من لطف الله بعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمداخله التي يدخل منها علىٰ الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم** ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٤]»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٢٤)، وانظر: نظم الدرر (١٠/ ٤٠٨)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٢١٨).

المبحث الخامس:
الأدعية القرآنية

يتأمل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الأدعية القرآنية ويلاحظ أبعاد المطالب فيها وما تتضمنه من لوازم، فمثلًا عند تفسير سؤال أولي الألباب ربهم وقايتهم من النار، وذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿لَآيَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] يقول: «**بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار**»؛ ففسر طلب النجاة من النار بالهداية والإرشاد والتوفيق لأسباب النجاة منها، وذلك من خلال الهداية للعصمة من السيئات والإعانة والتوفيق للأعمال الصالحات، ولاحظ ما يتضمنه لازم سؤال الوقاية من النار من سؤال دخول الجنة، وعلل الاكتفاء بالطلب الأول تقديمًا للأولىٰ والأهم فقال: «**ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٦١).

المبحث السادس:
أسماء الله الحسنى(١)

المطلب الأول: نماذج من تدبرات الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لأسماء الله الحسنى.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ذو عناية فائقة بملاحظة التناسب بين دلالات الأسماء الحسنىٰ ومعاني الآيات الواردة فيها، فيحرص علىٰ ذكر العلاقة بين ختم الآيات بالأسماء الحسنىٰ ودلالة الآية ومقصدها، وإبراز الترابط بينهما، فينشئ تكاملًا معنويًّا بقالب تدبري، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه ليسلط الضوء علىٰ وجه اختيار بعض الأسماء دون غيرها لختم الآية، فمثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، نراه يلاحظ ختم الآية بالاسمين الكريمين (الغفور) (الرحيم)، فيبدأ بذكر ما يتضمناه من دلالات فيقول: «**ثم ختم الآية باسمين كريمين دالَّين علىٰ سعة رحمته وعموم مغفرته وسعة إحسانه وعميم إحسانه، فقال:** ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾»، ثم يذكر تأملًا دقيقًا وتدبرًا عميقًا ينبئ عن معايشة للآية واستشعار عالٍ للمعنىٰ، فيقول: «**ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق وأن منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه**»، فبعد أن استشعر عظم المغفرة الإلهية والرحمة الربانية راح يتأمل أسرار

(١) القواعد الحسان: القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنىٰ في ختم الآيات. (ص:٥٣)، والقاعدة الثلاثون: أركان الإيمان بالأسماء الحسنىٰ ثلاثة: إيماننا بالاسم، وبما دل عليه من المعنىٰ، وبما تعلق به من الآثار. (ص:٨٩).

التناسب في اختيار الاسمين الكريمين فيقول: «**فلم يختمها باسمين: أحدهما دالٌّ علىٰ الرحمة، والثاني دالٌّ علىٰ النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل علىٰ الرحمة، فله تعالىٰ رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف**»، ثم بعدها يترجم تدبره الوجداني إلىٰ انفعال دعائي فيقول: «**فنسأله تعالىٰ أن يتغمدنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين**»(١).

ويلاحظ دلالات الألفاظ وما تحمله من معان، ويلاحظ التقديرات الإعرابية وما يتفرع عنها من معان، ومن ذلك تأمله للفظ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، فنراه يفسر الآية مراعيًا معنىٰ لفظ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ ووجهه الإعرابي؛ ويذكر له هنا معنيين وتقديرين، ففي الأول: جعل ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ بمعنىٰ المحمود (ذي الصفات الحسنة الحميدة)، وجعل إضافة الصراط إليه وصفًا تبعيًا فقال: «﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ **أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتوٍ علىٰ الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهي عنه، وهو الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، المشتمل علىٰ العلم النافع والعمل الصالح**».

وفي الثاني: جعل ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ بمعنىٰ مستحق الحمد وأهله، وجعل إضافة الصراط إلىٰ مقدر يعود علىٰ الذات العلية، مستحضرًا في تقديره غالب استعمال القرآن ومعهوده في إضافة الصراط إلىٰ الله ﷻ(٢)؛ فقال: «**أو: (وهدوا إلىٰ صراط الله الحميد)، لأن الله كثيرًا ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلىٰ الله**»، ولما

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٤٦).

(٢) نحو: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: ١٢٦]، ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٥٢-٥٣].

كان لفظ ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ على هذا التقدير يعود على الله ﷻ لم يبرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسير الآية حتى بثَّ فيها تأملاته فقال: «**وفي ذكر** ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ **هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]»[(١)].

وكأني بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يرسم تكاملًا دلاليًّا بين المعنيين، فقوله: «**لأنه يوصل صاحبه إلى الله**» فيه إشارة إلى الهداية الأولى الحاصلة بالدلالة والإرشاد إلى صراط الله العزيز الحميد؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله: «**ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]» فيه إشارة إلى الحمد على جزاء الهداية في الآخرة حين تلهج ألسنتهم بحمد الله على هدايته لهم لهذا الفوز والجنة؛ فله الحمد على الهداية الأولى، وله الحمد على جزاء هدايته في الآخرة، فله الحمد في الأولى والآخرة.

ويلاحظ دلالة الاسمين الكريمين (السميع) و(العليم)، ووجه مناسبة ختم الآية بهما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]، فيقول: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ **أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات، في خفي المواضع والجهات،** ﴿عَلِيمٞ﴾ **بالظواهر والبواطن، والسوابق واللواحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات. وفي ذكر الاسمين الكريمين -بعد**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣٦)، وانظر: التبيان في إعراب القرآن؛ للعكبري (٢/ ٧٦٢)، والدر المصون (٧/ ٦٦-٦٧).

النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه- حثٌّ علىٰ امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال»[1]، فلاحظ الشيخ أن الاسمين الكريمين يفيدان الترغيب بالعمل والامتثال، والترهيب من النكوص والنكال.

ومن ذلك تأمله سر اقتران الاسمين الكريمين (الودود) و(الغفور) في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، فقال: «**وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ بـ: ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾، ليدل ذلك علىٰ أن أهل الذنوب إذا تابوا إلىٰ الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين**[2]»، ثم أتبع التأمل بانفعال سلوكي حيث لهج لسانه بالحمد والثناء لله ﷻ علىٰ عظيم بره وخيره وإحسانه ﷻ فقال: «**فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه**»[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٩٩).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في طريق الهجرتين (ص:٢٣٢-٢٣٣): «وهذا بخلاف ما يظنه من نقصت معرفته بربه من أنه سبحانه إذا غفر لعبده ذنبه فإنه لا يعود الود الذي كان له منه قبل الجناية. واحتجوا في ذلك بأثر إسرائيلي مكذوب أن الله قال لداود عليه السلام: يا داود، أما الذنب فقد غفرناه، وأما الود فلا يعود. وهذا كذب قطعًا، فإن الود يعود بعد التوبة النصوح أعظم مما كان، فإنه سبحانه يحب التوابين، ولو لم يعد الود لما حصلت له محبته، وأيضًا فإنه يفرح بتوبة التائب، ومحال أن يفرح بها أعظم فرح وأكمله وهو لا يحبه. وتأمل سر اقتران هذين الاسمين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣-١٤] تجد فيه من الرد والإنكار علىٰ من قال: لا يعود الود والمحبة منه لعبده أبدًا، ما هو من كنوز القرآن ولطائف فهمه، وفي ذلك ما يهيج القلب السليم ويأْخذ بمجامعه ويجعله عاكفًا علىٰ ربه -الذي لا إله إلا هو ولا رب له سواه- عكوف المحب الصادق علىٰ محبوبه الذي لا غنىٰ له عنه، ولا بد له منه ولا تندفع ضرورته بغيره أبدًا».

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩١٨).

وهذا نابع مما قرره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بقوله: «**يختم الله الآيات بأسماء الله الحسنىٰ، ليدل علىٰ أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم وهذه القاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك علىٰ أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها، وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجَلِّ المعارف وأشرف العلوم**»[(١)].

المطلب الثاني: اختلاف تدبر الاسم الحسن لاختلاف سياق الآية الوارد فيها.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عند تأمله فواصل الآيات المختومة بأسماء الله الحسنىٰ يربط بين مقتضىٰ الاسم ولوازمه وما تتضمنه الآيات من معان بحسب السياق الواردة فيه، وهذا المثال يسلط الضوء علىٰ تأمله الاسمين الكريمين (العزيز، الحكيم) في آيتين مختلفتين، ويظهر اختلاف تفسيرهما بحسب ما يستشفه من دلالة الآيات وما يناسبها من معاني الاسمين الكريمين، ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فسَّر العزة: بالقدرة وعدم العجز، وفسَّر الحكمة بالعدل والإنصاف والقسط، وهذا التفسير مبني علىٰ ملاحظته مجيء الآية في سياق المغفرة؛ فقال: «**فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ حيث كان من مقتضىٰ حكمتك أن تغفر لمن أتىٰ بأسباب المغفرة**»[(٢)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]، فسَّر العزة بالقهر وخضوع الخلق وانقيادهم له سبحانه، وفسَّر الحكمة بالعلم

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة التاسعة عشرة: الأسماء الحسنىٰ في ختم الآيات. (ص:٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٤٩).

ووضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، وهذا التفسير مبني على ملاحظته مجيء الآية في سياق بيان الربوبية والعبودية له رب العالمين؛ فقال: «**فافتتح تعالىٰ هذه السورة بالإخبار أن جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبده وتخضع لجلاله لأنه ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، ولا يستعصي عليه مستعص، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضىٰ حكمته**»(١).

المطلب الثالث: احتفاء الشيخ (عبد الرحمن) باسم الله (الرحمن).

كان لاسم الله (الرحمن) عناية خاصة واحتفاء زائد من لدن الشيخ عبد الرحمن السعدي، فاسمه المشرف بإضافته للذات العلية جعله يستصحبه في كل الآيات الوارد فيها، ويقف عنده ويتأمله، فمن ذلك تدبره لانتقاء القرآن الكريم اسم (الرحمن) للدلالة علىٰ الذات العلية من بين الأسماء الحسنىٰ، واستشعاره لما يحمله الاسم العظيم من الدلالات، وتدبره كذلك لتركيب الجملة وإضافة العصيان إلىٰ اسم (الرحمن)؛ وذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤] فقال: «**وفي ذكر إضافة العصيان إلىٰ اسم الرحمن، إشارة إلىٰ أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته**»(٢).

ويتأمل السر في اختيار اسم (الرحمن) من بين الأسماء الحسنىٰ في إضافة الآيات إليه في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨]،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٤).

فيقول: «**وفي إضافة الآيات إلىٰ اسمه (الرحمن) دلالة علىٰ أن آياته؛ من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلىٰ الحق، وبصَّرهم من العمىٰ، وأنقذهم من الضلالة، وعلَّمهم من الجهالة**»(١). فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ دلالة الاسم علىٰ الرحمة وما تتضمنه الرحمة من إيصال الخير إلىٰ المرحومين، وأي خير أعظم من نور الهداية؟ وأي رحمة أعظم من النجاة من النار؟

ويلاحظ النكتة من اختيار اسم (الرحمن) من بين الأسماء الحسنىٰ في إضافة الذكر إليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦] فيقول: «**وفي ذكر اسمه (الرَّحْمَنِ) هنا، بيان لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن -مُسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا إياه- بالكفر والشرك**»(٢).

ويلاحظ إضافة الملك والتصرف المطلق يوم القيامة إلىٰ اسم (الرحمن)، ويستشعر ما في ذلك من دلالات فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦]، فقال: «**يخبر تعالىٰ عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾.......، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك في يوم القيامة لاسمه (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمَّت كل حي، وملأت الكائنات، وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٢٣)، وانظر: جامع البيان (١٦/ ٢٧٠)، والجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (١١/ ٢٨٨).

كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة علىٰ الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم، وهو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك، ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب»[1].

ومن ذلك تأمله السر في إضافة الوعد إلىٰ اسم (الرحمن) في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] فقال: **«ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر علىٰ الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦]، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا»**[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨١-٥٨٢)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٢١٣)، وتفسير سورة الفرقان؛ لابن عثيمين (ص: ٨٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٩٧)، وانظر: تفسير سورة يس؛ لابن عثيمين (ص: ١٨٨).

المبحث السادس:
آيات الأحكام

لآيات الأحكام على اختلاف تقسيماتها جانب من اهتمام الشيخ في تدبراته، فنراه يقف عند آيات الأحكام فيتأملها ويستخرج ما يتوصل إليه تفكيره من نتائج وفوائد، وهذان المطلبان يُجلِّيان شيئًا من تلك التدبرات:

◆ المطلب الأول: الأحكام الفقهية.

لا شك أن آيات الأحكام تشتمل على تشريعات وتوجيهات وأوامر للتنفيذ، غير أنها تزخر بالفوائد واللطائف التي تستحق التأمل والتدبر، وهو ما فعله الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فنراه عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤]. يقول: «**دلت هذه الآية على أمور**»[(١)] وذكر منها عشرة أمور، فمنها:

«**الأول: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح.**

الثاني: أنه يشترط أن تكون مُعلَّمة، بما يُعدُّ في العرف تعليمًا، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل.

الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾، مع ما تقدم من تحريم المنخنقة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٢١) بتصرف يسير.

الرابع: جواز اقتناء كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إباحة صيده وتعليمه جواز اقتنائه.

الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلًا؛ فدلَّ علىٰ طهارته.

السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم -بسبب العلم- يباح صيده، والجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده والانتفاع به.

الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم الله متعمدًا، لم يبح ما قتل الجارح.

العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها».

المطلب الثاني: الأحكام العقدية.

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ اهتمام واضح ببيان العقيدة السليمة، الصحيحة الصافية، فهو يتأمل الآيات القرآنية التي سيقت لمعالجة الجوانب العقدية ابتداءً ويذكر ما فيها من تدبرات، كما أنه يعمل فكره في الآيات التي تعالج جوانب أخرىٰ غير عقدية، ويستنبط من طياتها أحكامًا مبينًا عن وجه الاستنباط وأداته، ومن ذلك استدلاله علىٰ إثبات عذاب القبر بظاهر لفظ الآية وفحوىٰ خطابها وذلك

في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فقال: «**وهذه الآية من الأدلة علىٰ إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال:** ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ **أي: بعض وجزء منه، فدلَّ علىٰ أن ثَمَّ عذابًا أدنىٰ قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار**»[1]. وهذا الاستدلال منه بمثابة رد علىٰ منكري عذاب القبر.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥٦)، وانظر: الروح؛ لابن القيم (ص: ٧٦).

المبحث السابع:
أمثال القرآن

اتبع القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثال؛ ليقرب إلىٰ الأذهان الصورة المعنوية بالصورة الحسية، فجاء حافلًا بالأمثال التي تعد من أبرز مواطن تدبر القرآن الكريم واستخراج الحكم العظيمة منه، يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «**اعلم أن القرآن الكريم احتوىٰ علىٰ أعلىٰ وأكمل وأنفع المواضيع التي يحتاج الخلق إليها في جميع الأنواع، فقد احتوىٰ علىٰ أحسن طرق التعليم، وإيصال المعاني إلىٰ القلوب بأيسر شيء وأوضحه.**

فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة. ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين. وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»[(١)].

وقد تفطن لها إمامنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وقضىٰ معها أوقاتًا أخرج لنا من بدائع التدبر القرآني جملة نبرز منها ما يلي:

تدبره المثل الوارد لتصوير حقيقة الحياة الدنيا؛ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ

---

(١) القواعد الحسان: القاعدة الثانية والعشرون: في مقاصد أمثلة القرآن. (ص:٦٤).

﴿نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]؛ فنجده يستحسن المثل المضروب، وتروق له الصورة الحسية المنصوبة للدلالة علىٰ حقيقة الحياة الدنيا فيقول: «**وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا**»، وهذا الانفعال الوجداني والتأثر الشعوري أحد النتائج المرجوة والآثار المترتبة علىٰ تدبر القرآن الكريم.

ثم راح يحدق في العلاقة بين الصورة الحسية والمعنوية، ويتأمل الاشتراك بينهما، فقال مستشعرًا حقيقة الحياة الدنيا: «**فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إنْ زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحلَّ، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها**».

ثم عقب ذلك مشيرًا إلىٰ وجه الاشتراك بين الممثل له والممثل به فقال: «**فذلك** ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾...... ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ **أي: تزخرفت في منظرها، واكْتَسَت في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصِرْتَ ترىٰ لها منظرًا عجيبًا، ما بين أخضر وأصفر وأبيض وغيره،** ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ **أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه، فبينما هم في تلك الحالة** ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ **أي: كأنها ما كانت، فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء**».

وختم تأملاته ببيان وجه مناسبة المثل للآية بعد فقال: «**ولما ذكر الله حال الدنيا، وحاصل نعيمها، شوق إلىٰ الدار الباقية فقال:** ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ

وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]»[1].

ومن ذلك تدبره للمثل القرآني المصور حال الكافرين في دعائهم الأنداد من دون الله وعدم استجابتها لهم، الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤]، فقال: «**وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلىٰ الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق علىٰ المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء؛ كما قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]»[2]، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ معنىٰ المثل والصورة التشبيهية فيه، وأوضح أوجه العلاقة بين المشبه والمشبه به، ثم ختم بذلك بأن عد هذا المثل من أحسن الأمثلة؛ لمجيئه بأبلغ أسلوب في النفي، وهو التعليق علىٰ المحال؛ لانقطاع الرجاء من حدوثه، وفقدان الأمل من حصوله.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٦١-٣٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤١٥)، وانظر: الكشاف (٢/ ٥٢١)، وأنوار التنزيل (٣/ ١٨٤)، والبحر المحيط (٦/ ٣٦٨)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ١١).

المبحث الثامن:
القصة القرآنية(١)

القصة القرآنية بملابساتها وحيثياتها ودلالاتها مرتع خصب ومجال رحب لتدبر ألفاظها وعباراتها وأساليبها، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عاش مع القصص القرآني، فاستفاد من عبرها، وارتشف من عبيرها، وتدبر أحداثها ومواعظها، ونشر ذلك في تفسيره.

فنراه يقف مع قصة يوسف ويسطر ما توصل إليه من نتائج تأملية وملاحظات تدبرية، ويسهب فيها، ويذكر كل ما لاح له من معان، وما جال في خاطره من دلالات، فعقد لذلك فصلًا في ست صفحات(٢) فقال: «**فصلٌ في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها:** ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، **وقال:** ﴿۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، **وقال في آخرها:** ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]، **غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك: أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من حال إلىٰ حال، ومن محنة إلىٰ محنة، ومن محنة إلىٰ منحة ومنَّة، ومن ذل إلىٰ عزٍّ، ومن رقٍّ إلىٰ مُلك، ومن فرقة وشتات إلىٰ اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلىٰ سرور، ومن رخاء إلىٰ جدب، ومن جدب إلىٰ رخاء، ومن ضيق إلىٰ سعة، ومن إنكار إلىٰ إقرار**». ولا تخلو تدبراته من

(١) القواعد الحسان: القاعدة الستون: أنواع التعليم القصصي في القرآن. (ص١٤٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠٧-٤١٢).

انفعال وجداني واستشعار لعظمة هذا القرآن فيقول: «**فتبارك من قصَّها فأحسنها، ووضَّحها وبيَّنها**».

ويقف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مع أحداث القصة القرآنية ومشاهدها مواقف تأملية تدبرية، يُحلِّق فيها بفكره ويغوص فيها بروحه وعقله، فيستشعر فيها أدقَّ المعاني، ويصدر عن نتائج باهرة توحي بعمق النظر ودقة الفهم، فملاحظته ألطاف العناية الإلهية والتدابير الربانية لنبي الله يوسف عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] تنبئ عن بصر ثاقب دقيق، وفهم بالغ عميق، فنراه يقول عند تفسير الآية: «**وهذا أيضًا من لطف الله بيوسف** عليه السلام. **فإنه لو عبرها ابتداءً قبل أن يعرضها علىٰ الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتمًّا لها غاية، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعًا عظيمًا**»، وهذا التأمل منه في هذا المشهد نابع من ملاحظته مشاهد العناية الإلهية بأوليائه الصالحين الواردة في القرآن الكريم فيضم النظير إلىٰ نظيره ويقرن المثيل بمثيله؛ فيقول: «**وهذا نظير إظهار الله فضل آدم علىٰ الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلَّمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد** ﷺ **في القيامة أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ** عليهم السلام**، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدًا** ﷺ **فيقول: «أنا لها أنا لها»؛ فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فسبحان من خفيت ألطافه، ودقَّت في إيصاله البر والإحسان، إلىٰ خواص أصفيائه وأوليائه**»(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٩٩).

ويقف عند قصة موسىٰ عليه السلام مع الخضر، ويستنتج منها الكثير من الفوائد والأحكام والدروس والعبر في أربع صفحات فيقول: «**وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه علىٰ بعضه بعون الله، فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسىٰ عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم علىٰ ذلك. ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل**»[(١)].

ومن ذلك تدبره الأحداث الواقعة في قصة سبأ، فنراه هنا يستشعر لطف الله ﷻ بالخلق عمومًا وبالعرب خصوصًا؛ حين يقص عليهم قصص الأمم الغابرة والأقوام الداثرة، فقال: «**ومن نعم الله ولطفه بالناس عمومًا، وبالعرب خصوصًا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعىٰ إلىٰ التصديق، وأقرب للموعظة فقال:** ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ: ١٥]».

ثم نراه يستشعر أيضًا لازم النعمة وما يتوجب علىٰ العبد فعله تجاه العطايا الإلهية والمنح الربانية؛ إذ إن النعم إذا شُكِرت قرَّت، وإذا كُفِرَت فرَّت، فقال: «**والآية هنا: ما أدرَّ الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه**».

وفي نهاية القصة نراه يقف مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٩]، وينبه علىٰ أن القصص القرآني بما تضمنه من تفاصيل وأحداث

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٨٢-٤٨٥).

وعبر ومواعظ لا ينتفع بها إلا من اتصف بالصبر علىٰ الشدائد، والرضا بالقدر، وشكر النعمة وتسخيرها لطاعة الله ﷻ، وأن كفر النعمة وسلوك سبيل المعاندين الجاحدين سبيل لحلول مثل ما حلَّ بهم من العذاب والنكال في العاجل والمآل، فقال: «**فكل أحد يتحدث بما جرىٰ لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، ﴿صَبَّارٍ﴾ علىٰ المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها، ﴿شَكُورٌ﴾ لنعمة الله تعالىٰ؛ يُقِرُّ بها ويعترف، ويثني علىٰ من أولاها، ويصرفها في طاعته.**

فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرىٰ منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فُعِلَ به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالىٰ، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأىٰ أنموذجه في دار الدنيا»[(١)].

ومن ذلك تأمله للعبر الواردة في قصة سليمان عليه السلام بعد أن عقر الصافنات الجياد فقال: «............ **ومنها: القاعدة المشهورة «من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه»، فسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوَّضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلىٰ حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار علىٰ الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون**»[(٢)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٧٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧١٢)، وانظر: القواعد: القاعدة التاسعة والستون: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. (ص: ١٦٤).

المبحث التاسع:
مشكل القرآن

للشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عناية بعلم المشكل، فيتأمل الآيات التي ظاهرها التعارض، ويجيب عن الإشكالات الواقعة فيها، ويدفع ما فيها من إيهام اضطراب، فيجلي الحقائق ويوضح الدلالات، فتراه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١]؛ يتعرض لدفع الإشكال المتوهم بين هذه الآيات وآية النازعات في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، فآيات فصلت تشير إلىٰ أن خلق الأرض متقدم علىٰ خلق السماوات، وآية النازعات تشير إلىٰ أن دحو الأرض كان بعد خلق السماوات، فبعد أن أشار إلىٰ الإشكال، أخذ يدفعه مستندًا إلىٰ دقة القرآن في التعبير، وإلىٰ الفرق بين الدحو والخلق، فقال: «**واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع قوله تعالىٰ في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال:** ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] **يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف. والجواب عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم علىٰ خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن** ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١-٣٢] **متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها:** ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١] **إلىٰ آخره، ولم يقل: (والأرض بعد ذلك خلقها)**»(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٥-٧٤٦)، وانظر: دفع إيهام الاضطراب؛ للشنقيطي (ص:١١).

المبحث العاشر:
المناسبات القرآنية

أولىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علم المناسبات عناية فائقة في تفسيره، فتراه يقف مع الآيات ويشير إلىٰ أوجه الاتصال بينها ويبرز العلاقات ويوضحها، وثمة آيات لا تظهر مناسبتها إلا لمن ذكت قريحته، وتفتقت أفهامه عن تدبر عميق واستيعاب بليغ، وقد ضمن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره نماذج منها، ومطالب هذا المبحث تبرز جوانب منها:

◆ المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للآيات.

للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عناية بتأمل الوحدة الموضوعية للآيات، ويمد جسورًا تدبرية بين دلالاتها؛ فمثلًا: لاحظ أن قوله تعالىٰ في الآيتين الكريمتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] يتضمن أوجه انحراف الإنسان في ماله، وجعلهما الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أحد أمرين فقال: «**إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعًا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين علىٰ طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله، وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات**»(١)، فجعل الانحراف في الإنفاق علىٰ محرم، أو في الإمساك عن واجب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٣٦).

◆ المطلب الثاني: الآيات الكونية ودلائل قدرة الله ﷻ.

راعىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في اختياره المقاطع المراد تفسيرها أن تشتمل علىٰ وحدة موضوعية واحدة، ومن ذلك هذا المقطع المشتمل علىٰ الآيات الكونية العظيمة ودلائل القدرة الباهرة، إذ يقول ربنا ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦١-٦٥]، فنجد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا المقطع ينحو منحىً تدبريًّا مغايرًا لمنهجه التفسيري البياني، والمتأمل لعبارات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ -هنا- يجد الصبغة التدبرية طاغية علىٰ الصبغة التفسيرية، ومن ذلك ابتداؤه الحديث عن الآيات بقوله: «**تدبر**»؛ فقال: «**تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة علىٰ سعة رحمة الله تعالىٰ وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد علىٰ كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها بيد الله تعالىٰ، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء**».

ثم أشار إلىٰ جملة من النتائج الملازمة لمعرفة صاحب تلك الصفات العظيمة والآلاء الجسيمة، فذكر منها: وجوب استحقاقه مسمىٰ الإله، ووجوب استحقاق

للعبادة التي لا ينبغي أن تصرف إلا إليه ﷻ فقال: «**فينتج من ذلك، أنه تعالىٰ المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا**»، وهذه النتيجة فيها استشعار لجلال الله ﷻ وعظمته، وفيها دعوة للخضوع والانقياد له ﷻ.

وأشار إلىٰ تأثير تلك المعرفة في قلب المؤمن فقال: «**وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالىٰ ومحبته وخوفه ورجائه**»، ثم استشعر أهمية معرفة الله ﷻ وعبادته؛ فقال: «**وهذان الأمران -وهما معرفته وعبادته- هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالىٰ لعباده، وهما الموصلان إلىٰ كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية**»، ثم هاجت أحاسيسه فلهج لسانه بالدعاء والتضرع لله ﷻ أن يوفقه إلىٰ القيام بحق الله ﷻ من المعرفة والعبادة فقال: «**فنسأله تعالىٰ أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه نوال**»(١). وهذا الدعاء أحد ألوان التدبر العملي لآيات القرآن الكريم، ففيه استشعار لمعنىٰ الآيات، وامتثال مضمونها سلوكًا عمليًّا.

المطلب الثالث: السياق.

يلاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سياق الآيات، ويربط بين السباق واللحاق، فنراه مثلًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] والآية التي تليها: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، يجعل الأولىٰ كالمقدمة للثانية؛ فهي توطئة وتمهيد لها، فيقول عند تفسير الأولىٰ: «﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤١).

ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتىٰ إنه تعالىٰ يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتىٰ إنه تعالىٰ يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصىٰ». فالآية التالية فيها بيان القرآن الكريم أصول المأمورات وأصول المحرمات بأوجز الكلمات وأخصر العبارات، فهي كالمثال علىٰ بلاغة القرآن وعظمته، حيث يقول: «**فصارت هذه الآية** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ **جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة علىٰ عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربىٰ فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة علىٰ فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهىٰ الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهىٰ عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال»**. ويختم هذا التأمل بانفعال تعجبي فيقول: «**فتبارك من جعل في كلامه الهدىٰ والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء**»(١).

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره يحاول أن يضمن الألفاظ أغلب ما تحتمله من معان، ويلاحظ ما يكون فيها من عموم، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتأمل السياق

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٤٦- ٤٤٧)، وانظر: نظم الدرر (١١/ ٢٣٥)، والبحر المحيط (٦/ ٥٨٢).

الواردة فيه ويتدبره، ويحاول أن يستشف وجه المناسبة والعلة في مجيئها في ذلك السياق، فنراه عند تفسير لفظي (الخبيثات) و(الخبيثين) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ [النور: ٢٦] يقول: «**أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء**»(١)؛ فجعل الخبث يشمل كل ما يمكن أن يندرج تحته من أقوال يصح حمل الآية عليها، وهو بهذا الصنيع يقدم بمقدمة تأسيسية ليبني عليها تدبره الآتي من التأكيد علىٰ براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيقول: «.... **من أعظم مفرداته، أن الأنبياء -خصوصًا أولي العزم منهم، خصوصًا سيدهم محمد ﷺ، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق علىٰ الإطلاق- لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي ﷺ، وهو المقصود بهذا الإفك من قَصْدِ المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول ﷺ، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح. فكيف وهي هي؟ صِدِّيقة النساء، وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها!**»(٢).

ومن ذلك بيانه مناسبة مجيء قوله تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ [النور: ٣٦] بعد المثل القرآني: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [النور: ٣٥]،

---

(١) قال ابن القيِّم: «هذا وإنْ كان في النِّساءِ والرِّجالِ، فإنَّه يتناوَلُ الأعمالَ والأقوالَ، والمطاعِمَ والمشارِبَ، والملابسَ والروائِحَ، إمَّا بعمومِ لفظِه، أو بعمومِ معناه». زاد المعاد؛ لابن القيم (٤/ ٢٥٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٣)، وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٨٤).

فبعد أن تأمل المثل، وكشف عن دلالة كل عنصر من عناصره، وأوضح عن أوجه العلاقة بين المشبه والمشبه به، وأسقطه على حالة المؤمن فقال: «**ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره**»، ثم أزاح الستار عن تأمله فقال: «**ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد، ذكرها منوها بها فقال:** ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾»[1].

◆ المطلب الرابع: التقديم والتأخير.

يلاحظ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ علة تقديم الألفاظ، ويبين وجه مناسبتها للسياق الوارد فيها، فنراه يلاحظ علة تقديم الطواف على الاعتكاف والصلاة -مع أفضلية الصلاة- في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويشير إلى تأمل لطيف فيقول: «**قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقًا، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى**»[2]، وذكر نحوه

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٥)، وانظر: البحر المحيط (١/ ٦١٢)، ومحاسن التأويل؛ للقاسمي (١/ ٣٩٥).

عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] فقال: «**وقدم الطواف علىٰ الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد**»[(١)].

◆ المطلب الخامس: العطف.

العطف بأنواعه محط اهتمام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وموضع تدبره، فيتأمل أسرار العطف بين الجمل، ويجلي ملامح التناسق بينها، ويبرز العلاقات والوشائج الكامنة بينها، فنراه يلاحظ أسرار اختيار القرآن الكريم لجملة من صفات عباد الرحمن، واقتصاره في مدحهم عليها دون غيرها مع كثرة أوصافهم، في قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فيربط بينها بعلاقة جامعة منطلقًا من مقاصد الشريعة بحفظ الضروريات الخمس، ويصدر عن تأمل وتدبر يسطره بقوله: «**ونصَّ تعالىٰ علىٰ هذه الثلاثة؛ لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض**»[(٢)].

ونراه كذلك يتدبر تركيب العبارات وتسلسل عطف الألفاظ واقترانها في قوله تعالىٰ: ﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]، فقد لاحظ عطف النهي عن الخوف علىٰ الأمر بالإقبال، كما لاحظ تأكيد الجملة بالبشرىٰ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٣٧)، وانظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير (٥/ ٤١٣)، وروح المعاني (٩/ ١٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٧)، وانظر: إعلام الموقعين (٢/ ٨٣)، ومجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٤٢٨).

بدوام الأمن، فقال: «**وهذا أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف**». ثم شرع في بيان وجه البلاغة بما توصل إليه من تأمل وتدبر في تركيب الآية فقال: «**فإن قوله: ﴿أَقْبِلْ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾، أمر له بشيئين: إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقىٰ احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه**»[1].

ومن ذلك بيانه العلاقة بين المعطوفات في قوله تعالىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، فقسمها إلىٰ عموم وخصوص، وأبان عن أوجه الترابط بينها، والعلة في إيرادها، فحمل الإنابة والتقوىٰ علىٰ العموم، فجعل الإنابة بيانًا لإقامة الوجه للدين فقال: «﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾، **وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالىٰ**»، وكشف عن العلاقة بين التقوىٰ والإنابة، وما بينهما من تلازم؛ فقال: «**ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضىٰ ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة؛ فلذلك قال: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات**». ثم راح يميط اللثام عن علة تخصيص الأمر بإقامة الصلاة والنهي عن الشرك بعد الأمر بالإنابة والتقوىٰ مع كونهما يندرجان تحتهما؛ فبدأ ببيان علة تخصيص الأمر بالصلاة من بين المأمورات فقال: «**وخص من المأمورات الصلاة؛ لكونها تدعو إلىٰ الإنابة والتقوىٰ**»؛ واستدل لذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦١٥).

بآية كريمة تنطبق علىٰ معنىٰ الآية انطباقًا تامًا فتشمل الأمر بالإنابة والتقوىٰ؛ فقال: «**لقوله تعالىٰ:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، **فهذا إعانتها علىٰ التقوىٰ. ثم قال:** «﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] **فهذا حثُّها علىٰ الإنابة**»، ثم ذكر علىٰ تخصيص النهي عن الشرك من بين المنهيات، واستدل لها بمفهوم المخالفة، وهي أن الشرك نقيض الإنابة ومضاد له؛ واجتناب الشرك هو أعلىٰ درجات التقوىٰ وأساس قبول الاعمال الصالحة ومن أولاها الصلاة، فقال: «**وخصَّ من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال:** ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ **لكون الشرك مضادًا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه**»[1].

وللشيخ عناية خاصة ببيان العلاقة بين الجمل المتعددة في الآية الواحدة، فيتدبر معانيها ويمد وشائج وصلات بينها؛ فيكشف عن علاقة خفية بين جمل ظاهرها التباين الموضوعي، ويجلي قوة الترابط بينهما، حتىٰ يظهر كمال الاتصال وشدة السبك بينها، ومن ذلك تأمله قول الله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، ففي هذه الآية ثلاث جمل: أمر: ﴿فَٱصْبِرْ﴾، وخبر: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، ونهي: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، والناظر إليها للوهلة الأولىٰ يجد بينها تباينًا موضوعيًّا، إلا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفطن لعلاقة بينها، فربط بين جملة الأمر وجملة الخبر، وربط كذلك بين جملة الأمر وجملة النهي، فجعل العلاقة بين الأمر والخبر علاقة ارتكازية؛ فبدأ ببيان المراد بجملة الصبر فقال: «﴿فَٱصْبِرْ﴾ **علىٰ ما أمرت به وعلىٰ دعوتهم إلىٰ الله، ولو رأيت منهم إعراضًا فلا**

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٤١).

يصدنك ذلك»، وجعل جملة الخبر دافعًا ومحفزًا ومعينًا علىٰ تنفيذ الأمر؛ فقال: «﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ **أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين علىٰ الصبر، فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع؛ بل سيجده كاملًا؛ هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير**».

وجعل العلاقة بين الأمر والخبر علاقة متعدية تكاملية، فالصبر دليل علىٰ قوة اليقين، واليقين دليل لرزانة العقل، وقوة الصبر من قوة اليقين ورزانة العقل، وهي مشعرة بقوة الإيمان وصدق التوكل علىٰ الله، وفي ذلك تعريض بالقوم الكافرين بأنهم سفهاء الأحلام عديمو الصبر، فقال: «﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ **أي: قد ضعف إيمانهم، وقلَّ يقينهم؛ فخفت لذلك أحلامهم وقلَّ صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إن لم تجعلهم منك علىٰ بال وتحذر منهم؛ وإلا استخفوك وحملوك علىٰ عدم الثبات علىٰ الأوامر والنواهي، والنفس تساعدهم علىٰ هذا وتطلب التشبه والموافقة، وهذا مما يدل علىٰ أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه، فالأول بمنزلة اللُّب، والآخر بمنزلة القشور، فالله المستعان**»[(١)].

ومن ذلك ملاحظته لمرجع الضمير، وما يناسبه في العود؛ ففي قوله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]: لاحظ أن الضمير (هاء الكناية) يتكرر مع ثلاثة أفعال، يتفاوت رجوع الضمير فيها إلىٰ الذوات، فيختص ببعضها دون الآخر، ويصدق علىٰ بعضها ويمتنع مع الآخر، فأعاد كل ضمير لما يصلح إليه، وقسم ذلك وفق اعتبارات فقال: «﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٤٥).

أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه، أي: تعظموه وتجلُّوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة برقابكم، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا لله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها»[1]، والمتأمل لصنيع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في تقطيع الآية للتفسير يجد أنه قرن التعزير والتوقير في مقطع، والتسبيح في مقطع، وهو بهذا الصنيع يشير إلىٰ مواضع الوقف في الآية[2].

ومن ذلك بيانه المناسبة في اقتران العطف في الإنزال بين الكتاب والحديد في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فيقول: **«وقرن تعالىٰ في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٩٢).

(٢) قال الداني: «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ كافٍ، وهو للنبي ﷺ وما بعده لله تعالىٰ إذ التسبيح لا يكون إلا لله ﷻ»، وقال السجاوندي: «﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: ط؛ للفصل بين ضمير اسم الله تعالىٰ في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، وضمير اسم رسوله في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾»، قال الأشموني: «ووقف أبو حاتم السجستاني ...... علىٰ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فرقًا بين ما هو صفة لله وبين ما هو صفة للنبي ﷺ ووسمه بالتام، وقال: لأن التعزير والتوقير للنبي ﷺ والتسبيح لا يكون إلا لله تعالىٰ». المكتفىٰ؛ للداني (ص: ٥٢٨)، وعلل الوقوف؛ للسجاوندي (٣/ ٩٥٥)، ومنار الهدىٰ؛ للأشموني (ص: ٣٦٤).

فيه الحجة والبرهان والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به علىٰ حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها علىٰ ألسنة رسله»(١).

◆ المطلب السادس: التسلسل المنطقي في عرض المعلومة.

ومن ذلك تأمله لبناء مجموعة من الآيات التي تتحدث عن نزول القرآن الكريم، فيلاحظ مجيئها بأسلوب العرض التسلسلي وفق ترتيب منطقي ينطوي علىٰ بيان لفضائل القرآن الكريم، في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، فيقول: «**وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، علىٰ أفضل الخلق، علىٰ أفضل بُضعة فيه وهي قلبه، علىٰ أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين»**(٢).

◆ المطلب السابع: الوحدة الموضوعية للسورة.

تشتمل كل سورة من القرآن الكريم علىٰ مقاصد عظيمة وأهداف رئيسة، تتضافر آيات السورة علىٰ تحقيقها وإبرازها، فالناظر في آيات السورة الواحدة يلمح اتصالًا عجيبًا وتناغمًا فريدًا بين آياتها، فهي تنتظم بعلاقات ومناسبات قوية وروابط تصب جميعها في مضمون السورة العام وهدفها الرئيس، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفطَّن إلىٰ تلك

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٤٢)، وانظر: مفاتيح الغيب (٢٩/ ٤٧٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٩٧)، وانظر: جامع البيان (١٧/ ٦٤٢، ٦٤٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٢٤٣)، ونظم الدرر (١٤/ ٩٧).

العلاقات وتدبرها، ووقف عندها وتأملها وضمنها تفسيره، فمن ذلك تدبره آيات سورة العصر؛ فبدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بتفسير غريب السورة وبيان المعنىٰ الإجمال لها فقال: «**أقسم تعالىٰ بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح**»، ثم شرع في بيان مراتب الخسارة فقال: «**والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمَّم الله الخسار لكل إنسان**»، ثم عرج علىٰ سبل النجاة من الخسارة فقال: «**ولهذا عمَّم الله الخسار لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به. والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.**

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصية الله، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة». ثم أوضح العلاقة بين الصفات الأربع فقال: «**فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره**»، ثم أشار إلىٰ العلاقة بين الآية وآيات السورة فقال: «**وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم**»[(١)].

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لاحظ الوحدة الموضوعية للسورة، ونصب وشائج

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٩٣٤).

بين دلالات آياتها، فاستطاع من خلال تدبره التقسيمات الواردة في السورة أن يبرز هدفها في أسمىٰ صورة وأبسط عبارة، فكان تدبره عبارة عن تأمل للمعاني، ومد للوشائج بينها، وإبراز للعلاقة الكامنة فيها.

المطلب الثامن: الاقتران.

ومن ذلك ملاحظته اقتران الصلاة والزكاة علىٰ عادة القرآن في الجمع بينهما في السياق الواحد فيقول: «**وكثيرًا ما يجمع تعالىٰ بين الصلاة والزكاة في القرآن نحو:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣]، **لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان علىٰ عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان**»(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٠)، وانظر: مفاتيح الغيب (٢/ ٢٦٩).

المبحث الحادي عشر:
دلالات الآيات

تحمل كل آية من آيات القرآن الكريم في طياتها رسائل وفوائد وهدايات، يتفطن إليها المتأمل فيها بحسب ما حباه الله من علوم ومعارف وملكات، فكلما أدار الناظر فكره في الآيات مستعينًا في فهمها بما لديه من أدوات تفتقت له عن أدق التدبرات وأبدع الاستنباطات، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جال بفكره في آيات القرآن الكريم وحدق فيها ودقق، وتبحر فيها وتعمق، واستخرج منها دررًا ونفائس، ومطالب هذا المبحث تبين نماذج من ذلك:

◆ المطلب الأول: نموذج استنباط بدلالة السياق.

فمن ذلك ما استنبطه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من أن الذبيح هو إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: «﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] **وهذا إسماعيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بلا شك**»، ويرتكز في استنباطه إلىٰ السياق ودلالة الوصف بالحلم ﴿حَلِيمٌ﴾، فأما السياق: فقوله: «**فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق -حيث قال** عَزَّ وَجَلَّ **بعدها بآيات:** ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]-، **فدل علىٰ أن إسحاق غير الذبيح**»(١)، وأما وجه دلالة الوصف بالحلم علىٰ أنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقوله:

(١) في النص الأصلي: «فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالىٰ قال في بشراه بإسحاق: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فدل علىٰ أن إسحاق غير الذبيح»، ويظهر الاستشهاد بآية هود، ولعل ذلك سبق قلم أو سبق لسان من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، والأظهر ما أثبته.

«ووصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنىٰ»[1].

المطلب الثاني: نموذج استنباط بدلالة الاقتران.

ومن ذلك ما يستنبطه من معايشته للسور القرآنية، فيتأمل عباراتها وألفاظها، ويلاحظ تكرار بعض الأوصاف فيها، فيتفطن إلىٰ الإشارات التي تحملها، ففي قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، لاحظ أن القوم الممدوحين يستمعون إلىٰ الأقوال فيتبعون منها قولًا وصف بأنه أحسن الأقوال، ولاحظ في الآيات بعد أن الله ﷻ وصف كتابه الكريم بأنه أحسن الحديث، فتنبه الشيخ رحمه الله تعالى إلىٰ تكرار أفعل التفضيل ﴿أَحۡسَنَ﴾ في وصف القول والحديث بالحسن، وأشار إلىٰ سر ذلك بقوله: «**وفي هذه الآية -يعني قوله تعالىٰ:** ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾- **نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلىٰ معرفة أحسنه حتىٰ نتصف بصفات أولي الألباب، وحتىٰ نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الألباب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه:** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣] **الآية**»[2].

◆ ◆ ◆

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٠٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢٢).

المطلب الثالث: نموذج استنباط بدلالة العطف.

ومن ذلك ملاحظته أن عطف ولاية خواص الخلق من الملائكة الأبرار والمؤمنين الأخيار علىٰ ولاية الله العزيز الغفار في سياق الإخبار عن العناية الإلهية بالنبي الكريم ﷺ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]؛ يحمل ثناء واحتفاء بالنبي ﷺ فقال: «**وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانًا لهذا الرسول الكريم**»[(١)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٧٢).

المبحث الثاني عشر:
الآيات ذات الأوصاف والمسميات.

كثيرة هي الآيات القرآنية ذات المسميات والأوصاف، وبعضها توقيفي والآخر اجتهادي، وفي أطلاق الأوصاف والمسميات علىٰ الآيات مندوحة لمن أراد بشرطه المعتبر، والشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يطلق بعض المسميات والأوصاف علىٰ الآيات، وهاك عرضًا لنموذجين من ذلك:

◆ المطلب الأول: النموذج الأول: أعظم وعيد ورد في الذنوب.

ومن ذلك ما وصف به قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] من أنه يتضمن أعظم وعيد في القرآن جاء علىٰ اقتراف ذنب من الذنوب، فنراه يتدبر آيات الوعيد وما تحمل في طياتها من تحذيرات وتهديدات، ويلاحظ الأساليب الواردة فيها، ويقارن بينها في الشدة والتأكيد وعظم الوعيد، ويخلص إلىٰ إصدار حكم ترتيبي بحسب موازنته بين الأساليب، فيقول: «**وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل علىٰ شناعة أكل أموال اليتامىٰ وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدلَّ ذلك أنها من أكبر الكبائر**» فلاحظ أن الآية تتضمن عذابًا داخليًا وعذابًا خارجيًا، الأول في البطون والثاني بصَلْيِ الجلود، أو أن لهم عذابين؛ عذابًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة. ثم تمخَّض استشعاره لعظم الوعيد والزجر الشديد في الآية إلىٰ سؤال الله العافية فقال: «**نسأل الله العافية**»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:١٦٥).

المطلب الثاني: النموذج الثاني: أصل في محاسبة العبد نفسه.

ومن ذلك إطلاقه بعض التسميات على الآيات الجامعة، فقد لاحظ أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر: ١٨] فيه دعوة للنظر في العاقبة والمآل، وهذا يستلزم النظر في الحال، بتفقده وإصلاحه، وتقييمه وتقويمه، فجعل الآية أصلاً في محاسبة العبد نفسه وتفقدها فقال: «**وهذه الآية الكريمة** ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ **أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها**»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص:٨٥٣).

الخاتمة

في نهاية هذا المشوار البحثي يمكن الخلوص إلىٰ جملة من النتائج، وهي:

١- قدم الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تفسيره: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» بقالب تدبري قَلَّ نظيره بين كتب التفاسير.

٢- مفهوم التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شامل لأركان العملية البيانية للقرآن الكريم من: التفسير، والتدبر، والاستنباط، وقد جعل الشيخ التفسيرَ في المرتبة الأولىٰ، يليه التدبر المعبر عنه بالتأمل، ثم الاستنباط المعبر عنه بالتحديقِ والاستخراجِ والوقوفِ علىٰ الحِكم والأسرار.

٣- كانت ثمرات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ متعلقة بالجانب الإيماني العقدي، وهو أهم الجوانب وأسماها، وأعلىٰ غايات التدبر وأغلاها.

٤- تنوعت آثار التدبر عند الشيخ السعدي بين الإثراء العلمي (تأملات ابتكارية، استنباطات، لطائف المعاني)، والانفعال الوجداني القلبي (تعجب، تأثر،...)، والسلوك العملي (الدعاء، الاستعاذة،..).

٥- تعددت مجالات التدبر عند الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتراوحت بين المجالات الأسلوبية والمجالات الموضوعية.

٦- أسهب الشيخ السعدي في تدبر أسماء الله الحسنىٰ، وخاصة اسم الله (الرحمن).

٧- يستلهم الشيخ السعدي تدبراته من كتب التفاسير علىٰ اختلاف مشاربها، ويظهر تأثره بالشيخين الجليلين ابن تيمية وابن القيم -رحمهم الله جميعًا-.

التوصيات:

من خلال معايشتي لهذا البحث فإني أقدم جملة من المقترحات والتوصيات، وهي:

١ - أن تجرىٰ مثل هذه الدراسة علىٰ كتب التفاسير المختلفة.

٢- أن تسخر فكرة هذا البحث لتكون نواة لمشاريع رسائل علمية بحثية، بحيث تطبق علىٰ كامل الكتاب، وتطبع وتثرىٰ بها المكتبة القرآنية.

ثبت المصادر والمراجع

١- أخلاق أهل القرآن. الآجري، أبو بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله. تحقيق: محمد عمرو. ط:٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٢- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم. محمد بن محمد بن مصطفىٰ. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- إعلام الموقِّعين عن رب العالمين. الجوزية، ابن قيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد حامد الفقي. د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط:١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٦- البحر المحيط في التفسير، الأندلسي. أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٧- بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

٨- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن عبد الله بن بهادر. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط:١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩- التبيان في إعراب القرآن. العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله. تحقيق: علي محمد البجاوي. د.ط، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

١٠- تحرير المعنىٰ السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد. ابن عاشور،

محمد الطاهر. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١- التسهيل لعلوم التنزيل. الكلبي الغرناطي، ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. تحقيق: عبد الله الخالدي. ط:١، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط:٢، دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ.

١٣- تفسير القرآن الكريم - الفاتحة والبقرة- العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

١٤- تفسير القرآن الكريم -سورة آل عمران-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

١٥- تفسير القرآن الكريم -سورة الفرقان-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ.

١٦- تفسير القرآن الكريم -سورة القصص-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٦هـ.

١٧- تفسير القرآن الكريم -سورة فصلت-. العثيمين، محمد بن صالح. ط:١، المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٧ هـ.

١٨- تفسير القرآن الكريم -سورة يس-. العثيمين، محمد بن صالح. د.ط، دار الثريا، د.ت.

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط: ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، ط:١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

٢١- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو بكر، محمد بن أحمد. تحقيق: أحمد البردوني،

وإبراهيم أطفيش. ط:٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

٢٢- الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: مجموعة محققين. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، دار المعرفة، ١٤١٨هـ.

٢٤- الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: أحمد محمد الخراط. د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت.

٢٥- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. ط:١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، جدة: مكتبة الخراز، ١٩٩٦م.

٢٦- دليل البلاغة القرآنية. الدبل، محمد بن سعد. ط:٢، د.ن، ١٤٣١هـ.

٢٧- الرد علىٰ المنطقيِّين. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. د.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

٢٨- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. الرسعني، عبد الرازق بن رزق الله. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط:١، مكة المكرمة: مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود بن عبد الله. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٠- الرُّوح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدَّلائل من الكتاب والسُّنة. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٣١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

٣٢- زاد المعاد في هَدْي خير العباد. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ.

٣٣- الصواعق المرسَلة في الردِّ علىٰ الجهمية والمعطِّلة. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. الرياض: دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٣٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢، القاهرة: دار السلفية، ١٣٩٤هـ.

٣٥- علل الوقوف. السجاوندي، أبو عبد الله، محمد بن طيفور. تحقيق: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي. ط:٢، مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م.

٣٦- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. الأنصاري، زين الدين، زكريا بن محمد بن أحمد. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط: ١، بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨٣م.

٣٧- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. اعتنىٰ به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. ط:١، الجزائر: دار الفضيلة، ٢٠٠٩م.

٣٨- الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط:٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ.

٣٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ط:١، الرياض: دار الرشد، ١٤٢٠هـ.

٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمر. ط:٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤١- مجموع الفتاوىٰ. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار. ط:٣، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ.

٤٢- محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

٤٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط: ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.

٤٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. القشيري النيسابوري، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤٦- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر. ط:٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٤٧- المكتفىٰ في الوقف والابتدا. الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. تحقيق: محيي الدين رمضان. ط:١، عمان: دار عمار ٢٠٠١م.

٤٨- منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد، منار الهدىٰ. الأشموني، أحمد بن عبد الكريم. المقصد لتلخيص ما في المرشد. الأنصاري، زكريا بن محمد. تحقيق: شريف أبو العلا العدوي. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٤٩- النشر في القراءات العشر. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي بن محمد الضباع. د.ط، المطبعة التجارية الكبرىٰ، د.ت.

٥٠- نظم الدرر في تناسُب الآيات والسُّور. البقاعي، إبراهيم بن عمر. د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٥١- النُّكت والعيون. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد. الواحدي، علي بن أحمد. تحقيق: مجموعة باحثين. ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

References and Sources

1. The Ethics of the People of Qur’an, Al-Aajurrri, Abu Bakr, Muhammad bin Al-Husayn bin ‘Abdillaah, Investigation: Muhammad ‘Amr, 3rd ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 2003.
2. Irshaad Al-‘Aql Al-Saleem Ilaa Mazaaya Al-Kitaab Al-Kareem, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, N.E, Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-‘Arabi, N.D.
3. I’laam Al-Muwaqqi’een ‘an Rabb Al-‘Aalameen, Al-Jawziyyah, Ibn Al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Abdul Salaam Ibrahim, 1st ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1411 AH.
4. Igaatha Al-Lahfaam min Masaayid Al-Shaytaan, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Haamid Al-Faqqi, N.E, Riyadh: Maktabah Al-Ma’aarif, N.D.
5. Anwaar Al-Tanzeel wa Asraar Al-Tahweel, Al-Baidaawi, ‘Abdullaah bin’Umar bin Muhammad, Investigation: Muhammad ‘Abdur Rahmaan Al-Mir’ashley, 1st ed., Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-‘Arabi, 1418 AH.
6. Al-Bahr Al-Muheet fi Al-Tafseer, Al-Andaluusi, Abu Hayyaan, Muhammad bin Yusuf bin Hayyaan, Investigation: Sidqi Muhammad Jameel, N.E, Beirut, Daar Al-Fikr, 1420 AH.
7. Badaai’ Al-Fawaaid, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E, Beirut, Daar Al-Kitaab.
8. Al-Burhaan fi ‘Uluum Al-Fawaaid, Al-Zarkashi, Abu ‘Abdullah, Badruddeen, Muhammad bin ‘Abdillaah bin Bahaadir, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st ed., Daar Ihyaa Al-Kutub Al-Arabiyyah, 1957.
9. Al-Tibyaan fi I’raab Al-Qur’aan, Al-Ukbari, ‘Abdullaah bin Al-Husayn bin ‘Abdillaah, Investigation: ‘Ali Muhammad Al-Bujaawi, N.E, Isa Al-Baabi

Al-Halabi and co, N.D.

10. Tahreer Al-Ma’na Al-Sadeed, wa Tanweer Al-‘Aql Al-Jadeed, min Tafseer Al-Kitaab Al-Majeed, Ibn ‘Aashour, Muhammad Al-Taahir, N.E, Tunisia, Al-Daar Al-Tuneesiyyah for Publication, 1984.

11. Al-Tasheel li ‘Uluum Al-Tanzeel, Al-Kalbi Al-Garnaati, Ibn Juzay Abu Al-Qaasim, Muhammad bin Ahamd bin Muhammad bin ‘Abdillaah, Investigation: ‘Abdullaah Al-Khaalidi, 1st ed., Beirut: Daar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, 1416 AH.

12. Tafseer Al-Qur’an Al-‘Adheem, Ibn Katheer, Isma’eel bin ‘Umar, Investigation: Saami bin Muhammad Salaamah, 2nd ed., Daar Taibah for Publication, 1420 AH.

13. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem – Al-Faatiha and Al-Baqorah, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Daar Ibn Al-Jawzi, 1423.

14. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem –Surah Aal ‘Imraan-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Daar Ibn Al-Jawzi, 1426 AH.

15. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem – Surah Al-Furqaan-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1436 AH.

16. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem –Surah Al-Qasas-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1436 AH.

17. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem – Surah Fusilat-, Muhammad bin Saalih, 1st ed., Kingdom of Saudi Arabia, Shaykh Muhammad bin Saalih Charitable Foundation, 1437 AH.

18. Tafseer Al-Qur’aan Al-Kareem – Surah Yaaseen-, Muhammad bin Saalih, N.E, Daar Al-Tharayya, N.D.

19. Tayseer Al-Kareem Al-Rahmaan fi Tafseer Kalaam Al-Mannaan, Al-Sa’di, ‘Abdur Rahmaan bin Naasir, Investigation: ‘Abdur Rahmaan bin Ma’alla Al-Luwayhiq, 1st ed., Muassasah Al-Risaalah, 1420 AH.

20. Jaami’ Al-Bayaan ‘an Tahweel Aay Al-Qur’aan, Al-Tabari, Muhammad bin Jareer, Investigation: ‘Abdullaah Al-Turki, 1st ed., Daar Hajar for Printing and Publication, 1422 AH.

21. Al-Jaami’ li Ahkaam Al-Qur’aan, Al-Qurtubi, Abu Bakr, Muhammad bin Ahamd, Investigation: Ahmad Al-Bardouni, and Ibrahim Utaifis, 2nd ed., Cairo: Daar Al-Kutub Al-Misriyyah, 1384 AH.

22. Al-Jawaab Al-Saheeh li Baddala Deen Al-Maseeh, Ibn Taimiyyah, Ahmad bin ‘Abdil Haleem, Investigation: A group of investigators, N.E, N.P, N.D.

23. Al-Jawaab Al-Kaafi li man Sahala ‘an Al-Dawaa Al-Shaafi, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E, Daar Al-Ma’rifah, 1418 AH.

24. Al-Durr Al-Masoun fi ‘Uloum Al-Kitaab Al-Maknoun, Al-Sameen Al-Halabi, Ahmad bin Yusuf, Investigation: Ahmad Muhammad Al-Kharraat, N.P, Damascus, Daar Al-Qalam, N.D.

25. Daf’ Eehaam Al-Idtriraab ‘an Aayaat Al-Kitaab, Al-Shinqeeti, Muhammad Al-Ameen bin Muhammad Al-Mukhtaar, 1st ed., Cairo: Maktabah Ibn Taimiyyah, Jeddah, Maktabah Al-Khazaar, 1996.

26. A Guide to the Qur’anic Rhetorics, Al-Dabal/ Muhammad bin Sa’d, 2nd ed., N.P, 1431 AH.

27. A Refutation on the Logicians, Ibn Taimiyyah, Ahamd bin ‘Abdil Haleem, N.E, Beirut: Daar Al-Ma’rifat, N.D.

28. Rumuuz Al-Kunuuzn fi Tafseer Al-Kitaab Al-‘Azeez, Al-Ras’ani, ‘Abdur Razaaz bin Rizqullaah, Investigation: ‘Abdul Malik bin ‘Abdillah bin Daheesh, 1st ed., Makkah: Maktabah Al-Asadi for Publication and Distribution, 2008.

29. Ruuh Al-Ma’aani fi Tafseer Al-Qur’aan Al-‘Adheem wa Al-Sab’ Al-Mathaani, Al-Aaluusi, Mahmuud bin ‘Abdillaah, Investigation: ‘Ali ‘Abdul Baari ‘Atiyyah, 1st ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1415 AH.

30. Al-Ruuh fi Al-Kalaam ‘alaa Arwaah Al-Amwaat wa Al-Ahyaa bi Al-Dalaail min Al-Kitaab wa Al-Sunnah, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, N.E. Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, N.D.

31. Rawdah Al-Muhibbeen wa Nuzhah Al-Muhibeen Al-Mushtaaqeen, Ibn Al-Qayyim, N.E, Beirur, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1403 AH.

32. Zaad Al-Ma'aad fi Hady Khayr Al-'Ibaad, Muhammad bin Abi Bakr, 27th ed., Beirut, Muassasah Al-Risaalah, Kuwait: Maktabah Al-Manaar Al-Islaamiyyah, 1415 AH.

33. Al-Sawaa'iq Al-Mursalah fi Al-Radd 'alaa Al-Jahmiyyah wa Al-Mu'attilah, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: 'Ali bin Muhammad Al-Dakheelul Laah, Riyadh, Daar Al-'Aasimah, 1st ed., 1408 AH.

34. Tareeq Al-Hijratayn wa Baab Al-Sa'aadatayn, Ibn Al-Qayyim, Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, 2nd ed., Cairo: Daar Al-Salafiyyah, 1394 AH.

35. 'Ilal Al-Wuquuf, Al-Sajaawandi, Abu 'Abdillaah, Muhammad bin Tayfuur, Investigation: 2nd ed., Maktabah Al-Rushd, 2006.

36. Fath Al-Rahmaan bi Kashf maa Yaltabis fi Al-Qur'an, Al-Ansaari, Zaynuddeen, Zakariyyah bin Muhammad bin Ahmad, Investigation: Muhammad 'Ali Al-Saanbuuni, 1st ed., Beirut, Daar Al-Qur'aan Al-Kareem, 1983.

37. Fath Al-Raheem Al-Malik Al-'Allaam fi 'Ilm Al-'Aqaaid wa Al-Tawheed wa Al-Akhlaaq wa Al-Ahkaam Al-Mustanbatah min Al-Qur'aan, Al-Sa'di, 'Abdur Rahmaan bin Naasir, Al-Sa'di, Cared for by: 'Abdur Razaaq bin 'Abdil Muhsin Al-Badar, 1st ed., Algeria, Daar Al-Fadeelah, 2009.

38. Al-Fawaaid, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, 2nd ed., Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1393 AH.

39. Al-Qawaa'id Al-Hisaan li Tafseer Al-Qur'aan, Al-Sa'adi, 'Abdur Rahmaan bin Naasir, 1st ed., Riyadh, Daae Al-Rushd, 1420 AH.

40. Al-Kashaaf 'an Haqaaiq Gawaamid Al-Tanzeel, Al-Zamakshari, Mahmuud bin'Umar, 3rd ed., Beirut: Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1407 AH.

41. Majmuu Al-Fataawa, Ibn Taimiyyah, Ahmad bin 'Abdil Haleem, Investigation: Anwaar Al-Baaz and 'Aamir Al-Jarraar, 3rd ed., Daar Al-Wafaa, 1426 AH.

42. Mahaasin Al-Tahweel, Al-Qaasimi, Muhammad Jamaaluddeen bin

Muhammad Sa'eed, Investigation: Muhammad Baasil 'Uyoun Al-Suud, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1418 AH.

43. Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitaab Al-'Azeez, Ibn 'Atiyyah, 'Abdul Haqq bin Gaalib, Investigation: 'Abdul Salaam 'Abdul Shaafi Muhammad, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1422 AH.

44. Madaarij Al-Saalikeen bayna Manaazil Iyyaaka Na'bud wa Iyyaaka Nasta'een, Ibn Al-Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin Abi Bakr, Investigation: Muhammad Mu'tasim bil Laah Al-Bagdaadi, 3rd ed., Beirut, Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1416 AH.

45. Al-Musna Al-Saheeh Al-Mukhtasar bi Naql Al-'Adl 'an Al-'Adk Ilaa Rasuulillaah –sallah Allaah 'alayhi wa sallam- Al-Qushayri Al-Naysaabuuri, Abu Al-Hassan, Muslim bin Al-Hajjaaj, Investigation: Muhammad Fuad 'Abdul Baaqi, N.E, Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, N.E, Beirut, Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arab, N.E.

46. Mafateeh Al-Gayb (Al-Tafseer Al-Kabeer), Al-Raazi, Fakhruddeen, Muhammad bin 'Umar, 3rd ed., Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, 1420 AH.

47. Al-Muktafi fi Al-Waqf wa Al-Ibtidaa, Al-Daani, Abu 'Amr, 'Uthmaan bin Sa'eed bin 'Uthmaan bin 'Umar, Investigation: Muhyiddeen Ramadaan, 1st ed., Amman: Daar 'Ammaar, 2001.

48. Manaar Al-Hudaa fi Bayaan Al-Waqf wa Al-Ibtidaa, with Al-Maqsad li Talkhees maa fi Al-Murshid, Manaar Al-Huda, Al-Ashmouni, Ahmad bin 'Abdil Kareem, Al-Maqsad li Talkhees maa fi Al-Murshid, Al-Ansaari, Zakariyyah bin Muhammad, Investigation: Shareef Abu Al-'Alaa Al-'Alawi, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 2002.

49. Al-Nashr fi Al-Qiraa'aat Al-'Ashr, Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad bin Yusuf, Investigation: 'Ali bin Muhammad Al-Dabaa', N.E, Al-Matba'a Al-Tijaariyyah Al-Kuram N.D.

50. Nuzum Al-Durar fi Tanaasub Al-Aayaat wa Al-Suwar, Al-Biqaa'I, Ibrahim bin 'Umar, N.E, Cairo: Daar Al-Kutub Islaami, N.D.

51. Al-Nukat wa Al-‘Uyoun, Al-Maawardi, ‘Ali bin Muhammad bin Habeeb, Investigation: Al-Seyyid bin ‘Abdil Maqsoud bin ‘Abdir Raheem, N.E, Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, N.D.

52. Al-Waseet fi Tafseer Al-Qur’aan Al-Majeed, Al-Waahidi, ‘Ali bin Ahmad, Investigation: A group of investigators, 1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1415 AH.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



دِلَالَاتُ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ ابْنِ عَاشُور "التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ"

"سُوَرُ المُفَصَّلِ نَمُوذَجًا"

(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour›s interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)



أ. عَبْدُ النَّاصِرِ سَلَامَة

Mr. SALAMA ABDENNASSER

باحث في الدراسات القرآنية

مدرس لمادة التربية الإسلامية بالسلك الثانوي الإعدادي

Researcher in Quranic studies

قدم للنشر في: ٢٤-٨-١٤٤٣هـ الموافق ٢٧-٣-٢٠٢٢

قبل للنشر في: ٢٦-٩-١٤٤٣هـ الموافق: ٢٧-٤-٢٠٢٢

نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م

مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٢ يومًا).

متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٦٣ يومًا).

- من مواليد: زايو - المملكة المغربية.
- حاصل على شهادة البكالوريا في العلوم التجريبية سنة: ٢٠٠٦م.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية سنة: ٢٠١٠م، بالكلية متعددة التخصصات بالناظور، التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة.
- حاصل على شهادة الماجستير في الدراسات القرآنية بالغرب الإسلامي: قضايا ومناهج، بالكلية السالفة الذكر، سنة: ٢٠٢١م.

بعض النتاج العلمي:

- مشارك بعدة مقالات، جُلُّها قرآنية، في عدد من المجلات الإسلامية الشهريَّة، مثل: مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، وذلك في الأعداد التالية: (٦٤٩- ٦٥٦- ٦٦٢- ٦٧٦-٦٨١-٦٨٥-٦٨٦). وكذا مجلة الأزهر الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بمصر، (العدد: ذو القعدة ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨م الجزء ١١ السنة ٩١)، وأيضًا مجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء بالهند، (العدد الثاني – المجلد السابع والستون - شعبان ١٤٤٢هـ- أبريل ٢٠٢١م / العدد الرابع - المجلد السابع والستون).

البريد الشبكي: Email: abdennasser4sabah@gmail.com

المُستَخلَص

تناول هذا البحث موضوع: (دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير: سور المفصل نموذجا). وذلك من خلال بيان ما ارتبط بهذه الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية من الدلالات والمعاني العقدية والأخلاقية والفقهية وغيرها.

وهدفَ هذا البحث بمنهجٍ استقرائيٍّ واستنباطيٍّ إلىٰ لفت الأنظار إلىٰ هذا الجانب المهم من الآيات الكونية؛ في ظل سيطرة بحوث الإعجاز العلمي علىٰ هذا النوع من الآيات. وقد خَلُص البحث إلىٰ تنوع دلالات الآيات الكونية وما ارتبط بها من المعاني، مع غلبةٍ للدلالات العقدية، وفي مقدمتها الدلالات المُبيِّنة لعظمة الله تعالىٰ ووحدانيته، وكذا المُبيِّنة لوقوع البعث، ثم المُبيِّنة لمنَّة الله علىٰ خلقه.

كما خلص البحث إلىٰ تنوع الآيات الكونية الموظَّفة في الدلالة علىٰ تلك المعاني، مع دقة القرآن في استعمالها وتوظيفها بحيث تفيد تلك المعاني المرادةِ إفادةً قويةً ومناسِبةً تدل علىٰ إعجازه البياني.

كما كشف البحث عن دور الآيات الكونية في إبراز عظمة القرآن الكريم من عدة أوجهٍ، ككونه منزلًا من عند الله تعالىٰ، وكونه كريمًا مجيدًا طاهرًا، وكونه بلغ الغاية في التأثير والإرشاد، وغير ذلك من الوجوه.

وخلص البحث أيضًا إلىٰ بيان رزانة ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية، وحرصه علىٰ إبراز المقصد العقدي الموجود فيها باعتباره أهم المقاصد الأصلية

للقرآن الكريم، موظِّفًا في ذلك فنون البلاغة وعلم المناسبة اللذين تبيَّن ما لهما من أهميةٍ في الكشف عن أسرار القرآن ودرره الكامنة وراء ظاهر التركيب والألفاظ.

كما بيَّن البحث ثراء سور المفصل بالآيات الكونية وما تحمله من دلالاتٍ ومعانٍ قيمةٍ.

الكلمات المفتاحية: الآيات الكونية – الدلالات العقدية – تفسير ابن عاشور – سور المفصل – عظمة القرآن.

(The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour's interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model)

Researcher
Salama abdennasser
Researcher in Quranic studies

Abstract:

This research deals with the topic: (The connotations of the Quranic cosmic verses through Ibn Ashour's interpretation of Liberation and Enlightenment: Surat al-Mofassal as a model). This is done by clarifying the connotations and meanings associated with these verses in doctrinal, ethical, jurisprudence and others.

It uses both the inductive and deductive approaches with the intention to draw readers' attention to the important aspect of these Quranic cosmic verses, in a time of the dominance of scientific miracle research on this type of verses. This research reveals the diversity of the connotations of the "cosmic verses" and the associated meanings, with the predominance of the doctrinal connotations, especially the connotations illustrating the greatness and oneness of Allah the Almighty, as well as showing the existence of the resurrection (al-ba'ath), and the grace of Allah upon His creation.

The research also reveals the diversity of the 'cosmic verses' employed in denoting these meanings, with the accuracy of the Quran in its use and employment so that those intended meanings could provide a strong and appropriate statement indicating its rhetorical miracle.

It points out to the role of the 'cosmic verses' in highlighting the greatness of the Holy Quran from several aspects, such as its being and evidence of its divine source (being revealed by God Almighty), pure, exactitude perfect, and reaching the goal in influence and guidance, etc.

It proclaims that Ibn Ashour's was sedate in interpreting these verses. He was keen to highlight their doctrinal intents, as this is the most important original purpose of the Holy Qur'an. He employed the arts of rhetoric and the science of occasion, as they are important tools in revealing the secrets of the Quran and its secrets and values that are implicitly behind the apparent structure and expressions.

The research demonstrates how Surat al-Mufassil is rich with cosmic verses and their valuable connotations and meanings .

Keywords: cosmic verses - doctrinal connotations - interpretation (tafsir) of Ibn Ashour - Surat al-Mufassil - greatness of the Quran.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ليكون للناس هدًىٰ وذكرَىٰ، واختار له من معاني مخلوقاته ما يُبين فضله ويكشف قدره فسمَّاه روحًا ونورًا، وأودع فيه من الحكم والأسرار، ما تقوم عليه مصالح الأنام في هذه الدار وتلك الدار، ثم دلَّ علىٰ كثيرٍ منها بما شاء من مخلوقاته، لتكون أقوىٰ في الدلالة والاعتبار. وصلىٰ الله علىٰ النبيِّ المختار، وعلىٰ آله وصحبه الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فقد عدَّد الله تعالىٰ في كتابه العزيز من ذكر مخلوقاته، ووَزَّع ذكرها بين سوره وآياته، فشغلت هذه الآيات الكونية التي بلغت نحوًا من ألفي آيةٍ(١)، اهتمام ثُلَّةٍ من الباحثين والدارسين، خاصةً منهم أولئك المهتمين بموضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إذ يهدفون من وراء ذلك إلىٰ إثبات صدق معجزة القرآن، وأنه كلام الله تعالىٰ وليس بكلام رسوله أو أحدٍ من خلقه؛ وطريقتهم في ذلك إظهار المطابقة بين مضامين بعض الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية وما اكتشفه العلم الحديث في شأنها مما لم يكن إلىٰ معرفته سبيلٌ في عصر التنزيل، إلا أن يكون ذلك من طريق الوحي.

بَيْد أن هذا الجانب في تناول هذا النوع من الآيات ودراستها ليس هو الجانب الوحيد، ولا ينبغي له أن يكون كذلك؛ إذ إن لهذه الآيات الكونية التي ساقها الله في

(١) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ١٩).

كتابه العزيز أغراضًا وجوانب أخرىٰ جديرةٍ بالتأمل والدراسة، لا تقل في دلالتها علىٰ إعجاز القرآن الكريم من دلالة الإعجاز العلمي عليه، بل هي من هذا الجانب الذي نقصده أدلُّ لكونه جزءًا من الإعجاز البياني الذي هو أساس الإعجاز القرآني.

وأذكر هنا -توضيحًا لما سبق- قوله تعالىٰ علىٰ لسان يوسف لأبيه عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة تنويهًا بالأبوين بدلالة الشمس والقمر؛ إذ من المعلوم أن تأويل الشمس والقمر في رؤيا يوسف عائدٌ إلىٰ أبويه، والكواكب إشارةٌ إلىٰ إخوته، ولاشك أنَّ كل واحدٍ يَعلَم ما للشمس والقمر من فضلٍ علىٰ سائر الكواكب، وأنهما أعظم النيِّرات في السماء، وقد أقسم الله بهما في كتابه، وخصهما بالذكر في عددٍ من آياته، فكان هذا الترميز بهما للوالدين متضمنًا غاية التنويه بحقهما ورفعة مقامهما، وهو ما فتئ القرآن يؤكده في مواضع كثيرةٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣]. فنحن ننظر هنا كيف كانت هذه الآية الكونية في «سورة يوسف» محتويةً علىٰ معنىٰ جليلٍ جديرٍ بالتأمل لا علاقة له بالإعجاز العلمي.

كما اتفق لي أيضًا أن صادفت مرَّةً مقطعًا تلفزيونيًّا مسجَّلًا للشيخ الشعراوي -رحمة الله عليه- (ت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) وقد سأله محاوره عن مسألة المساواة بين الرجل والمرأة، فكان جوابه: أن الله خلق الذكر والأنثىٰ ليتكاملا لا ليتساويا، فهما متكاملان في نظام هذا الكون كتكامل الليل والنهار، ولذلك جاء ذكرهما بعد ذكر هاتين الآيتين الكونيتين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ

﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:١-٤]، ومن ههنا كانت كل دعوةٍ للمساواة بين الجنسين إنما هي في الحقيقة محاولةٌ للخروج عن نظام هذا الكون وشذوذٌ عنه. وهكذا نجد الشيخ الشعراوي ﵀ يلفت الأنظار إلىٰ موقف القرآن من هذه القضية الاجتماعية، وكيف أن القرآن صورها تصويرًا بليغًا يستقر في الأذهان، من خلال الاستناد علىٰ آيتين كونيتين تعتبران غايةً في التكامل والاتزان.

ومن هذا المنطلق الذي ذكرت جاء هذا البحث ليجلِّي بعض المعاني التي ارتبطت بالآيات الكونية في القرآن الكريم، دون الخوض في دلالاتها العلمية والإعجازية.

أولاً: أهمية البحث:

تتجلىٰ أهمية هذا البحث في كونه محاولةً لتسليط الضوء علىٰ جانبٍ يكاد يكون مغفولًا في تناول الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية؛ وذلك في ظل غلبة أبحاث ودراسات التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي علىٰ هذا النوع من الآيات.

فبالرغم من أن الإعجاز العلمي له إضافته التي لا تُنكر في إثبات معجزة القرآن الآن؛ إذ يعد وسيلةً ناجعةً في مخاطبة المولعين بالعلوم الحديثة ومحاجحتهم بها في هذا الميدان، خاصةً من سلك منهم سبيل التشكيك والنكران، إلا أنه -في المقابل أيضًا- قد تؤدي المبالغة فيه إلىٰ حصر زاوية النظر في الآيات الكونية في هذا الجانب فقط؛ مما يُفوِّت علىٰ الباحثين وغيرهم الاهتمام والنظر فيما أودعه الله في هذه الآيات من معانٍ وأسرارٍ، وحكمٍ وأحكامٍ تتعلق بإصلاح عقائدهم وأعمالهم، في الوقت الذي يعد هذا الأمر هو المقصد الأساس من تنزيل آيات القرآن الكريم. ومن هنا كان هذا الموضوع جديرًا عندي بالدراسة والبحث.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

يمكنني القول إن أسباب اختيار هذا الموضوع ترجع إلىٰ ما يلي:

- الرغبة في الكشف عن الدلالات والمعاني التي اقترنت بالآيات الكونية، دون تلك المتعلقة بالإعجاز العلمي.

- قلة الأبحاث والدراسات -علىٰ حد علمي- التي تناولت هذا الموضوع، إذ جُلُّ الدراسات في هذا الباب تُعنىٰ ببحث جانب الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكونية.

- الوقوف علىٰ مدىٰ عناية المفسرين بالآيات الكونية، وتَعرُّف منهجهم في ذلك. وقد اخترت لذلك تفسيرًا معاصرًا أبحث من خلاله هذا الموضوع، وهو تفسير «التحرير والتنوير» للعلامة التونسي الطاهر بن عاشور -رحمة الله عليه- (ت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م).

ثالثًا: أسباب اختيار تفسير ابن عاشور: التحرير والتنوير:

اخترت هذا التفسير الجليل كأساسٍ للبحث في هذا الموضوع نظرًا للأسباب التالية:

١- اهتمام الطاهر ابن عاشور ﵀ بعلم المناسبة بين الآيات، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره[(١)]، وهذا العلم ذو صلةٍ وثيقةٍ بموضوع بحثي؛ إذ من خلاله تنجلي تلك المعاني المودعة في الإشارات الكونية الوارد ذكرها في القرآن، علىٰ غرار ما تقدم مع الشيخ الشعراوي -رحمة الله عليه-، حيث استند إلىٰ علم المناسبة في استنباط تلك الدلالة المشار إليها.

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨).

٢- اهتمام ابن عاشور بالجانب اللغوي والبلاغي في تفسيره عنايةً فائقةً، وهو ما من شأنه أيضًا الكشف عن دقائق المعاني ولطائفها الكامنة وراء ظواهر الآيات القرآنية.

٣- أسلوب ابن عاشور في تفسير الآيات؛ حيث لا يكتفي بذكر المعنىٰ الإجمالي للآيات، بل يتناول مفردات الآية بالشرح، ثم يتناول تركيب الجُمَل بالتحليل والتمثيل أحيانًا بما يُجلِّي المعنىٰ ويُبِين عن المقصود من الآية بيانًا شافيًا.

٤- اهتمام ابن عاشور بالإعجاز العلمي في تفسيره، كما بيَّنَ ذلك في المقدمة العاشرة(١)، وهو ما يعني اهتمامه بتفسير الآيات الكونية التي هي موضوع بحثنا.

رابعًا: أسباب اختيار سور المفصل:

كما اخترت أن يكون البحث مقتصرًا علىٰ سور المفصل من القرآن الكريم، وهي من سورة الحجرات إلىٰ آخر المصحف(٢)، وذلك للأسباب التالية:

١- تعذر تناول جميع سور القرآن بالدراسة في ظل محدودية عدد الصفحات المخصصة لكل بحثٍ في المجلة، فكان من المناسب -إذن- الاقتصار علىٰ سور المفصل.

---

(١) ينظر كلامه عن الإعجاز العلمي في هذه المقدمة من التحرير والتنوير (١/ ١٢٧-١٢٩).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢١٤). وأنبه هنا إلىٰ أني رأيت اعتماد هذا القول في تحديد سور المفصل واخترته علىٰ غيره من الأقوال لأنه قول الجمهور، ورجحه ابن حجر من الشافعية في شرحه علىٰ البخاري حيث قال: «والمراد بالمفصل السور التي كثرت فصولها، وهي من الحجرات إلىٰ آخر القرآن علىٰ الصحيح». فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (٩/ ٨٤). والظاهر أن هذا القول هو اختيار ابن عاشور أيضًا.

٢- اشتمال سور المفصل علىٰ كثيرٍ من السور المكية التي تعتبر مظانًّا للآيات الكونية.

٣- فضل سور المفصل؛ حيث جاء فيها قول النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»[(١)].

كما جاء فيها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ». قال أبو محمدٍ الدَّارِميُّ -راوي الأثر-: «اللُّبَابُ: الْخَالِصُ»[(٢)].

وبناءً علىٰ ما تقدَّم، فقد اخترت لهذا البحث، عنوانًا -أراه مناسبًا له- وهو: «دلالات الآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»: سور المفصل نموذجًا».

خامسًا: إشكالية البحث:

تتجلىٰ إشكالية البحث في وجود حاجةٍ علميةٍ ماسَّةٍ لتوسيع النظر والبحث في دلالات الآيات الكونية، والخروج بها عن نطاق التفسير العلمي الذي يكاد يستأثر بهذا النوع من الآيات، وذلك من خلال الوقوف علىٰ جهود المفسرين في تفسيرها وما استنبطوه منها من الدلالات والمعاني، خاصةً أولئك الذين اهتموا بالجانب البلاغي كالإمام ابن عاشور.

ولنا – من خلال ما تقدم – أن نطرح التساؤلات التالية:

---

(١) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع الليثي، برقم (١٦٩٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم (١٠٥٩).

(٢) سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة البقرة، برقم (٣٤٢٠). وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٨٨).

- هل تشتمل الآيات الكونية علىٰ دلالاتٍ ومعانٍ غير تلك المرتبطة بالإعجاز العلمي؟

- هل اعتنىٰ ابن عاشور بتفسير هذه الآيات الكونية تفسيرًا يكشف عن تلك الدلالات؟ وما هو المنهج الذي سلكه في ذلك؟ وهل كان لاهتمامه في تفسيره بعلوم البلاغة أثرٌ في ذلك؟

- هل اشتمل تفسير ابن عاشور علىٰ نماذج تُعيننا علىٰ تدبُّر هذا النوع من الآيات؟

سادسًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ ما يلي:

- لفت الانتباه إلىٰ جوانب أخرىٰ تتعلق بالآيات الكونية، أراها جديرةً بالدراسة أيضًا، وذلك في ظل سيطرة بحوث الإعجاز العلمي علىٰ هذه الآيات.

- الكشف عن بعض المعاني والأسرار القرآنية التي اقترنت بذكر الآيات الكونية.

- إبراز دور ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية، وتلمس منهجه في ذلك.

- الحَضُّ علىٰ تدبُّر القرآن الكريم وتلمُّس كيفيته من خلال الوقوف علىٰ نماذج لابن عاشور في ذلك، ولغيره من المفسرين أيضًا من خلال تفسيرهم للآيات الكونية.

سابعًا: حدود البحث:

يمكن القول إن حدود هذا البحث تتجلىٰ في دراسة دلالات الآيات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»: سور المفصل أنموذجًا.

ثامنًا: الدراسات السابقة في الموضوع:

هناك عدة دراساتٍ تم إنجازها حول الآيات الكونية، وقد ارتبط بعضها بتفسير ابن عاشور أيضًا، غير أن معظمها يندرج ضمن الإعجاز العلمي، ومن أمثلة ذلك:

١- تفسير الآيات الكونية عند ابن عاشور في التحرير والتنوير، رسالة دكتوراه، إعداد أحمد إبراهيم عبد الله عبابنه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، الأردن، ٢٠١١م.

وقد تناول الباحث في هذه الرسالة موضوع التفسير العلمي من خلال تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير»، وطريقته في ذلك أنه يذكر القضية الكونية الوارد ذكرها في القرآن، مثل قضية السماوات السبع، وكيفية خلقها، وأيُّها خُلق أولًا: هي أم الأرض؟ ونحو ذلك من القضايا الكونية، ثم يتناولها بالدراسة عبر مراحل أربعٍ، وهي كالتالي:

- **كلام ابن عاشور**: حيث يذكر في هذه المرحلة تفسير ابن عاشور للقضية الكونية المتحدث عنها متتبعًا مواضع ذكره لها في تفسيره إن كان لها أكثر من موضعٍ.

- **التحليل**: ويذكر فيه خلاصةً تضم أهم ما قاله وأثاره ابن عاشور في تفسير تلك القضية الكونية، ويرتب خلاصته غالبًا علىٰ شكل نقاطٍ.

- **كلام المعاصرين**: ويذكر في هذه المرحلة ما جاء به العلم الحديث في القضية الكونية موضوع الدراسة، ويأتي فيها بنقول أهل الاختصاص في هذا الشأن، وكثيرًا ما يعتمد علىٰ كلام الدكتور زغلول النجار -وهو أحد المناقشين لبحثه-، ثم يقارن بين كلامهم وكلام ابن عاشور ليرىٰ صواب ما قاله ابن عاشور.

- **تعقيبٌ**: وبه يختم دراسته للقضية الكونية، حيث يذكر في هذه المرحلة رأيه في تفسير ابن عاشور العلمي بناءً علىٰ ما ذكره أهل الاختصاص.

هذا، وقد يضيف الباحث في أحيانٍ كثيرةٍ مرحلةً خامسةً بين المرحلتين الأخيرتين، تحت عنوان: **شواهدُ أخرىٰ**، حيث يذكر في هذه المرحلة ما يؤيد به معنًىٰ علىٰ آخر.

وعلىٰ العموم فهذا البحث وإن بدا بينه وبين بحثي تقاربٌ في العنوان إلا أنهما يختلفان من جهة المضمون؛ وذلك أن موضوع هذا البحث - كما صرَّح به صاحبه في المقدمة- هو النظر في التفسير العلمي للآيات الكونية لدىٰ ابن عاشور والوقوف علىٰ مدىٰ جودته من خلال مقارنته بما قاله أهل الاختصاص في هذا الشأن، ومناقشته بناءً علىٰ ذلك. فموضوع هذا البحث منحصرٌ -إذن- في هذا الجانب من تفسير الآيات الكونية ولا يتعداه لغيره. بينما يهدف بحثي -كما أشرت سابقًا- إلىٰ الكشف عن الدلالات والمعاني العقدية والأخلاقية وغيرها مما تعلق بذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم، دون الخوض في مضامين هذه الآيات من الناحية العلمية كما فعل صاحب هذا البحث.

٢- موقف الطاهر ابن عاشور من الإعجاز العلمي من خلال تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، إعداد: وفاء عبد الرحيم عطا عبد الرحيم، جامعة سوهاج، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جمهورية مصر، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

وهذا البحث كما يظهر من عنوانه اقتصرت فيه الباحثة علىٰ موضوع الإعجاز العلمي أيضًا من خلال تفسير ابن عاشور للآيات الكونية، وهو ما ترجمته في الباب

الثاني والأخير من بحثها بعنوان: «الإعجاز العلمي في الآيات الكونية عند الطاهر بن عاشور»، حيث تحدثت في هذا الباب المكون من أربعة فصولٍ عن الإعجاز العلمي المرتبط بخلق السماء والأرض والشمس والقمر، وكذا المرتبط بخلق الكائنات الحية مثل الإنسان والحيوان والنبات، ثم المرتبط بخلق البحار والأنهار والجبال وغير ذلك. وهو بهذا الطرح قريب الموضوع جدًّا من البحث الأول.

٣- الآيات الكونية: دراسةٌ عقديةٌ، وطُبع أيضًا بعنوان: الدلالات العقدية للآيات الكونية، وهي رسالة ماجستير من إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان، جامعة الإمام بن محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الدراسات العليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ.

وهذا البحث كما هو ظاهرٌ من عنوانه يتتبع دلالات الآيات الكونية علىٰ مسائل الاعتقاد المختلفة كدلالته علىٰ التوحيد، والبعث، وإثبات الرسالة، وأشراط الساعة، والمخالفات الاعتقادية التي ارتبطت بالآيات الكونية ونحو ذلك من المسائل، وهو يختلف بهذا عن البحثين السابقين وإن تطرَّق إلىٰ موضوع التفسير العلمي في الفصل الثالث منه، ولكن من جهة التنظير فحسب، حيث ذكر تعريفه، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي، وموقف العلماء منه، وبعض المخالفات الاعتقادية التي قد يجرُّ إليها هذا اللون من التفسير في نظر الباحث، كما ذكر مسائل أخرىٰ ذات صلةٍ بالموضوع دون التطرق إلىٰ ذكر أمثلةٍ تطبيقيةٍ للتفسير العلمي أو الإعجاز العلمي.

وهذا البحث علىٰ العموم هو أقرب البحوث المذكورة إلىٰ موضوع بحثي، غير أنه يخالفه في أشياء، منها:

- أنه عامٌّ اشتمل علىٰ الإشارات الكونية في القرآن كله، بالإضافة إلىٰ السنة النبوية، وموضوع بحثي مقتصرٌ علىٰ المفصل من سور القرآن.

- أنه لم يتقيد في دراسته بكتاب «التحرير والتنوير»، وموضوع بحثي إلىٰ جانب قصده الكشف عن بعض الدلالات والمعاني التي ارتبطت بالآيات الكونية فهو يهدف أيضًا إلىٰ إظهار مزايا هذا التفسير.

- أنه اقتصر في مجمله علىٰ الدلالات العقدية التي ارتبطت بالآيات الكونية، وموضوع بحثي لا يتقيد بذلك، بل يشير إلىٰ الدلالات العقدية وغيرها مما دلت عليه تلك الآيات من المعاني.

تاسعًا: منهج البحث:

قام هذا البحث علىٰ منهجين أساسين، وهما:

- المنهج الاستقرائي حيث قمت بتتبع الآيات الكونية الوارد ذكرها في سور المفصل، ثم تجميعها وتتبعها بعد ذلك في تفسير «التحرير والتنوير».

- المنهج التحليلي والاستنباطي حيث حرصت علىٰ تدبُّر كلام ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية المدروسة، ومحاولة التوصل من خلال ذلك إلىٰ الدلالات والمعاني التي ارتبطت بها، ثم تصنيفها بعد ذلك في البحث تصنيفًا مناسبًا.

هذا، وربما أضفت مقارنةً لكلام ابن عاشور بغيره من المفسرين فيما يتعلق ببعض تلك الآيات المدروسة.

عاشرًا: خطة البحث:

يشتمل هذا البحث علىٰ مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ، وذلك علىٰ النحو التالي:

- المقدمة وتتضمن ما يلي: أهمية البحث - سبب اختيار الموضوع - سبب اختيار تفسير ابن عاشور «التحرير والتنوير» - سبب اختيار سور المفصل نموذجًا - إشكالية البحث - أهداف البحث - الدراسات السابقة في الموضوع - منهج البحث - خطة البحث.

- المبحث الأول: الدلالات العقدية في الآيات الكونية، وفيه أربعة مطالب.

- المبحث الثاني: الدلالات الأخلاقية والتشريعية وغيرها في الآيات الكونية، وفيه ثلاثة مطالب.

- المبحث الثالث: دلالة الآيات الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب.

- الخاتمة، وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات المتوصل إليها.

- الفهارس، وتضم ما يلي: فهرس المصادر والمراجع - فهرس الموضوعات.

هذا، وأسأل الله ﷻ أن يرزقنا التوفيق والقبول في هذا العمل، وأن يلهمنا الإخلاص والسداد فيما نذر ونفعل، وأن يغفر لنا ما صدر عنَّا من تقصيرٍ أو زَلَلٍ، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه الميامين الغُرَر.

تمهيد:

بما أن بحثي هذا يتناول أساسًا موضوع «الآيات الكونية»، وهو مصطلحٌ شائعُ الاستعمال لدىٰ الباحثين في علوم القرآن، فإنني أجد نفسي ملزمًا بالإبانة عن مفهوم هذا المصطلح، متَّبعًا في ذلك الخطوات التالية:

١- تعريف الآيات:

الآيات جمع آيةٍ، مثل (آيٌ وآيايٌ) أيضًا، ولها في اللغة معنيان أساسان، وهما: العلامة، والجماعة، يقال: خرج القوم بآيتِهِمْ، أي: بجماعتهم[(١)]. ومن هنا قيل: سميت آية القرآن آيةً لأنها علامةٌ علىٰ تمام الكلام، وقيل: بل لأنها جماعاتٌ من كلمات القرآن[(٢)].

كما أن للآية في الاستعمال القرآني معاني أخرىٰ غير العلامة، وذلك مثل: العبرة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:٧]، أي: عِبرٌ. ومثل: المعجزة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١] أي: من معجزةٍ واضحةٍ، وغير ذلك من المعاني التي أضافها القرآن لهذا اللفظ[(٣)].

أما اصطلاحًا، فتُعرَّف الآية القرآنية بأنها: جزءٌ من السورة لها مبدأٌ ونهايةٌ[(٤)].

---

(١) انظر: مختار الصحاح، لزين الدين الرازي (١/ ٢٧)، مادة (أ ي ا).

(٢) مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار، للقاضي عياض (١/ ٥٦)، مادة (أ ي هـ).

(٣) المدخل لدراسة القرآن، لمحمد أبو شهبة، (ص: ٣٠٩).

(٤) المدخل لدراسة القرآن، لمحمد أبو شهبة، (ص: ٣٠٩).

٢- تعريف الكون:

يقول ابن فارس: «الكاف والواو والنون أصلٌ يدل علىٰ الإخبار عن حدوث شيءٍ، إما في زمانٍ ماضٍ أو زمانٍ راهنٍ. يقولون: كان الشيء يَكون كَوْنًا، إذا وقع وحضر»[١]. فالكَوْن: الحدَثُ، والكَائِنَة: الأمرُ الحادث. وكَوَّنَه فتكَوَّن: أحدَثَه فحَدَث. والله مُكَوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلىٰ الوجود[٢]. فالكَوْن -إذن- لفظٌ يُعبَّر به عن الشيء الحادث والموجود.

أما اصطلاحًا: فيطلق مسمىٰ الكون اليوم علىٰ هذا الفضاء الواسع وما به من أجرامٍ، كالسماوات والأرض وما فيهن، وما بين ذلك من كل متحركٍ وساكنٍ مما علمه الإنسان وما جهله[٣].

ومما يفيد هذا المعنىٰ كذلك مصطلح «العَالَم»، إذ يطلق علىٰ كل ما سوىٰ الله تعالىٰ من الموجودات، بَيْد أن هذا الإطلاق أفاده استعمال علماء الكلام له في قولهم: العالم حادثٌ. وليس هو من تحقيق اللغة؛ إذ لا يوجد في كلام العرب إطلاق «عالم» علىٰ مجموع ما سوىٰ الله تعالىٰ؛ وإنما يطلق مضافًا لنوعٍ يُخصِّصه، فيقال: عالم الإنس، عالم الحيوان، عالم النبات، وهكذا[٤].

٣- مفهوم الآيات الكونية:

لا يخرج مفهوم «الآيات الكونية» عما سبق ذكره في تعريف الآيات والكون

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٥/ ١٤٨)، مادة (ك و ن).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٦٤)، مادة (ك و ن).

(٣) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٢٥).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٨).

باعتباره مصطلحًا مركبًا منهما، غير أنه تبيَّن لي من خلال استعمال الباحثين لهذا المصطلح أن لهم به قصدين:

الأول- بمعنىٰ الكائنات بحد ذاتها؛ وذلك باعتبارها آياتٍ علىٰ وجود الله وعظمته، أي علاماتٍ ودلائل علىٰ ذلك، كما هو المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت:٣٧]، قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): «﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾ علاماته الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته»[١]. وفي هذا يقول الباحث عبد المجيد الوعلان معرِّفًا لنا الآيات الكونية بـ: «أنها المنسوبة إلىٰ الكون الذي هو الخلق الذي كَوَّنه الله تعالىٰ فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، فكل المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية... والعلم الذي يُعنىٰ بدراسة الآيات الكونية الآن يسمىٰ: علم الكونيات»[٢]. وهذا كلامٌ ظاهرٌ يُبيِّن أن الباحث يقصد بالآيات الكونية الكائنات ذاتَها.

الثاني- بمعنىٰ الآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية، أي بمعنىٰ «الآيات التي تشير إلىٰ الكون وما به من كائناتٍ (أحياء وجماداتٍ)، وإلىٰ صورٍ من نشأتها ومراحل تكونها، وإلىٰ العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلهية التي تحكمها»[٣]. وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:٦-١٦]، وغيرها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي (١٨/ ٤٢٣).

(٢) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٢٦-٢٧).

(٣) مدخل إلىٰ دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لزغلول النجار، (ص: ٧٧).

من الآيات الكثيرة ذات الإشارات الكونية.

ومن هؤلاء الباحثين الذين استعملوا المصطلح بهذا المعنىٰ الثاني الشيخ نور الدين عتر رحمه الله (ت ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م) في كتابه: «علوم القرآن الكريم»[(١)]، وكذا الدكتورة الفاضلة هند شلبي -رحمة الله عليها- (ت ١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م) في كتابها عن التفسير العلمي للقرآن الكريم، حيث تقول: «والمتأمل في طريقة فهم القدامىٰ للآيات الكونية يلاحظ فيها اتجاهين عكسيين:

١- منهم من حملها علىٰ ظاهرها اللغوي.

٢- ومنهم من تأوَّلها وأخذ الألفاظ بمعناها المجازي»[(٢)]. وكلاهما ظاهرٌ في أنها تقصد بالآيات الكونية الآيات القرآنية التي تشير إلىٰ الكون، ولا تعني بذلك الكائنات ذاتَها.

وبهذا يتضح لنا أن لهذا المصطلح استعمالين، حيث نجده يرِدُ عند البعض مرادًا به المعنىٰ الأول، كما نجده يرِدُ عند البعض الآخر مرادًا به المعنىٰ الثاني. وقد يستعمله آخرون بالمعنىٰ الأول تارةً وبالمعنىٰ الثاني تارةً أخرىٰ، والذي يحدِّد لنا مقصود الباحث في كل ذلك هو السياق[(٣)].

وأما ما يُقصَد بذلك في هذا البحث فهو المعنىٰ الثاني الذي يُعنىٰ بالآيات القرآنية ذات الإشارات الكونية.

---

(١) علوم القرآن الكريم، لنور الدين عتر، (ص: ٢٣٩).

(٢) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق، لهند شلبي، (ص: ٦٧).

(٣) نجد -مثلًا- الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله يستعمل هذا المصطلح بالمعنيين معًا في كتابه: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، حيث يورده في (ص: ٢٩٨) بالمعنىٰ الأول، بينما يورده في (ص: ٨١) بالمعنىٰ الثاني، والذي يحدد مراده في كل موضعٍ -كما قلنا- هو السياق.

المبحث الأول:

الدلالات العقدية في الآيات الكونية

يمثل إصلاح العقيدة وبناؤها بناءً صحيحًا موافقًا للفطرة التي فطر الناس عليها المقصدَ الأول من تنزيل القرآن الكريم، ويُصدِّق هذا المعنىٰ قول الجن حين سمعوا القرآن يُتلىٰ من فِيِّ الرسول ﷺ: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ [الجن:١-٢]، إذ بينوا من خلال كلامهم هذا أن المقصد من تنزيل القرآن هو الهداية إلىٰ الرشد، ثم بينوا أهم آثار ذلك الرشد وهو استقامة العقيدة وإصلاحها، وهو معنىٰ قولهم: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ٢]. وفي هذا الصدد يقول العلاَّمة ابن عاشور رحمه الله: «وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاحٍ؛ ولأنه لا يُرجىٰ صلاحٌ لقومٍ تلطَّخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفًا من لا شيءٍ، وطمعًا في غير شيءٍ. وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسانٌ بروحه لا بجسمه.

ثم نشأ عن هذا الاعتقاد الإسلامي: عِزَّة النفس، وأصالة الرأي، وحرية العقل، ومساواة الناس فيما عدا الفضائل.

وقد أكثر الإسلام شرح العقائد إكثارًا لا يشبهه فيه دينٌ آخر، بل إنك تنظر إلىٰ كثيرٍ من الأديان الصحيحة، فلا ترىٰ فيها من شرح صفات الخالق إلا قليلًا»(١).

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٩٤).

ومن هنا لم يكن غريبًا أن نجد المعاني العقدية مبثوثةً في كتاب الله بثًّا لا يوازيه غيره من المعاني والدلالات الشرعية، وذلك متحقِّقٌ من أول سورة الفاتحة إلىٰ آخر سورة الناس، فلا تكاد تجد سورةً تخلو من ذلك أبدًا، وإن كانت السور المكية أوفرَ نصيبًا وأوضحَ دلالةً علىٰ تلك المعاني العقدية من السور المدنية.

وتمثل الآيات الكونية علىٰ وجه الخصوص مناسبةً لملاحظة هذه المعاني العقدية باعتبارها الغرض الأساس الذي من أجله جيء بذكرها في القرآن؛ فهي -كما يقول عبد المجيد الوعلان-: «لم تُذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما هي سيقت مساقًا تابعًا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه، من الاستدلال بها علىٰ قضايا كبرىٰ: كالألوهية والنبوات والبعث»(١).

ويمكن لنا أن نقف علىٰ بعض هذه المعاني العقدية من خلال مجموعةٍ من الآيات الكونية التي ورد ذكرها في سور المفصل في ضوء ما ذكره العلامة ابن عاشور في تفسيرها، مبتدئين في ذلك بأهم المعاني العقدية، ثم الذي يليه ثم الذي يليه وفق المطالب التالية.

◆ ◆ ◆

(١) الدلالات العقدية للآيات الكونية، لعبد المجيد بن محمد الوعلان، (ص: ٦٢) و (ص: ١٠٤).

المطلب الأول:
دلالة الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى.

يعد إثبات وحدانية الله تعالىٰ، أهم ركنٍ في العقيدة الإسلامية، جاء القرآن الكريم ليقرره في النفوس ويرسخه في العقول، وقد نهج القرآن الكريم في تقريره مسالك عدَّةً، فمن ذلك أنه يذكر ما يدل علىٰ عظمة الله وقدرته في الخلق والتصرف؛ إذ بثبوت هذا الأمر تثبت الوحدانية لله تعالىٰ ويُنتفىٰ عنه الشريك. ومن ذلك أنه يذكر ما يدل علىٰ صفات الله ﷻ من حكمةٍ وعلمٍ ورحمةٍ ونحو ذلك من الصفات التي بتقرُّرها يتقرر أمر التوحيد أيضًا. ومن ذلك أيضًا أنه يذكر ما يدل علىٰ بطلان معتقدات المشركين في بعض الكائنات العظيمة التي كانوا يضاهون بها توحيد الله تعالىٰ. وقد وُظِّفت في هذا كُلِّه عددٌ من الآيات الكونية، ورَدَ عددٌ منها في سور المفصل، وبيان ذلك كالتالي:

١- ما جاء منها للدلالة على عظمة الله وقدرته:

من الأمثلة التي نجدها علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة البروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ [البروج:١-٣]، قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآية: «في افتتاح السورة بهذا القسم تشويقٌ إلىٰ ما يرِد بعده، وإشعارٌ بأهمية المقسم عليه، وهو مع ذلك يلفت ألباب السامعين إلىٰ الأمور المقسم بها، لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله تعالىٰ بالإلهية وإبطال الشريك». وهو يقصد بذلك الآية الكونية: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾

كما هو ظاهرٌ من تمام كلامه هناك[1].

شاهدٌ آخر: ومن المواطن أيضًا التي نبَّه فيها ابن عاشور علىٰ دلالة الآيات الكونية علىٰ هذا المعنىٰ العقدي ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ في سورة الفجر: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ١-٤]، حيث قال في تعريف «الفجر»: «والفجر: اسمٌ لوقت ابتداء الضياء في أقصىٰ المشرق من أوائل شعاع الشمس حين يتزحزح الإظلام عن أول خطٍّ يلوح للناظر من الخطوط الفَرَضية المعروفة في تخطيط الكرة الأرضية في الجغرافيا، ثم يمتد فيضيء الأفق ثم تظهر الشمس عند الشروق، وهو مظهرٌ عظيمٌ من مظاهر القدرة الإلهية وبديع الصنع»[2]. وهو ما يعني أن القَسَم به كان من أجل لفت أنظار السامعين إلىٰ هذا المعنىٰ.

شاهدٌ آخر: ومثل ذلك أيضًا ما ذكره في بيان أغراض «سورة الشمس»، وما اشتملت عليه من القَسَم بمخلوقاتٍ عظيمةٍ هي: الشمس والقمر والليل والنهار والضحىٰ والسماء والأرض والنفس، حيث ذُكر «من أحوالها ما هو دليلٌ علىٰ بديع صنع الله تعالىٰ الذي لا يشاركه فيه غيره، فهو دليلٌ علىٰ أنه المنفرد بالإلهية والذي لا يستحق غيره الإلهية، وخاصةً أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدىٰ والضلال والسعادة والشقاء»[3].

وبالجملة فقد تعددت الآيات الكونية الدالة علىٰ هذا المعنىٰ، ولا يكاد يُفوِّت ابن عاشور منها شيئًا إلا نبَّه عليه في موضعه، وخاصةً في المواطن التي أقسم الله فيها

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٣٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣١٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٦).

بمخلوقاته؛ إذ تعد الدلالة علىٰ هذا المعنىٰ العقدي المقصدَ الأساس من وراء ذلك.

٢- ما جاء منها دالًّا على بعض صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى:

تعددت أيضًا الآيات الكونية التي نبه الله من خلالها علىٰ بعض صفاته المجيدة وأسمائه الحسنىٰ الدالة علىٰ ألوهيته ووحدانيته ﷻ، فمن ذلك ما جاء منها دالًّا علىٰ صفتي «العلم» و«الحكمة»، ومثاله في سور المفصل ما نجده في قوله تعالىٰ في سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق:٩]، حيث تضمنت هذه الآية الكونية الإشارة إلىٰ هاتين الصفتين الجليلتين، وقد حرص ابن عاشور علىٰ إبراز تجلياتهما في الآية إذ يحتاج ذلك إلىٰ حسن تفهُّمٍ وتدبُّرٍ لها، فقال ﵀: «وفي هذا استدلالٌ بتفصيل الإنبات الذي سبق إجماله في قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧]، لما فيه من سوق العقول إلىٰ التأمل في دقيق الصنع لذلك الإنبات وأن حصوله بهذا السبب وعلىٰ ذلك التطور أعظم دلالةً علىٰ حكمة الله وسعة علمه مما لو كان إنبات الأزواج بالطَّفرة، إذ تكون حينئذٍ أسباب تكوينها خفيةً فإذا كان خلْق السماوات وما فيها، ومدُّ الأرض وإلقاء الجبال فيها دلائل علىٰ عظيم القدرة الربانية لخفاء كيفيات تكوينها؛ فإن ظهور كيفيات التكوين في إنزال الماء وحصول الإنبات والإثمار دلالةٌ علىٰ عظيم علم الله تعالىٰ»[(١)].

ومن الآيات الكونية أيضًا في سور المفصل التي تضمنت الإشارة إلىٰ صفات الله ﷻ وحرَصَ ابن عاشور علىٰ استخلاص ذلك من خلالها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، حيث توقف ﵀ مع هذين المخلوقين العظيمين اللذين هما أهم ما يعرض لجنس الانسان من العوارض، فبيَّن ما في ذكر الموت من صفة القهر

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٩٢).

الإلهي للإنسان وما في ذكر الحياة من صفة الإنعام عليه، وما فيهما معًا من صفة القدرة والتصرف فيه بالإنعام والإعدام، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الموت تصرف في الموجود القادر الذي من شأنه أن يدفع عن نفسه ما يكرهه. والموت مكروهٌ لكل حيٍّ فكانت الإماتة مظهرًا عظيمًا من مظاهر القدرة؛ لأن فيها تجلي وصف القاهر.

فأما الإحياء فهو من مظاهر وصف القادر، ولكن مع وصفه المنعم.

فمعنىٰ القدرة في الإماتة أظهر وأقوىٰ لأن القهر ضربٌ من القدرة.

ومعنىٰ القدرة في الإحياء خفيٌّ بسبب أمرين: بدقة الصنع وذلك من آثار صفة العلم، وبنعمة كمال الجنس، وذلك من آثار صفة الإنعام. وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ في [سورة البقرة: ٢٨]»[١].

ومن الآيات الكونية أيضًا التي تضمنت الإشارة إلىٰ صفات الله تعالىٰ في سور المفصل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك:٣]، حيث نبه ابن عاشور في تفسير هذه الآية إلىٰ تضمنها صفة الرحمة؛ ولذلك أوثر فيها التعبير بوصف «الرحمان» بدل اسم الجلالة؛ إيماءً إلىٰ أن هذا الإتقان الذي وُضع عليه هذا النظام الكوني هو مما اقتضته رحمة الله تعالىٰ بالناس[٢].

كما تضمنت هذه الآيات الكونية الواردة في المفصل أيضًا الإشارة إلىٰ اسمٍ من أسماء الله الحسنىٰ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد:٦]، حيث بيَّن ابن عاشور ﷺ دلالة هذه الآية علىٰ اسم الله تعالىٰ «المدبِّر»،

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٨).

وذلك قصد إبطال ما كان يعتقده المشركون من أن للنهار والليل تدبيرًا وتصرفًا في حياتهم وموتهم، كما حكىٰ القرآن عنهم ذلك في قولهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية:٢٤]، فكانت الآية بيانًا للمدبِّر الفعليِّ والحقيقيِّ لهذا الكون، وهو الله ﷻ[١].

وبهذا يتضح لنا أن الآيات الكونية تعد مجالًا رحبًا للتدبُّر في أسماء الله تعالىٰ وصفاته واستخلاص هذه المعاني العقدية الجليلة من خلالها، إذ من شأن ذلك أن يزيد الإيمان بالله رسوخًا في القلب وثبوتًا في الوجدان؛ لأنه كلما ازداد الإنسان معرفةً بهذه الأسماء والصفات ازداد معرفةً بالله تعالىٰ وإيمانًا به. وقد تلمَّس ابن عاشور هذا الطريق من خلال الآيات الكونية التي فسرها، كما اتضح ذلك من خلال هذه النماذج التي ذكرتها.

٣- ما جاء منها متضمنًا بطلان عقائد المشركين في بعض الكائنات:

تتضمن الآيات الكونية أيضًا إلىٰ جانب الغرضين السابقين التنبيه علىٰ بطلان عقائد المشركين في بعض المخلوقات العظيمة، حيث يأتي ذكرُ القرآن لها متضمنًا هذا المعنىٰ العقدي بالإضافة إلىٰ تضمنه تعظيمًا لله تعالىٰ وتعريفًا به. ومن شواهد هذا المعنىٰ في سور المفصل ما يلي:

أ- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية الليل والنهار:

فقد جاء في سورة الحديد -وقد تقدم هذا آنفًا- قوله تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الحديد:٦]، حيث تضمنت هذه الآية -إلىٰ جانب دلالتها علىٰ اسم الله «المدبِّر»- إبطال عقيدة المشركين في الليل والنهار؛ إذ كانوا يعتقدون

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦٧).

أن لهذين المخلوقين العظيمين تصرفًا في حياتهم ومماتهم، فأشارت الآية إلىٰ كونهما خاضعين لتدبير الله وتسييره، وليس الأمر كما يزعمون؛ ولذلك أَسند فعل الإيلاج في الآية إليه لا إليهما. وفي هذا يقول ابن عاشور رحمه الله مبينًا مناسبة ذكر هذه الآية عقب قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد:٥]: «وهو أيضًا مناسبٌ لمضمون جملة ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ تذكيرًا للمشركين بأن المتصرف في سبب الفناء هو الله تعالىٰ، فإنهم يعتقدون أن الليل والنهار هما اللذان يفنيان الناس، قال الأعشىٰ:

ألم تَروا إرَمًا وعَادًا ... أفناهُمَا اللَّيلُ والنَّهارُ

وحكىٰ الله عنهم قولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فلما قال: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد:٥]، أبطل بعده اعتقاد أهل الشرك أن للزمان الذي هو تعاقب الليل والنهار والمعبر عنه بالدهر تصرفًا فيهم»[(١)].

شاهدٌ آخر: وقريبٌ من هذا المعنىٰ أيضًا ما ذكره رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ:١٠]، حيث بيَّن هنالك بطلان اعتقاد الدَّهريين في الليل إذ كانوا يزعمون أنه رب الظلمة، مع الإشارة أيضًا إلىٰ بطلان معتقد المجوس في كون المخلوقات كلها مصنوعةً من أصلين، أي إلهين: وهما إله النور وهو صانع الخير، وإله الظلمة وهو صانع الشر[(٢)].

ب- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية النجم:

من شواهد هذا المعنىٰ أيضًا في سور المفصل ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٠).

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، حيث نبه ابن عاشور ﵀ إلىٰ تضمن هذه الآية بطلان عقيدة بعض المشركين في إلهية النجم؛ بدليل اقترانه بصفة الهُويِّ والأفُول[(١)]، وهي من صفات النقص التي ينُزَّه عن مثلها الإله الحق، مع دلالة الآية في الوقت نفسه علىٰ عظم الصانع ﷻ وكمال تصرفه وتدبيره، فقال ﵀: «وفي ذكر ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ احتراسٌ من أن يتوهم المشركون أن في القَسَم بالنجم إقرارًا لعبادة نجم الشِّعرىٰ، وأن القَسَم به اعترافٌ بأنه إلهٌ، إذ كان بعض قبائل العرب يعبدونها؛ فإن حالة الغروب المعبَّر عنها بالهوىٰ حالة انخفاضٍ ومغيبٍ في تخيل الرائي؛ لأنهم يعدون طلوع النجم أوْجًا لشرفه، ويعدون غروبه حضيضًا، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

ومن مناسبات هذا يجيء قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ في هذه السورة [٤٩]، وتلك اعتباراتٌ لهم تخيلية شائعةٌ بينهم، فمن النافع موعظة الناس بذلك؛ لأنه كافٍ في إقناعهم وصولًا إلىٰ الحق.

فيكون قوله: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾؛ إشعارًا بأن النجوم كلها مسخرةٌ لقدرة الله مسيرةٌ في نظام أوجدها عليه ولا اختيار لها؛ فليست أهلًا لأن تُعبد، فحصل المقصود من القَسَم بما فيها من الدلالة علىٰ القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها»[(٢)].

والحق أن هذا المعنىٰ الذي ذكره ابن عاشور هنا قد أشار إليه قبل ذلك الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره بعبارةٍ أوجز، فقال ﵀ في تفسير الآية الكريمة: «وفيه

---

(١) الأفُول مصدر لفعل أَفَل بمعنىٰ: غاب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، تاج العروس، للزبيدي (٢٨/ ٧)، مادة: (أ ف ل).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٩١).

لطيفةٌ، وهي أن الله لما أقسم بالنجم شرَّفه وعظَّمه، وكان من المشركين من يعبده؛ فقرن بتعظيمه وصفًا يدل علىٰ أنه لم يبلغ درجة العبادة، فإنه هاوٍ آفِلٌ»(١). ولعل ابن عاشور قد بنىٰ كلامه علىٰ ما قاله الرازي؛ إذ يُعدُّ «التفسير الكبير» للرازي أحد المصادر البارزة التي اعتمدها ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير».

ج- ما جاء منها متضمنًا بطلان ألوهية الشمس والقمر:

ومن شواهد هذا المعنىٰ العقدي أيضًا ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الرحمن: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥]، حيث ذكر ابن عاشورٍ تضمن هذه الآية بطلان عقيدة المشركين في إلهية هذين النيِّرين العظيمين، فقال ﵀: «وهذا استدلالٌ علىٰ التفرد بخلق كوكب الشمس وكُرَةِ القمر، وامتنانٌ بما أودع فيهما من منافع للناس، ونظام سيرهما الذي به تدقيق نظام معاملات الناس واستعدادهم لما يحتاجون إليه عند تغيرات أجوائهم وأرزاقهم. ويتضمن الامتنان بما في ذلك من منافعهم. وفي كون هذا الخبر جاريًا علىٰ أسلوب التعديد ما قد علمت آنفًا من التَّبكيت، ووجهه: أنهم غفلوا عما في نظام الشمس والقمر من الحكمة وما يدل عليه ذلك النظام من تفرد الله بتقديره، فاشتغل بعضهم بعبادة الشمس وبعضهم بعبادة القمر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]»(٢).

وبهذا يتضح لنا أن الآيات الكونية قد دلت علىٰ استحقاق الله للألوهية والوحدانية من جهتين، وهما:

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٢٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٤).

أولًا- من جهة دلالتها علىٰ عظمة الله ﷻ وإثبات صفاته المجيدة الدالة علىٰ ذلك كالقدرة والحكمة والعلم والقهر وغيرها من الصفات.

ثانيًا- من جهة دلالتها علىٰ انتفاء الألوهية عن بعض الكائنات التي اتُّخذت معبودات من دون الله ﷻ.

وقد حرص ابن عاشور رحمه الله علىٰ تجلية هذه المعاني من خلال تفسيره لهذه الآيات الكونية، سواء بالاعتماد علىٰ فهمه هو لها، أو علىٰ فهم غيره كما رأيناه في النموذج (ب).

المطلب الثاني:
دلالة الآيات الكونية على وقوع البعث

من القضايا العقدية الكبرىٰ التي جاء القرآن أيضًا لإثباتها وتقريرها في النفوس: قضية البعث وإحياء الناس بعد بِلَاهم، إذ تعد هذه القضية أهم ما جادل فيه الكفار النبي ﷺ وأنكروه من رسالته، و«الأصلَ الأصيل في تصميمهم علىٰ وجوب الإعراض عن دعوة القرآن توهمًا منهم بأنه يدعو إلىٰ المحال»[1]، كما ذكر تعالىٰ عنهم قولهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق:٣]، أي: مستحيلٌ. وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]: «مناسبة اتصال هذا الكلام بما قبله أن أهم ما جادلوا فيه من آيات الله هي الآيات المثبتة للبعث وجدالهم في إثبات البعث هو أكبر شبهةٍ لهم ضلَّلت أنفسهم وروَّجوها في عامتهم، فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٖ جَدِيدٍ﴾ [الرعد:٥]. فكانوا يسخرون من النبيء ﷺ لأجل ذلك؛ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٖ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧]»[2].

ومما ينبئنا كذلك بمدىٰ إنكار الكفار للبعث أن هذا الوصف -كما يقول ابن عاشور- قد صار سمةً مميزةً لهم في القرآن، كما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان:٢١][3].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٥-١٧٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٣).

وإذا عرفنا هذا؛ عرفنا سبب العناية الفائقة للقرآن بمسألة إثبات يوم البعث، إذ سلك في إثباته مسالك عديدةً جدًّا(١)، وقد وُظِّفت في عددٍ منها آياتُ الله الكونية، وبيان ذلك كالتالي:

١- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بما هو أعظم منه:

وهذا من أهم المسالك التي نهجها القرآن في إثبات البعث وإسقاط وَهْمِ بُعده واستحالته من مخيلة المنكرين له، ويقوم هذا المسلك علىٰ منهج الاستدلال بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ(٢)، ويُعبَّر عنه أيضًا بالاستدلال بطريق الأَوْلىٰ(٣)، وهذا الاستدلال -كما يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)- في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقلٌ البتَّة(٤)، وهو مضمون ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة غافر: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «ولما كانوا مقرِّين بأن الله هو خالق السماوات والأرض؛ أقيمت عليهم الحجة علىٰ إثبات البعث؛ بأن بعث الأموات لا يبلغ أمره مقدار أمر خلق السماوات والأرض بالنسبة إلىٰ قدرة الله تعالىٰ»(٥).

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور بن محمد رمضان، (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور بن محمد رمضان، (ص: ٩٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٢٦).

(٤) التفسير الكبير، للرازي (٢٧/ ٥٢٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٧٦).

وقد تعددت شواهد هذا المعنىٰ العقدي في سور المفصل، فمن ذلك ما جاء صريح الدلالة عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات:٢٧]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «والاستفهام تقريريٌّ، والمقصود من التقرير إلجاؤهم إلىٰ الإقرار بأن خلق السماء أعظم من خلقهم، أي: من خلق نوعهم، وهو نوع الإنسان، وهم يعلمون أن الله هو خالق السماء، فلا جرم أن الذي قدر علىٰ خلق السماء قادرٌ علىٰ خلق الإنسان مرةً ثانيةً، فيُنتج ذلك أن إعادة خلق الأجساد بعد فنائها مقدورةٌ لله تعالىٰ؛ لأنه قدر علىٰ ما هو أعظم من ذلك، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]، ذلك أن نظرهم العقلي غيَّمت عليه العادة فجعلوا ما لم يألفوه محالًا، ولم يلتفتوا إلىٰ إمكان ما هو أعظم مما أحالوه بالضرورة»(١).

ومنها -أي: من الشواهد- ما لم يأتِ صريحًا في الدلالة علىٰ هذا المعنىٰ كدلالة الأول، ولكن ابن عاشور رحمه الله حرص علىٰ استخلاص دلالته والتنبيه عليه مستندًا في ذلك علىٰ علم المناسبة بين الآيات، كما في قوله تعالىٰ في سورة الذاريات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]، قال رحمه الله: «لما كانت شبهة نفاة البعث قائمةً علىٰ توهم استحالة إعادة الأجسام بعد فنائها؛ أعقب تهديدهم بما يقوِّض توهُّمَهم؛ فوجه إليه الخطاب يذكرهم بأن الله خلق أعظم المخلوقات ولم تكن شيئًا، فلا تُعَدُّ إعادة الأشياء الفانية بالنسبة إليها إلا شيئًا يسيرًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٨٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٥).

شاهدٌ آخر: ونظير هذا أيضًا ما جاء في ذكر الآيات الكونية التي في سورة النبأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ:٦] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:١٦]، قال ابن عاشور ﷺ مفسرًا هذه الآيات: «وحاصل الاستدلال بالخلق الأول لمخلوقاتٍ عظيمةٍ أنه يدل علىٰ إمكان الخلق الثاني لمخلوقاتٍ هي دون المخلوقات الأولىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:٥٧]»(١).

وبالجملة فهذا المعنىٰ العقدي تكرر في سور المفصل، لكن ابن عاشور ﷺ اعتنىٰ بإبرازه في بعض الآيات الكونية التي قد لا يدل ظاهرها علىٰ ذلك، كما في آيات الذاريات والنبأ، ولذلك قَلَّ من المفسرين من يشير عند تفسيرها إلىٰ دلالتها علىٰ هذا المعنىٰ العقدي. ولعل سبب عناية ابن عاشور بذلك هو حرصه علىٰ تجلية المقصد العقدي للقرآن الكريم، باعتباره أهم المقاصد الثمانية التي تحدث عنها في مقدمة تفسيره(٢).

٢- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

يقوم هذا المسلك علىٰ تذكير المنكرين للبعث بأصل خلقتهم الأولىٰ وهو أمر كانوا يعلمونه ويقرون به، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة:٦٢]، حيث يستعرض لهم القرآن الآيات الكونية المبينة لكيفية نشوء الإنسان وأصل نشأته؛ تذكيرًا لهم بهذا المعنىٰ، وتعجيبًا من حالهم أيضًا؛ كيف ينكرون ما هو مثله أو أيسر منه؟ علىٰ احتمال فرض الصعوبة في أحدهما؛ إذ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

إعادة الشيء أيسر من إبداعه أول مرَّةٍ، كما هو معلومٌ[(١)].

ومن المواضع التي جاء فيها هذا المعنىٰ من سور المفصل قوله تعالىٰ: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس:١٨]، يقول ابن عاشور ﷺ في تفسير الآية: «وجملة ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بيانٌ لجملة ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾؛ لأن مفاد هذه الجملة الاستدلال علىٰ إبطال إحالتهم البعث، وذلك الإنكار من أكبر أصول كفرهم.

والاستفهام صُوريٌّ، وجُعل المستفهَم عنه تعيين الأمر الذي به خُلق الإنسان؛ لأن المقام هنا ليس لإثبات أن الله خلق الإنسان، بل المقام لإثبات إمكان إعادة الخلق بتنظيره بالخلق الأول علىٰ طريقة قوله تعالىٰ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾ [ق:١٥]، أي كما كان خلق الإنسان أول مرةٍ من نطفةٍ يكون خلقه ثاني مرةٍ من كائنٍ مَّا، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ في سورة الطارق [٥-٨]»[(٢)].

شاهدٌ آخر: ومن المواطن الأخرىٰ التي جاء فيها هذا المعنىٰ أيضًا قوله تعالىٰ في سورة القيامة متحدثًا عن الإنسان: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة:٣٧-٤٠]، حيث تكلم ابن عاشور هنا بما يبين هذا المعنىٰ بيانًا شافيًا[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٦٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٦٦-٣٦٨).

٣- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالمماثلة والمشابهة:

لا يخفىٰ ما لهذا المسلك أيضًا من أثرٍ في تقرير المعاني المعقولة في النفوس، وتقريبها للأذهان؛ فضَرْبُ الأمثال للمعاني المعقولة بالأشياء المشاهدة المحسوسة من شأنه -كما يقول الزمخشري- «رفع الأستار عن الحقائق حتىٰ تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهدٌ»(١).

أ- التمثيل بالإنبات:

ومن أكثر ما ضُرب به المثل في القرآن بقصد تقريب حقيقة البعث إلىٰ الأذهان وإثبات كونه داخلًا في حيز الإمكان حالُ خروج النبات من الأرض؛ فهي أشبه الأحوال بحال الإنسان في تكونه وتشكُّله، وفي هذا يقول ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالىٰ في سورة نوحٍ، وهي من سور المفصل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:١٧]: «وأطلق علىٰ معنىٰ: أنشأكم، فعل أنبتكم للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوينٌ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾ [آل عمران:٣٧]، أي أنشأها، وكما يقولون: زَرَعك الله للخير، ويزيد وجه الشبه هنا قُربًا من حيث إن إنشاء الإنسان مُرَّكبٌ من عناصر الأرض»(٢).

شاهدٌ آخر: ومن المواطن أيضًا الوارد فيها هذا الاستدلال ضمن سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة عبس: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [عبس:٢٤-٣٢]، حيث بيَّن فيها ابن عاشور هذا المعنىٰ تبيينًا

(١) الكشاف، للزمخشري (١/ ٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٠٤).

شافيًا؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وهذا استدلالٌ آخر علىٰ تقريب كيفية البعث.. فأمرَ الله الإنسان بالتفكير في أطوار تكَوُّن الحبوب والثمار التي بها طعامه، وقد وصف له تطور ذلك ليتأمل ما أودع إليه في ذلك من بديع التكوين، سواءً رأىٰ ذلك ببصره أم لم يرَه، ولا يخلو أحدٌ عن علمٍ إجماليٍّ بذلك، فيزيده هذا الوصف علمًا تفصيليًّا، وفي جميع تلك الأطوار تمثيلٌ لإحياء الأجساد المستقرة في الأرض، فقد يكون هذا التمثيل في مجرد الهيئة الحاصلة بإحياء الأجساد، وقد يكون تمثيلًا في جميع تلك الأطوار بأن تخرج الأجساد من الأرض كخروج النبات؛ بأن يكون بذرها في الأرض ويرسل الله لها قوًىٰ لا نعلمها تشابه قوة الماء الذي به تحيا بذور النبات، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:١٧-١٨].

وفي «تفسير ابن كثيرٍ» عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير:٧] عن ابن [أبي] حاتمٍ بسنده إلىٰ ابن عباسٍ: «يسيل وادٍ من أصل العرش فيما بين الصَّيحتين؛ فينبت منه كل خلقٍ بَلِيَ؛ إنسانٍ أو دابةٍ، ولو مَرَّ عليهم مارٌّ قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم، قد نبتوا علىٰ وجه الأرض، ثم تُرسَل الأرواحُ فتزوَّج الأجسادَ»(١) اهـ.»(٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، برقم (١٩١٤٧). ويغني عن هذا الأثر قوله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قيل: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قيل: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قيل: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ». صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [النبأ: ١٨]: زُمَرًا، برقم: (٤٩٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٣٠).

شاهدٌ آخر: وهنا قد ينتزع ابن عاشورٍ هذا المعنىٰ العقدي انتزاعًا من بعض الآيات الكونية التي يفسرها مستندًا في ذلك علىٰ ذوقه البلاغيِّ الرفيع في تدبُّر الآيات، كما نلاحظه في تفسير قوله تعالىٰ في سورة النبأ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ:١٤-١٦]، حيث يتوقف ﵀ مع عبارة «لنخرج» ليبين سبب إيثار القرآن لها في هذا الموضع بدل «ننبت»؛ ليربط ذلك كله بقضية البعث، فيقول ﵀: «وجيء بفعل لنخرج دون نحو: لننبت، لأن المقصود الإيماء إلىٰ تصوير كيفية بعث الناس من الأرض، إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام، ألا ترىٰ أنه لما كان المقصد الأول من آية سورة (ق) هو الامتنان جيء بفعل «أنبتنا» في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ [ق:٩] الآية. ثم أتبع ثانيًا بالاستدلال به علىٰ البعث بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق:١١]. والبعث خروج من الأرض قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]»(١).

والذي يتلخص لنا من كلام ابن عاشور أن إيثار هذه الظاهرة الكونية لتكُون مثالًا للبعث دالًّا عليه راجعٌ إلىٰ أمور، وهي:

أولًا- التشابه البيِّن في كيفية التكوين بين الإنسان والنبات؛ ولذلك يُعبَّر عن نشوء الإنسان بالإنبات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران:٣٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧].

ثانيًا- تشارك الإنسان والنبات في الأصل المكوَّنان منه وهو الأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٦).

ثالثًا- أن البعث إخراجٌ للإنسان من الأرض، وكذلك الإنبات إخراجٌ للنبات من الأرض، فكان الإنبات بذلك أقرب الظواهر الكونية مشابهةً للبعث؛ ولذلك استدل الله به علىٰ البعث في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ [ق:٩] الآية، حيث أعقبها بقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق:١١] أي: إن خروج الناس من القبور يوم البعث كخروج النبات من الأرض.

ب- التمثيل بغروب الشمس وشروقها:

ومما ضُرب به المثل أيضًا لقضية البعث ما يقع من غروب الشمس وشروقها، إذ تُقارِب هذه الظاهرةُ الكونية في هيئتها مسألةَ الإحياء والإماتة المرتبطة بالبعث؛ إذ تماثلُ صورةُ شروق الشمس بعد غروبها صورةَ إحياء الناس بعد موتهم. ويؤيد هذا التقارب بين الصورتين أن إبراهيم عليه السلام حاجَّ بذلك النمرود بن كنعان حين مَوَّه علىٰ قومه في قضية الإحياء والإماتة، كما قصَّه علينا القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨][(١)].

وقد حرص ابن عاشور رحمه الله علىٰ الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠]، حيث قال في هذا الصدد: «وفي إيثار المشارق والمغارب بالقَسَم بربها رعيٌ لمناسبة طلوع الشمس بعد غروبها؛ لتمثيل الإحياء بعد الموت»[(٢)].

---

(١) وقد قرر ابن عاشور هذا المعنىٰ في تفسيره (١٩/ ١٢٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ١٧٩).

ولعل ما يؤكد لنا هذا الاستنباط الذي ذكره ابن عاشور ﵀ ويقوي جانبه: أن المقسَم عليه هنا هو إثبات البعث، وهو مضمون قوله تعالىٰ بعدُ: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج:٤٠-٤١]، فأتىٰ القرآن في المقسَم به بما يناسب المقسَم عليه؛ وهذا الأمر مرعيٌّ في القرآن وكثير الورود فيه، بل هو معدودٌ من أسراره العجيبة[(١)]، ففي القرآن -كما يقول الشيخ محمد أبو شهبة ﵀- توافقٌ عجيبٌ بين المقسَم به والمقسَم عليه قد يخفىٰ علىٰ غير ذي العقل الذكيِّ والنظر الشفاف والحس الدقيق[(٢)].

ج- التمثيل بتعاقب الليل والنهار:

ومما ضُرب به المثل أيضًا علىٰ إمكان البعث ظاهرة تعاقب الليل والنهار؛ إذ يناسب النهار بضيائه الحياة، ولذلك يسمىٰ الهبوب في النهار بَعْثًا، كما يناسب الليل بظلمته الموت، ولذلك سمىٰ الله النوم وفاةً في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام:٦٠][(٣)]. وقد تكرر إيراد هذا الدليل في القرآن كثيرًا، كما في قوله تعالىٰ في سورة المؤمنون: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [المؤمنون:٨٠]، حيث جاءت الآية جامعةً بين الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنهار تمثيلًا بذلك للبعث وتقريبًا له، ويؤيد هذا كونها جاءت في سياق الجواب علىٰ إنكار الكفار للبعث بدليل قوله تعالىٰ بعد ذلك: ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا

---

(١) دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل، (ص: ٤١٤).

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبو شهبة، (ص ٢٤٦).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٠٦).

لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [المؤمنون:٨١-٨٢]. وكما في قوله تعالىٰ أيضًا في سورة النمل: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل:٨٦]، قال ابن عاشور في تفسير الآية: «وفيها تذكيرٌ بتمثيل الموت والحياة بعدَه بسكون الليل وانبثاق النهار عَقِبَه»[١].

ومن شواهد هذا المعنىٰ في سور المفصل ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ [النبأ:١٠]، حيث بيَّن ابن عاشور دلالة هذه الآية علىٰ البعث، فقال ﵀ في تفسيرها: «.. فلا جرم كان نظام الليل آيةً علىٰ انفراد الله تعالىٰ بالخلق وبديع تقديره.

وكان دليلًا علىٰ أن إعادة الأجسام بعد الفناء غير متعذرةٍ عليه تعالىٰ، فلو تأمل المنكرون فيها لعلموا أن الله قادرٌ علىٰ البعث .»[٢].

د- التمثيل باليقظة بعد المنام:

ومما يتصل بما سبق كذلك، وضُرب به المثل علىٰ إمكان البعث: ظاهرة اليقظة بعد المنام، وهي من أخص أحوال الإنسان وأكثرها تواردًا عليه، إذ تماثل هذه الظاهرة الكونية قضية البعث مماثلةً شديدةً؛ ولذلك أُطلق علىٰ النوم اسم الوفاة الصغرىٰ في إزاء الوفاة الكبرىٰ الذي هو الموت[٣]، ويدل علىٰ هذا التقارب الشديد قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢]. وفي هذا يقول ابن عاشور: «والتوفي حقيقته الإماتة، لأنه

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٤٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٠-١٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٠١).

حقيقةٌ في قبض الشيء مستوفًىٰ. وإطلاقه علىٰ النوم مجازٌ لشبه النوم بالموت في انقضاء الإدراك والعمل. ألا ترىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] الآية»[1].

وقد حرص ابن عاشور أيضًا علىٰ تجلية هذا المعنىٰ في سور المفصل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ:٩]، حيث قال رحمه الله في تفسير هذه الآية: «انتقل من الاستدلال بخلق الناس إلىٰ الاستدلال بأحوالهم، وخص منها الحالة التي هي أقوىٰ أحوالهم المعروفة شبهًا بالموت الذي يعقبه البعث، وهي حالةٌ متكررةٌ لا يخلون من الشعور بما فيها من العبرة؛ لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشبه حالٍ بحال الموت وما يعقبه من البعث.

.. فإضافة نومٍ إلىٰ ضمير المخاطبين ليست للتقييد لإخراج نوم غير الإنسان، فإنَّ نوم الحيوان كله سُباتٌ، ولكن الإضافة لزيادة التنبيه للاستدلال، أي أن دليل البعث قائمٌ بَيِّنٌ في النوم الذي هو من أحوالكم»[2].

فهذه -إذن- بعض الظواهر الكونية التي استُدل بها علىٰ أمر البعث، والذي نستشِفُّه من كلام ابن عاشور المتقدم أنها قد اشتملت علىٰ ميزتين كانتا وراء إيثارها؛ لتكون مضرب مثلٍ علىٰ ذلك، وهما:

أولًا- قوة شَبَهها بحالة البعث؛ كما تقدم ذكره والإشارة إليه في التمثيل بالإنبات، وهو أوضح ما يكون في اليقظة بعد النوم.

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨).

ثانيًا- شدة ملازمتها لحياة الإنسان بحيث لا يحتاج النظرُ والتأمُّل فيها إلىٰ بحثٍ وتكلفٍ، سوىٰ استحضار القلب عند مشاهدتها أو التلبُّس بها، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:٣٧]. فمن مميزات التمثيل القرآني أنه يراعي معرفة المخاطب بالممثَّل به معرفةً يحصل من خلالها المقصد من ضرب المثل، وهو تقريب المعنىٰ إلىٰ الذهن وإزالة الغرابة عنه، ولذلك لما قيل للحسن البصري رحمه الله (ت ١١٠هـ): «الفيل أعظم في الأعجوبة من الإبل!»، يقصدون قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، قال في جوابه: «العرب بعيدة العهد بالفيل»(١).

٤- ما جاء منها في سياق الاستدلال على البعث بالانتقال من شيءٍ إلى شيءٍ:

وهذا من المسالك الدقيقة التي استعملها القرآن في إثبات البعث، وهو في الحقيقة فرعٌ عن الذي قبله، وقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠]، حيث «ربط القرآن أمر البعث بإخراج النار من الشجر الأخضر الريَّان بالماء، الذي يستحيل فيه وجود النار، ليفحم المعاندين علىٰ خلق الأشياء من ضدها ومن غير مادتها»(٢)، إذ كانوا يستبعدون البعث بسبب ذلك؛ ويبيِّنه أن هذه الآية جاءت في سياق الجواب علىٰ إنكار البعث: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٧٧-٨٠].

ومن الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ العقدي في سور المفصل، وهو من الشواهد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/ ٢٥١).

(٢) منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، (ص: ٨٩).

البارزة في القرآن عمومًا، ما ذكره الله في شأن ذلك في سورة الواقعة من قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:٥٨] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢]، حيث تضمنت هذه الآيات الكونية هذا المعنىٰ العقدي، وقد أجمل ذلك العلاَّمة أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في تفسيره بعبارةٍ دقيقةٍ، فقال رحمه الله: «وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالىٰ ووقفهم عليها، من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من أعظم الدلائل علىٰ البعث، وفيها انتقالٌ من شيءٍ إلىٰ شيءٍ، وإحداث شيءٍ من شيءٍ»(١).

ولم يفوِّت ابن عاشور رحمه الله أيضًا الإشارة إلىٰ هذا المعنىٰ الدقيق فذكر أن في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤] الإشارةَ إلىٰ تولد الزرع من حبةٍ أُخذت هي بدورها من زرعٍ آخرَ، وهو ما يشبهه تولُّدُ العظام الجديدة من عظامٍ باليةٍ، فقال رحمه الله: «ويؤخذ من الآية إيماءٌ لتمثيل خلق الأجسام خلقًا ثانيًا مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المجدَّدة منها بنبات الزرع من الحبة التي هي منتسبةٌ إلىٰ سنبلةِ زرعٍ أخذت هي منها فتأتي هي بسنبلةٍ مثلها»(٢).

شاهدٌ آخر: ويشير إلىٰ نحو هذا المعنىٰ أيضًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة:٦٨-٦٩]، حيث قال: «ووجه الاستدلال إنشاء ما به الحياة بعد أن كان معدومًا بأن كوَّنه الله في السحاب بحكمة تكوين الماء. فكما استدل بإيجاد الحي من أجزاءٍ ميتةٍ في خلق

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٨/ ٢١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢١).

الإنسان والنبات استدل بإيجاد ما به الحياة عن عدم تقريبًا لإعادة الأجسام بحكمةٍ دقيقةٍ خفيةٍ، أي يجوز أن يمطر الله مطرًا علىٰ ذوات الأجساد الإنسانية يكون سببًا في تخلقها أجسادًا كاملةً كما كانت أصولها، كما تتكون الشجرة من نواة أصلها»(١).

غير أن الذي يظهر من كلام ابن عاشور هنا أنه يرىٰ أن دلالة هذه الكائنات علىٰ البعث في انتقالها من شيءٍ إلىٰ شيءٍ إنما هو متحقِّقٌ في كونها تنتقل مما يشبه العدم أو الشيء الميت إلىٰ شيءٍ آخر حيٍّ؛ وهو هنا إخراج الإنسان من مَنِيٍّ، والزرع من حَبٍّ، والماء من سحابٍ، والنار من أعوادِ شجرٍ، ولذلك قال في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة:٧١-٧٢]: «وهذا استدلالٌ علىٰ تقريب كيفية الإحياء للبعث من حيث إن الاقتداح إخراجٌ، والزَّنْد الذي به إيقاد النار يُخرَج من أعواد الاقتداح وهي ميتةٌ»(٢).

وهذا الذي ذكره ابن عاشور في الحقيقة أظهر في الدلالة علىٰ البعث، وأقوىٰ من مجرد القول إن انتقال هذه الكائنات من شيءٍ إلىٰ شيءٍ فيه دليلٌ علىٰ ذلك دون تحديد هذا المعنىٰ الدقيق الذي ذكره؛ إذ إن البعث إنما هو تجديد حياة الإنسان من شيءٍ ميتٍ أو من عدمٍ، فناسب أن يكون دليله علىٰ شاكلته.

٥- ما جاء منها في سياق الإخبار بأحوالٍ وأهوالٍ تقع يوم القيامة:

من المسالك القرآنية الدقيقة أيضًا في إثبات البعث الإخبار بما يقع في يوم القيامة، إذ من طريقة القرآن في محاجة المنكرين للبعث أنه لا يردُّ عليهم دائمًا بسوق الأدلة التي سبق ذكرها، بل ينتقل بهم في أحايين كثيرةٍ إلىٰ التعريف مباشرةً

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٥).

ببعض الوقائع والأحداث الرهيبة التي تحيط بذلك اليوم؛ وفي ذلك إثباتٌ له من جهةٍ، وتخويفٌ لهم من جهةٍ أخرىٰ. وقد أشار ابن عاشور ﵀ إلىٰ ما يدل علىٰ هذا الأمر عند تفسير قوله تعالىٰ في آخر سورة لقمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان:٣٣] الآية، حيث قال: «وخِشية اليوم: الخوف من أهوال ما يقع فيه إذ الزمان لا يُخشىٰ لذاته، فانتصب يومًا علىٰ المفعول به. والأمر بخشيته تتضمن وقوعه، فهو كنايةٌ عن إثبات البعث»(١). ونظير هذا في سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة الطور: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الطور:٧]، قال ابن عاشور: «وتضمن قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الطور:٧] إثبات البعث بعد كون الكلام وعيدًا لهم علىٰ إنكار البعث وإنكارهم أن يكونوا معذبين»(٢). وبهذا يتضح أن من وراء هذا المسلك غرضين وهما: إثبات البعث، والتخويف منه.

وقد مثَّلت الآيات الكونية عنصرًا رئيسًا في إثبات البعث من خلال هذا المسلك، وذلك من خلال تصوير القرآن لما يلحقها من تغيرٍ هائلٍ ومرعبٍ في ذواتها ونظامها الذي ألفه الناس، حيث يؤذِن ذلك التغيُّر المفاجئ الذي يحصل لها بخراب العالم ونهايته ووقوع البعث وبدايته، وشواهد هذا المعنىٰ عديدةٌ في سور المفصل؛ من أوضحها ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [الآيات: ١-١٢] من سورة التكوير، يقول ابن عاشور ﵀: «واعلم أن تقديم المسند إليه في الجمل الثنتي عشرة المفتتحات بكلمة (إذا) من قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ إلىٰ هنا، والإخبار عنه بالمسند الفعلي مع إمكان أن يقال:

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤٠).

إذا كوِّرت الشمس وإذا انكدرت النجوم وهكذا، كما قال: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، أن ذلك التقديم لإفادة الاهتمام بتلك الأخبار المجعولة علاماتٍ ليوم البعث؛ توسُّلًا بالاهتمام بأشراطه إلىٰ الاهتمام به وتحقيق وقوعه»[١].

ونحن نلاحظ هنا كيف وَظَّف القرآن في سورة التكوير عددًا من الكائنات العظيمة قصد إثبات البعث من خلالها؛ كالشمس والنجوم والبحار والجبال والعشار والوحوش والسماء، وذلك من خلال تصوير ما يطرأ عليها من تغيُّراتٍ هائلةٍ وقتئذٍ، وهو ما يُعرف أيضًا بأشراط الساعة الكبرىٰ. كما نلاحظ أيضًا كيف وَظَّف ابن عاشور ذوقه البلاغيَّ الرفيع في استخلاص هذا المعنىٰ العقديِّ المتعلق بإثبات البعث، وذلك من خلال إبرازه الغرض من تقديم المسند إليه في هذه الآيات، والإخبار عنه بمسندٍ فعليٍّ، رغم إمكان جعل الجملة فعليةً، علىٰ غرار ما ورد في الآية من سورة الرحمن التي مثَّل بها، والغرض -من ذلك كما يقول- هو لفت النظر إلىٰ ما يقع لهذه الكائنات من أحوالٍ رهيبةٍ تدل علىٰ وقوع يوم البعث.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٥٠).

المطلب الثالث:

دلالة الآيات الكونية على امتنان الله على عباده

إن من الأغراض المهمة التي اقترنت بذكر الآيات الكونية في القرآن الكريم هو سوقها للدلالة بها علىٰ إنعام الله علىٰ عباده وتذكير الناس بذلك، إذ يعد هذا الغرض إلىٰ جانب الغرضين السابقين أهم ما اقترن بالآيات الكونية من الدلالات والمعاني عمومًا[1].

وهذا الغرض غالبًا ما يأتي مدمجًا مع الغرضين السابقين أو أحدهما في كثيرٍ من الآيات الكونية، ولعل الحكمة من وراء هذا الإدماج - كما نستشِفُّه من كلام ابن عاشور- تتجلَّىٰ في ثلاثة أمورٍ:

أولًا- الجمع بين خطاب العقل والوجدان؛ فإذا كان ما تقدم ذكره في المطلبين السابقين من دلالاتٍ ومعانٍ متعلقة بالآيات الكونية قد جاء خطابًا للعقل قُصد به إقام الحجة علىٰ المعاندين في الوحدانية والبعث، فإن هذه الدلالة الثالثة بما فيها من تذكيرٍ بأثر نِعَم الله عليهم في تيسير أمور حياتهم مشتملةٌ علىٰ خطابٍ لهم من جهة العاطفة والوجدان، وذلك بقصد تحريك قلوبهم وكسر شوكة العناد فيهم، ولهذا قال ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية الوارد ذكرها في سورة النبأ من قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [النبأ:٦] الآيات: «والغرض من الامتنان هنا تذكيرهم

(١) ينظر ما يدل علىٰ ذلك في التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٧) عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

بفضل الله لعلهم أن يَرْعَوُوا عن المكابرة[1]، ويُقبِلوا علىٰ النظر فيما يدعوهم إليه الرسول ﷺ تبليغًا عن الله تعالىٰ»[2].

ثانيًا- التنبيه علىٰ بطلان عبادتهم للأصنام من جهة أن العبادة شكر، والشكر يستحقه من يخلق ويُنعِم لا من لا يخلق ولا يُنعِم، فلا يستقيم أن يقروا لله بالربوبية ثم يعبدوا غيره! وهذا في الحقيقة استدلالٌ آخر عليهم من جهة العقل ينضاف إلىٰ دليل إظهار العظمة والقدرة المستلزم لتوحيده ﷻ. وفي هذا يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ في سورة النحل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:١٠]، قال: «استئنافٌ لذكر دليلٍ آخر من مظاهر بديع خلق الله تعالىٰ أدمج فيه امتنانٌ.. وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي: هو لا غيره. وهذا قصرٌ علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر، لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك، ولا يَدَّعون له شريكًا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصنامًا لم تنعم عليهم بذلك كان حالهم كحال من يدَّعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنُزِّلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق»[3].

ثالثًا- المبالغة في التشنيع علىٰ من استمر من الكافرين في عناده وشركه بأنه مرتكبٌ لجريمتين عظيمتين، وهما: مخالفة الحق، وكفران النعمة. وفي هذا يقول ابن عاشور: «وفي إدماج الاستدلال بالامتنان تعريضٌ بأن الذين جعلوا لله شركاء

---

(١) يقال: ارْعَوىٰ عَن القَبيحِ رَعْواً وارْعِواءً، أي: كَفَّ عَنهُ. تاج العروس، للزّبيدي (٣٨/ ١٦٢) مادة: (ر ع و).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٤/ ١١٣).

جمعوا وصمتين هما: وصمة مخالفة الحق، ووصمة كفران النعمة»[(١)].

وهذا المعنىٰ العقدي الذي نحن في صدد الحديث عنه له شواهد كثيرةٌ في سور المفصل، وقد حرص ابن عاشور رحمه الله علىٰ التنبيه علىٰ ذلك في مواضعه، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥]، حيث قال: «وهذا استدلالٌ علىٰ التفرُّد بخلق كوكب الشمس وكُرَةِ القمر، وامتنانٌ بما أودع فيهما من منافع للناس، ونظام سيرهما الذي به تدقيق نظام معاملات الناس واستعدادهم لما يحتاجون إليه عند تغيرات أجوائهم وأرزاقهم. ويتضمن الامتنان بما في ذلك من منافعهم»[(٢)].

شاهدٌ آخر: ومن الشواهد أيضا ما جاء في آية النوم في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ:٩]، يقول ابن عاشور رحمه الله: «وفي هذا امتنانٌ علىٰ الناس بخلق نظام النوم فيهم، لتحصل لهم راحةٌ من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم، فالله تعالىٰ جعل النوم حاصلًا للإنسان بدون اختياره، فالنوم يلجئ الإنسان إلىٰ قطع العمل لتحصل راحةٌ لمجموعه العصبي الذي رُكنُه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجد العصب قواه التي أوهنها عمل الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها، بحيث لو تعلقت رغبة أحدٍ بالسهر لا بد له من أن يغلبه النوم، وذلك لطفٌ بالإنسان؛ بحيث يحصل له ما به منفعةُ مَدَارِكِهِ قسرًا عليه لئلا يتهاون به، ولذلك قيل: إن أقل الناس نومًا أقصرهم عمرًا، وكذلك الحيوان»[(٣)].

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٧٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٤).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩).

ونحن نلاحظ هنا كيف يحرص ابن عاشور علىٰ إظهار مواطن المنة في آية النوم مستفيدًا في ذلك بمعارفه العلمية في الموضوع، وهذا من منهجه في تفسير الآيات الكونية، كما يظهر ذلك في مواضع عديدةٍ من تفسيره.

ومن مميزاته أيضًا هنا أنه قد ينتزع هذه الدلالة من بعض الآيات الكونية في حين قد لا يظهر ذلك لغيره، وهذا من دقة تدبُّره للآيات ومعرفته بمقاصدها وأغراضها، وتمكُّنه من فنون البلاغة، كما نلاحظه في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس:١٨-١٩]، حيث قال: «وفُرع علىٰ فعل «خَلَقَهُ»؛ فعل «فقدَّره» بفاء التفريع؛ لأن التقدير هنا إيجاد الشيء علىٰ مقدارٍ مضبوطٍ منظَّمٍ كقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، أي: جعل التقدير من آثار الخلق؛ لأنه خلقه متهيئًا للنماء وما يلابسه من العقل والتصرف وتمكينه من النظر بعقله والأعمال التي يريد إتيانها، وذلك حاصلٌ مع خلقه مدرجًا مفرعًا.

وهذا التفريع وما عطف عليه إدماجٌ للامتنان في خلال الاستدلال»(١).

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٣).

المطلب الرابع:
دلالة الآيات الكونية على التهديد والوعيد

من الدلالات الدقيقة أيضًا التي ارتبطت بالآيات الكونية واحتاج استنباطها إلىٰ تأمُّلٍ وتدبُّرٍ دلالتها علىٰ الوعيد والتهديد، فكما تجيء هذه الآيات الكونية في سياق الامتنان علىٰ العباد فقد تجيء كذلك في ضده وهو سياق الوعيد والتهديد؛ وذلك أن الكائنات المخَبر عنها في هذه الآيات تعتبر جندًا من جند الله تعالىٰ يسخرها لمن يشاء من عباده؛ لتكون له عطاءً ومنَّةً، كما يسلطها علىٰ من يشاء منهم ممن استحق العذاب والعقاب؛ لتكون عليه بلاءً ونقمةً. وقد أومأ إلىٰ هذا المعنىٰ الذي ذكرناه الآياتُ الكونية التي جاءت في سياق الإخبار عن إهلاك الله للأمم السابقة التي كذَّبت الرسل؛ إذ كان هلاكها بما هو أصل خلقتها وبه قوام وجودها، مثل التراب والماء والهواء والنار، وهذه من أجلِّ العطايا والنعم، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ اللطيفِ الفخرُ الرازي (ت ٦٠٦هـ) عند تفسير الآيات من سورة الذاريات في إهلاك الله لقوم لوطٍ وفرعون وعادٍ وثمود، حيث قال هنالك: «وفيه إشارةٌ إلىٰ أنه تعالىٰ إذا عذَّب قَدَر علىٰ أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار، فحكايات لوطٍ تدل علىٰ أن التراب الذي منه الوجود والبقاء إذا أراد الله جَعَله سبب الفناء، والماء كذلك في قوم فرعون، والهواء في عادٍ، والنار في ثمود، ولعل ترتيب الحكايات الأربع للترتيب الذي في العناصر الأربعة»[(١)].

وهذا الشاهد الذي ذكرتُه آنفًا لهذا المعنىٰ العقدي هو من سور المفصل لأنه

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ١٨٩).

من سورة الذاريات، وقد نقل ابن عاشور كلام الرازي المذكور وأثنىٰ عليه وأقرَّه، حيث وصفه بأنه من دقائق فخر الدين الرازي[(١)].

شاهدٌ آخر: ومن الشواهد الأخرىٰ أيضًا لهذا المعنىٰ قوله تعالىٰ في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك:١٩]، وقد فات ابن عاشور أيضًا التنبيه علىٰ هذا المعنىٰ من خلال هذه الآية الكريمة، بينما نبَّه عليه غيره من المفسرين ممن اشتهر أيضًا بالاهتمام ببيان المناسبات بين الآيات وهو العلاَّمة أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ). فابن عاشور ﵀ ركَّز في تفسير هذه الآية الكونية علىٰ دلالتها علىٰ عظمة الله وقدرته، وجعل مدار كلامه علىٰ هذا المعنىٰ[(٢)]، بينما أشار أبو حيان الأندلسي إلىٰ دلالتها علىٰ هذا المعنىٰ العقدي الذي نحن في صدد الحديث عنه، أعني: دلالتها علىٰ الوعيد والتهديد، فقال﵀: «ولما حذرهم ما يمكن إحلاله بهم من الخسف وإرسال الحاصب، نبههم علىٰ الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها، وعن عجز آلهتهم عن شيءٍ من ذلك، وناسب ذلك الاعتبار بالطير، إذ قد تقدَّمه ذكر الحاصب، وقد أهلك الله أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به، ففيه إذكارُ قريشٍ بهذه القصة، وأنه تعالىٰ لو شاء لأهلكهم بحاصبٍ ترمي به الطير، كما فعل بأصحاب الفيل»[(٣)]. وهذا معنًىٰ دقيقٌ تنبه إليه أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

فهذه من أهم الدلالات العقدية التي اقترنت بالآيات الكونية مما أمكن الوقوف عليه من خلال تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أساسًا، وفيما يلي يأتي الحديث عن الدلالات غير العقدية في هذا النوع من الآيات.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٧).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (١٠/ ٢٢٧).

المبحث الثاني:

الدلالات الأخلاقية والتشريعية وغيرها في الآيات الكونية

لا جرم أن اهتمام القرآن بإثبات شؤون العقيدة قد احتل الصدارة والأولوية، وهو ما يمكن أن نلاحظه بوضوحٍ من خلال المبحث السابق الذي خصصته لهذا الجانب، حيث قدمتُ هنالك كلام ابن عاشور في كون «إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاحٍ»[(١)].

غير أنه لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن نقول إن موضوعات القرآن واهتماماته مقصورةٌ علىٰ هذا الجانب فحسب؛ إذ يمثل الجانب الأخلاقي أيضًا، وكذا الجانب التشريعي المتعلق بعمل الجوارح موضوعاتٍ ومقاصد كبرىٰ جاء القرآن لتقريرها للناس وتبيينها لهم بإزاء الجانب العقديِّ، ولذلك قدَّم ابن عاشور ﵀ ذكرَ هذه الأمور الثلاثة علىٰ غيرها عند حديثه عن المقاصد الأصلية الثمانية التي جاء القرآن لتبيانها، فذكر أولًا: إصلاح الاعتقاد، وثانيًا: تهذيب الأخلاق، وثالثًا: التشريع[(٢)].

ومن هنا فلا غرابة أن نجد بعض الآيات الكونية توظَّف للدلالة علىٰ الجانبين الأخلاقي والتشريعي، وتحمل في ثناياها ما يقرر بعض مسائلهما. وهذا الأمر هو ما سأتناوله فيما يلي في ضوء ما جاء في تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لتلك الآيات.

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ١٩٤).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

المطلب الأول:

دلالة الآيات الكونية على الجانب الأخلاقي: العدل نموذجًا

لا يخفىٰ أن العدل وهو «الإنصاف في الحكم ووضع الحق مواضعَه» من القيم الإسلامية التي دعا القرآن إليها كثيرًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل:٩٠]، ونحو ذلك من الآيات العديدة التي جاءت في بيان فضل العدل والأمر به؛ يقول ابن عاشور رحمه الله في معرض بيان أن هلاك الظَّلَمَة نعمةٌ تستوجب الشكر: «وإنما كان هلاكهم صلاحًا لأن الظلم تغيير للحقوق وإبطالٌ للعمل بالشريعة، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضىٰ وافتتن الناس في حياتهم، فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم»(١). وهذه عبارةٌ جامعةٌ من ابن عاشور في وصف العدل مستمدةٌ من نصوص الشريعة.

هذا، وقد وُظِّفت في القرآن الكريم بعض الآيات ذات الإشارات الكونية في إبراز قيمة هذا الخلق العظيم الذي عليه صلاح أمر الدنيا والآخرة، ومثال ذلك ما نجده في قصة النَّملة مع سليمان عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٧-١٨]، يقول ابن عاشور رحمه الله مبينًا دلالة هذه الآية علىٰ قيمة العدل في الحكم وأن أثره يتجاوز الإنسان

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٢).

ليبلغ سائر المخلوقات: «وإنما تعجَّبَ -أي: سليمان ﷺ- من أنها عرفت اسمه وأنها قالت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، فوسمته وجنده بالصلاح والرأفة، وأنهم لا يقتلون ما فيه روحٌ لغير مصلحةٍ، وهذا تنويهٌ برأفته وعدله الشامل لكل مخلوقٍ لا فساد منه أجراه الله علىٰ نملةٍ ليَعلَم شرفَ العدل ولا يحتقر مواضعه، وأن ولي الأمر إذا عدل سرىٰ عدله في سائر الأشياء وظهرت آثاره فيها حتىٰ كأنه معلومٌ عند ما لا إدراك له، فتسير جميع أمور الأمة علىٰ عدلٍ. ويضرب الله الأمثال للناس، فضَرب هذا المثل لنبيئه سليمان بالوحي من دلالة نملةٍ»(١).

وأما الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل، فنجدها في موضعين:

الأول: ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الرحمان: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [النمل:١٨]، حيث تضمنت هذه الآية تنويهًا بخُلُق العدل تجلَّىٰ في ذكره مقرونًا بالسماء؛ وفي ذلك عدة دلالاتٍ:

أحدها: الإشارة إلىٰ علو العدل ورفعته؛ لأن من معاني السماء العلو والرفعة، كما في الآية الكريمة: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن:٧]. فالرفع هنا يحتمل -إلىٰ جانب كونه ماديًّا حقيقيًّا- أن يكون مجازيًّا معنويًّا، بمعنىٰ: «رَفَع قَدْرَها ومنزلتها في قلوب الخلق»(٢). وكذلك هو العدل في قلوب العباد.

الثاني: الإشارة إلىٰ أن العدل من أعظم ما أنزل الله للناس من السماء، ولذلك خُصَّ بالذكر في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥]، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: «وهذا الميزان -أي

---

(١) التحرير والتنوير (١٩/ ٢٤٣).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٩/ ٤٦٣). وانظر: التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٧).

العدل- تُبَيِّنه كتب الرسل، فذكره بخصوصه للاهتمام بأمره؛ لأنه وسيلة انتظام أمور البشر»[(١)].

الثالث: التنبيه إلىٰ أن نظام هذا الكون الذي تعدُّ السماء من أعظم تجلياته قائمٌ علىٰ العدل، ولولا ذلك لاختلَّ واعتَلَّ، ولذلك قيل: «بالعدل قامت السماوات والأرض»[(٢)].

والمقصود من هذا كله حَضُّ المخاطبين بأن يلتزموا هذا الخلق العظيم في سائر شئون حياتهم ولا يحيدوا عنه قيد أنملةٍ؛ فإن في التزامه الخيرَ كلَّه، وفي تركه الشرُّ كلُّه، يقول ابن عاشور ﵀ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]: «والميزان هنا مرادٌ به العدل، مثل الذي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الحديد:٢٥]؛ لأنه الذي وضعه الله، أي عيَّنه لإقامة نظام الخلق... وقرن ذلك مع رفع السماء تنويهًا بشأن العدل؛ بأن نُسب إلىٰ العالم العلوي وهو عالم الحق والفضائل، وأنه نزل إلىٰ الأرض من السماء أي هو مما أمر الله به، ولذلك تكرر ذكر العدل مع ذكر خلق السماء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [يونس:٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤١٦).

(٢) هذا الأثر من قول يهود خيبر، كما أخرج ذلك الإمام مالك في الموطأ، كتاب المساقاة، باب ما جاء في المساقاة، برقم (١٣٨١). ولفظه هناك: أن عبد الله بن رواحة ﵁ قال: « يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللهِ إِلَيَّ، وَمَا ذَاكَ بِحَامِلِي عَلَىٰ أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ، فَأَمَّا مَا عَرَضْتُمْ مِنَ الرَّشْوَةِ، فَإِنَّهَا سُحْتٌ – أي: حرامٌ-، وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ». أي: بهذا العدل.

بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩]. وهذا يصدق القول المأثور: «بالعدل قامت السماوات والأرض». وإذ قد كان الأمر بإقامة العدل من أهم ما أوصىٰ الله به إلىٰ رسوله ﷺ؛ قُرن ذكر جَعْلِه بذكر خلق السماء فكأنه قيل ووضع فيها الميزان»(١).

الشاهد الثاني: وهو ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥] الآية، فقد بينت هذه الآية الكريمة ذات الإشارة الكونية أن من حِكَم الله تعالىٰ من إنزال الحديد للناس حفظَ العدل بينهم، وهذا سرُّ ذكْر إنزاله عقب ذكْر إنزال العدل والأمر به، والمعبَّر عنه في الآية بالميزان والقسط. وفي هذا تنويهٌ بهذا الخلق العظيم؛ حيث جُعل حفظه وإقامته بين الناس شيئًا ضروريًّا ولو باستعمال القوة؛ فـ «لابد مع الحق من قهرٍ لمن عاداه وناوأه»(٢). وقد أشار إلىٰ نحو هذا المعنىٰ ابن عاشور عند تفسير الآية الكريمة فقال رحمه الله: «والمقصود من هذا لفت بصائر السامعين إلىٰ الاعتبار بحكمة الله تعالىٰ من خلق الحديد وإلهام صنعه، والتنبيه علىٰ أن ما فيه من نفعٍ وبأسٍ إنما أريد به أن يُوضع بأسه حيث يُستحق ويوضع نفعه حيث يليق به، لا لتجعل منافعه لمن لا يستحقها مثل قُطَّاع الطريق والثُّوَّار علىٰ أهل العدل»، و«لا ليُجعل بأسه لإخضَادِ(٣) شوكة العدل وإرغام الآمرين بالمعروف علىٰ السكوت، فإن ذلك تحريفٌ لما أراد الله من وضع الأشياء

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١١١).

(٣) أي: لكسر شوكة العدل. انظر: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢/ ١٩٤)، مادة (خ ض د).

النافعة والقارَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]»[١]. والظاهر أن تكرار ابن عاشور لعبارة العدل أثناء كلامه هنا عن منافع الحديد هو إيماءٌ منه إلىٰ أن هذا المعدن خُلق لنصرة الحق والعدل لا لمحاربتهما به ونصرة الظلم، لأن ذلك -كما يقول- تحريفٌ لما أراده الله من إيجاده.

وبهذا يتضح دلالة هذه الآيات الكونية علىٰ قيمةٍ عظيمةٍ من قيم الإسلام وهي قيمة العدل، حيث تضمنت الإشارة إلىٰ رفعته وأنه من أهم ما أُنزل علىٰ الناس من السماء، وأن به قوام نظام الوجود كقوام الحياة بالماء، وأنه من الضروري حفظه وإشاعته بين الناس ولو بالحديد، وذلك قطعًا لضده وهو الظلم أن يشيع بينهم؛ إذ من شأن ذلك أن يؤدي إلىٰ فسادٍ يعم ضرره سائر الكائنات. وهذه المعاني قد حرص ابن عاشورٍ علىٰ الإشارة إليها في مواضعها.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٤١٧).

المطلب الثاني:
دلالة الآيات الكونية على بعض التشريعات الفقهية

ذهب عددٌ من الأئمة الأجلاء إلىٰ أن مجال استنباط الأحكام الفقهية من القرآن الكريم غير منحصرٍ في عددٍ معينٍ من الآيات؛ بل القرآن بما اشتمل عليه من القصص والأخبار والأمثال وغير ذلك مجالٌ كله للنظر الفقهي، وإنما يختلف الحال باختلاف القرائح والأذهان في قدرتها علىٰ الاستنباط[١]. ولعل ما يؤيد هذا التوجه أن عددًا من الآيات الكونية جاءت مشتملةً علىٰ تشريعٍ فقهيٍّ، رغم كونها أخبارًا سيقت في الأصل لإثبات قضيةٍ عقديةٍ مثل الوحدانية والبعث، أي أن هذه الآيات الكونية مع كونها أقرب لأن تكون من آيات العقائد علىٰ أن تكون من آيات الأحكام فقد اشتملت علىٰ حكمٍ فقهيٍّ.

ومن الشواهد علىٰ هذا المعنىٰ من سور المفصل قوله تعالىٰ في سورة المرسلات: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦]، فهذه الآية الكريمة ذات الإشارة الكونية جاءت في سياق إثبات الألوهية لله تعالىٰ والامتنان علىٰ الناس بخلق الأرض لهم، وفي ذلك توبيخٌ للكفار تركَهم عبادة الله المنعِم وعبادة غيره، مع دلالتها أيضًا علىٰ إمكان البعث[٢]، وهي مع هذا كله أيضًا تحمل دلالاتٍ فقهيةٍ حرص ابن عاشور علىٰ تجليتها فقال: «وفي الآية امتنانٌ بجعل الأرض صالحةً لدفن الأموات، وقد ألهم الله لذلك ابن آدم حين قتل أخاه كما

(١) المقاربة الفقهية للقرآن: مدخل لتأريخ النظر الفقهي، لمعتز الخطيب، (ص: ٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٢-٤٣٣).

تقدم ذكره في سورة المائدة، فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك؛ كالذي يموت في سفينةٍ بعيدةٍ عن مراسي الأرض أو لا تستطيع الإرساء، أو كان الإرساء يضر بالراكبين أو يخاف تعفن الجثة فإنها يُرمىٰ بها في البحر وتثقل بشيءٍ لترسب إلىٰ غريق الماء. وعليه فلا يجوز إحراق الميت كما يفعل مجوس الهند، وكان يفعله بعض الرومان، ولا وضعه لكواسر الطير كما كان يفعل مجوس الفرس، وكان أهل الجاهلية يتمدحون بالميت الذي تأكله السِّباع أو الضِّباع وهو الذي يموت قتيلًا في فلاةٍ، قال تأبَطَّ[(١)]:

لا تـدْفِـنـونـي إنَّ دَفـنـي مُـحَـرَّمٌ   عليكم ولكنْ خَـامِـري أُمَّ عـامـرِ[(٢)]

وهذا من جهالة الجاهلية وكفران النعمة»[(٣)].

ثم يستطرد ﵀ أيضًا إلىٰ الحديث عن مسألةٍ فقهيةٍ أخرىٰ ذات صلةٍ بالآية، فيقول: «واحتج ابن القاسم من أصحاب مالكٍ بهذه الآية لكون القبر حِرزًا؛ فأوجب القطع علىٰ من سرق من القبر كفنًا، أو ما يبلغ ربع دينارٍ، وقال مالكٌ: القبر حِوَز للميت كما أن البيت حِوَزُ الحيِّ. وفي «مفاتيح الغيب» عن تفسير القفَّال: أن ربيعة استدل بها علىٰ ذلك»[(٤)].

(١) تَأبَّط شرًا: لقب لأحد شعراء الجاهلية، وهو ثابت بن جابر الفهمي، توفي نحو ٨٠ ق هـ. الأعلام، للزركلي (٢/ ٩٧).

(٢) قوله «خامري أم عامرٍ»: هي الضَّبع. والمعنىٰ: إذا قتلتموني فلا تدفنوني ولكن ألقوني إلىٰ التي يقال لها: خامري أمّ عامرٍ، وهي الضَّبع. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٩٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٣). وسيعيد ابن عاشور التنبيه علىٰ هذا الكلام الفقهي أيضًا عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٢٥).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٤).

والذي يتضح من خلال هذه الشواهد أن الآيات الكونية هي مجالٌ أيضًا لاستنباط بعض الأحكام الفقهية، رغم كونها مسوقةً في الأصل للدلالة على المعاني العقدية الكبرى التي تحدثنا عنها في المبحث السابق، وقد حرص ابن عاشور على إبراز هذا الجانب منها. ويمكن ملاحظة هذا بشكلٍ أوضح في التفاسير التي اعتنت بالجانب الفقهيّ بشكلٍ أوسع؛ كتفسير الإمام الجليل أبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ) إذ نبَّه هو أيضًا على هذه الدلالات الفقهية التي ذكرها ابن عاشور -رحمهما الله تعالى جميعًا- مع زياداتٍ أخرى[١].

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢١/ ٥٠٥ - ٥٠٦).

المطلب الثالث:
دلالة الآيات الكونية على موضوعات السور

ومما يمكن إلحاقه بهذا المبحث أيضًا ذكر دلالات بعض الآيات الكونية علىٰ موضوعات السور التي جاءت فيها، إذ يلاحظ أن مجموعةً من الآيات الكونية قد وُظِّفت في بعض السور القرآنية بما يناسب موضوعها ومضمونها الأساس. وقد اعتنىٰ ابن عاشور ﵀ بإبراز هذا الجانب والكشف عنه في بعض المواطن نظرًا لعنايته بعلم المناسبة.

١- دلالة الليل والنهار على موضوع سورة الليل:

ومن الأمثلة علىٰ هذا المعنىٰ من سور المفصل ما جاء من القسم بالليل والنهار في مطلع «سورة الليل»؛ حيث ناسب ذلك مضمون السورة الذي هو بيان الفرق بين حال كُلٍّ من المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، ووجه المناسبة هنا هو مماثلة حال الكفار لظلمة الليل، ومماثلة حال المؤمنين لنور النهار، فالفرق بين حال الفريقين كالفرق بين ظلمة الليل وضوء النهار، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦]، وفي هذا يقول ابن عاشور ﵀: «ومناسبة المقسَم به للمقسَم عليه أنَّ سعي الناس منه خيرٌ ومنه شرٌّ، وهما يماثلان النور والظلمة»[(١)]، ويقول أيضًا: «واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام؛ لأن غرض السورة بيان البَون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة»[(٢)].

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

كما يكشف العلاَّمة ابن عاشور لنا هنا أيضًا السر في تقديم ذكر القسم بالليل علىٰ القسم بالنهار عكس ما جاء في «سورة الشمس» فقال رحمه الله: «وابتدئ في هذه السورة بذكر الليل ثم ذكر النهار عكس ما في سورة الشمس لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس بمدةٍ، وهي سادسة السور وأيَّامَئذٍ كان الكفر مخيِّمًا علىٰ الناس إلا نفرًا قليلًا، وكان الإسلام قد أخذ في التجلي فناسب تلك الحالة بالإشارة إلىٰ تمثيلها بحالة الليل حين يعقبه ظهور النهار»(١).

والذي يؤخذ من كلام ابن عاشور أن الليل جُعل مثلًا للدلالة به علىٰ الكفر والمعاصي من جهة ما فيه من الظلمة، كما جُعل النهار مثلًا للدلالة به علىٰ الإيمان والطاعة من جهة ما فيه من الضياء، وهو ما يتأكد من كلامه رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ في سورة الشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشمس:١-٣]، حيث قال: «وابتدئ القسم بالشمس وأضوائها الثلاثة الأصلية والمنعكسة لأن الشمس أعظم النيِّرات التي يصل نورٌ شديدٌ منها للأرض، ولما في حالها وحال أضوائها من الإيماء إلىٰ أنها مَثَلٌ لظهور الإيمان بعد الكفر وبثِّ التقوىٰ بعد الفجور، فإن الكفر والمعاصي تُمثَّل بالظلمة، والإيمان والطاعات تُمثَّل بالضياء، قال تعالىٰ: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [المائدة:١٦]»(٢).

٢- دلالة الضحى على موضوع سورة الضحى:

ومن النماذج أيضًا علىٰ هذا المعنىٰ في سور المفصل، أعني مناسبة بعض الآيات الكونية لموضوعات السور التي جاءت فيها ودلالتها عليها ما جاء من

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٦٨).

القَسم بالضحىٰ في مستهل «سورة الضحىٰ»، حيث ناسب القسم بهذا الزمن موضوع السورة التي تتحدث عن تأنيس الله تعالىٰ لنبيه ﷺ وتذكيره بعنايته الدائمة له بعد حالة استيحاشٍ عاشها بسبب انقطاع الوحي عنه مدَّةً من الزمن؛ فكانت عودة هذا التأنيس بتجدد نزول الوحي عليه بمثابة انبثاق ضوء الضحىٰ بعد ظلمة الليل؛ فالضحىٰ كما -يقول الفخر الرازي- «وقت اجتماع الناس وكمال الأُنس بعد الاستيحاش في زمان الليل، فبشَّروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحي يظهر ضحىٰ نزول الوحي»(١)، فتمَّ بذلك توظيف وقت الضحىٰ الذي هو انبثاق ضوء الشمس واشتداده للدلالة علىٰ انبثاق نور الوحي وامتداده بعد ظلمة انقطاعه، وقد أشار إلىٰ قريبٍ من هذا المعنىٰ العلاَّمة ابن عاشور رحمه الله أيضًا حين قال: «ومناسبة القسم بـ (الضحىٰ والليل)؛ أن الضحىٰ وقت انبثاق نور الشمس؛ فهو إيماءٌ إلىٰ تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به»(٢). أي: بعد انقطاعه مدَّةً من الزمن.

والملاحظ هنا أيضًا أن هذه السور التي سبق التمثيل بها علىٰ هذا المعنىٰ قد اتُّخذت لها أسماء كائناتٍ وهي: الليل، والشمس، والضحىٰ. والسبب في ذلك -فيما يظهر- هو محورية هذه الأسماء في الدلالة علىٰ ما جاء في سورها من موضوعات ومضامين كما بينَّاه آنفًا، وقد اعتنىٰ بعض الباحثين بإبراز هذا الجانب من دلالة أسماء السور علىٰ محاورها وموضوعاتها في جميع سور القرآن، وقد أتىٰ بحثه نافعًا وفريدًا من نوعه، سماه: «دلالة أسماء السور القرآنية علىٰ محاورها وموضوعاتها»، وهو لصاحبه الدكتور عمر علي حسَّان عرفات.

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٣١/ ١٩١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٤).

المبحث الثالث:

دلالة الآيات الكونية على عظمة القرآن

إن حديث القرآن عن عظمة القرآن بالموضع الذي لا يخفىٰ علىٰ تاليه ومتدبِّره، إذ يجد ذلك مبثوثًا في معظم سوره، بدايةً من سورة البقرة وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢]، ثم مرورًا بسورة آل عمران وقوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:١-٣]، وهكذا في معظم السور، حيث تعددت وجوه ومظاهر عظمة القرآن المتحدَّث عنها؛ فمن ذلك -مثلًا- إظهار إعجازه وأنه من عند الله ﷻ، ومن ذلك إظهار شرف النازل به والمنزَّل عليه والوقت الذي فيه نزل، ومن ذلك أيضًا إظهار ما له من بليغ أثرٍ في تزكية النفوس وإصلاح السلوك والعمل، ومن ذلك أيضًا إظهار ما يضفيه علىٰ حملته ومبلغيه من تشريفٍ وفضلٍ، وغير ذلك من أوجه العظمة التي تحدث عنها القرآن، يقول ابن عاشور رحمه الله في بيان بعضها في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس:١١-١٦]: «وهذا تنويهٌ بشأن القرآن، لأن التنويه بالآيات الواردة في أول هذه السورة من حيث إنها بعض القرآن، فأثني علىٰ القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد، وبرفعة مكانته، وقُدس مصدره، وكرم قراره، وطهارته، وفضائل حملته ومبلغيه، فإن تلك المدائح

عائدةٌ إلىٰ القرآن بطريق الكناية»[1].

والذي يهمني في هذا المقام هو إبراز دلالة بعض الآيات الكونية علىٰ بعض هذه الأوجه والمعاني المبيِّنة لعظمة القرآن الكريم، حيث اشتملت سور المفصل علىٰ نماذج من ذلك أبينها في المطالب التالية.

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ١١٩).

المطلب الأول:

دلالة سقوط النجم على كون القرآن منزلًا من عند الله ﷻ

إن أول النماذج التي تلوح في أفق سور المفصل دالةً علىٰ عظمة القرآن الكريم من خلال الآيات الكونية ما جاء في قوله تعالىٰ في مستهل سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، وقد تقدم ذكر هذه الآية في المبحث الأول في معرض اشتمالها علىٰ دلالتين عقديتين، وهما: دلالتها علىٰ عظيم قدرة الله تعالىٰ في التدبير والتسيير، ثم دلالتها علىٰ بطلان عقيدة المشركين في النجم؛ إذ كان بعضهم يعبده ويعظمه من دون الله، فأشارت الآية إلىٰ أن من أحوال النجم الأفول والسقوط؛ وذلك يقتضي بطلان ما يعتقدونه فيه من الإلهية والتعظيم. ثم إن هذه الآية تشتمل زيادةً علىٰ ذلك علىٰ دلالةٍ عقديةٍ أخرىٰ ذات صلةٍ بالقرآن، وهي بيانها أن هذا القرآن منزَّلٌ من عند الله ﷻ وليس من اختلاق النبي ﷺ كما زعم المشركون؛ ووجه الدلالة فيها أنها قرَّبت إلىٰ أذهانهم نزولَ الوحي من السماء، أو نزول جبريل -عليه السلام- به بما يشاهدونه من سقوط النجم من أعلىٰ الأفق؛ فكما لا ينكرون هذه الحال لمعاينتهم لها باستمرارٍ؛ فكذلك لا ينبغي لهم إنكار نزول جبريل عليه السلام بالوحي علىٰ النبي ﷺ؛ لوجود نظير هذا في العالم المحسوس، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ العلاَّمة ابن عاشور عند تفسير الآية فقال: «ومناسبة القَسَم بـ(النجم إذا هوىٰ)، أن الكلام مسوقٌ لإثبات أن القرآن وحيٌ من الله منزَّلٌ من السماء، فشابه حال نزوله الاعتباريِّ حال النجم في حالة هُويِّه مشابهةً تمثيليةً حاصلةً من نزول شيءٍ منيرٍ إنارةً معنويةً نازلٍ من محلِّ رفعةٍ معنويةٍ، شُبِّه بحالة نزول نجمٍ من أعلىٰ الأفق إلىٰ أسفله، وهو من تمثيل المعقول

بالمحسوس، أو الإشارة إلىٰ مشابهة حالة نزول جبريل من السماوات بحالة نزول النجم من أعلىٰ مكانه إلىٰ أسفله»[(١)].

وبهذا يتضح دلالة هذه الآية الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم من جهة إثبات كونه منزلًا من عند الله ﷻ، ولا شك أن استنباط ابن عاشور لهذا المعنىٰ من الآية الكريمة يبيِّن مدىٰ جودة فهمه وحسن تدبُّره للقرآن.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٩١-٩٢).

المطلب الثاني: دلالة مواقع النجوم على شرف القرآن، وعلوه، وطهارته، وكونه منزلًا من عند الله تعالى:

من نماذج سور المفصل أيضًا التي اشتملت علىٰ دلالة الآيات الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالىٰ في سورة الواقعة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٠]، فهذه الآية (٧٥) تضمنت قسمًا بمواقع النجوم، بمعنىٰ: بروجها ومنازلها[١]، وقد صيغ القسم بها علىٰ أسلوب النفي مبالغةً في تعظيم شأنها والتنويه بها؛ «فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنَّ إعظامي له -أي للمقسَم به- بإقسامي به كلا إعظامٍ، يعني أنه يستأهل فوق ذلك»[٢]. ولذلك قال الله تعالىٰ عقبه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. والحقيقة هنا أن هذا التعظيم لا يقتصر علىٰ المقسم به فحسب؛ بل يشمل المقسم عليه أيضًا كما يشعر بذلك هذا الانتقال البديع من المقسم به إلىٰ المقسم عليه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٦-٧٧]، وقد دلت علىٰ هذا المعنىٰ عبارة الحافظ ابن كثيرٍ (ت ٧٧٥هـ) في تفسير الآية (٧٦) حيث قال: «وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسمٌ عظيمٌ، لو تعلمون عظمته لعظَّمتم المقسم به عليه»[٣]. فالغرض -إذن- من تعظيم شأن المقسم به لفت النظر إلىٰ عظمة المقسم عليه أيضًا وهو القرآن الكريم، فكأن المعنىٰ: إذا كان هذا المقسم به منطويًا علىٰ عجائبَ

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٣١).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٤/ ٦٥٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير (٧/ ٥٤٤).

في الخلق وأسرارٍ في التكوين تجعل القسم به غير موفيه حقَّه، فكذلك هذا القرآن لما انطوىٰ عليه من الأسرار الربانية والعجائب التي لا تنقضي.

وبهذا نلاحظ كيف وُظِّفت آيةٌ كونيةٌ هي «مواقع النجوم» في تقرير عظمة القرآن الكريم من خلال أسلوب القسم، وهذا التعظيم يشمل جميع ما جاء في حق القرآن من أوصافٍ في هذا الموضع من:

- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة:٧٧].

- وقوله تعالىٰ: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة:٧٨].

- وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٩].

- وقوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٨٠].

ففي كل واحدٍ منها مظهرٌ من مظاهر عظمة هذا الكتاب الذي لا يحيط به وصفٌ.

ولابد أن أشير هنا إلىٰ أن العلاَّمة ابن عاشور لم يأتِ عند تفسير هذه الآية بما يدل علىٰ هذا المعنىٰ الذي تحدثت عنه، أعني دلالة هذه الآية الكونية «مواقع النجوم» علىٰ عظمة القرآن الكريم، سوىٰ ما ذكره في مستهلِّ تفسيرها من أن القصد منها هو التنويه بالقرآن باعتباره المخبِر عن وقوع البعث الذي أنكره الكفار، وقد قامت الحجة علىٰ صدق خبره بما تقدم في السورة من الدلائل علىٰ ذلك، فتهيأ المقام حينئذٍ للتنويه بشأنه، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ الآيات[1]. ورغم هذا آثرتُ ذكر هذا النموذج هنا نظرًا لوروده في سور المفصل ولما انطوىٰ عليه من المعاني الجليلة.

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٢٩).

المطلب الثالث:
دلالة الجبال على قوة تأثير القرآن، وكونه قد بلغ الغاية في الوعظ والإنذار

تُعد الجبال من أعظم الموجودات التي تم توظيفها في القرآن الكريم من أجل الدلالة بها علىٰ كثيرٍ من المعاني الجليلة التي أريد تبليغها للناس، وذلك مثل الدلالة بها علىٰ عظمة الخالق سبحانه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٧-١٩]، أو الدلالة بها علىٰ إنعامه سبحانه علىٰ عباده، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل:٨١]، أو الدلالة بها علىٰ ثبوت يوم القيامة وبيان هوله وعِظَمه، كما في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧]، و نحو ذلك من المعاني والدلالات العديدة التي وظفت لها الجبال.

والذي يهمني في هذا المقام هو بيان دلالة الجبال علىٰ عظمة القرآن الكريم، إذ ذلك أيضًا مما دلت عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد:٣١] الآية، أي: «ولو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال عن مقارِّها، وزعزعت عن مضاجعها .. لكان هذا القرآن لكونه غايةً في التذكير ونهايةً في الإنذار والتخويف»(١). وهذا المعنىٰ قد ورد له شاهدٌ في سور المفصل وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾

(١) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٢٩).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١]، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة دلالةً للجبال علىٰ عظمة القرآن الكريم من خلال ذكر ما يقع لها من تشققٍ وتصدُّعٍ جراء تأثُّرها بمواعظ القرآن وحِكَمه ومعانيه؛ وفي ذلك بيانٌ لشدة تأثير هذا القرآن في الأشياء العظيمة، فالمعنىٰ -كما يقول ابن عاشور-: «لو كان المخاطب بالقرآن جبلًا، وكان الجبل يفهم الخطاب؛ لتأثر بخطاب القرآن تأثرًا ناشئًا من خشيةٍ لله خشيةً تؤثرها فيه معاني القرآن»[(١)]. وقد أوثر الجبل هنا ليكون مضرب مثلٍ علىٰ قوة تأثير القرآن بسبب ما يُعرَف به من الصلابة والشدة، فالجبل - كما يقول ابن عاشور أيضًا-:«مثالٌ لأشد الأشياء صلابةً وقلة تأثرٍ بما يقرعه»[(٢)].

والذي نخلص إليه أن القصد من هذا التمثيل والتصوير هو بيان أن هذا القرآن قد بلغ الغاية في الإرشاد والتحذير، بحيث أن مواعظه وحِكَمه قادرةٌ علىٰ التأثير فيما هو غايةٌ في القوة والصلابة وهو الجبل. وفي ذلك أيضًا توبيخٌ للإنسان وبيانٌ لدناءته وقسوة قلبه إذ لا يتأثر بهذا القرآن رغم بلاغة مواعظه[(٣)].

◆ ◆ ◆

(١) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨/ ١١٦).

المطلب الرابع:
دلالة الغيث على مدى قوة تأثير القرآن في القلوب وقدرته على إحيائها وإصلاحها

يعد إنزال الماء من السماء أحد أكثر الظواهر الكونية ذِكرًا في القرآن الكريم؛ نظرًا لتعدد الأغراض والدلالات التي سيقت هذه الظاهرة الكونية لأجلها. وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظًا عديدةً للتعبير بها عن تلك الدلالات حسب ما يقتضيه كل مقامٍ، وذلك كالتعبير عنها بتعبيراتٍ حقيقيةٍ، مثل: التعبير بالمطر، والغيث، والصَّيب، والوابل، والطَّل، والوَدْقِ، والحُسبان. أو التعبير عنها بتعبيراتٍ مجازيةٍ، مثل: السَّماء، والرزق، والرحمة، والرَّجْع[(١)].

والذي يهمني هنا أيضًا هو بيان دلالة هذه الظاهرة الكونية علىٰ عظمة القرآن الكريم، إذ ذلك مما دلت عليه، وذُكرت في القرآن لأجله، وقد آثرتُ تسمية ما دلَّ منها علىٰ هذا المعنىٰ بالغيث -من بين التعبيرات الأخرىٰ التي ذكرتها آنفًا-؛ لاقتران هذا التعبير في الاستعمال القرآني بالرحمة والخير[(٢)]؛ وهو ما يناسب المقصد الذي من أجله أنزل القرآن، ولقوله ﷺ أيضًا: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ ...» الحديث[(٣)].

هذا، وقد اشتملت سور المفصل علىٰ شاهدين لهذا المعنىٰ الذي نتحدث

---

(١) انظر: الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم: دراسةٌ دلاليةٌ، لحسين محيسن ختلان البكري.

(٢) المطر والغيث في القرآن والحديث: دراسة بلاغية أسلوبية، لخليل محمد أيوب، (ص: ١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علِم وعلَّم، برقم (٧٩).

عنه نبَّه إليهما العلامة ابن عاشور في تفسيره:

أولهما- قوله تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧]، فقد تضمنت الآية (١٧) تمثيلًا لحالة احتياج القلوب القاسية إلىٰ ذكر الله والقرآن الكريم؛ من أجل أن تخشع وتلين لطاعته ﷻ، بحالة احتياج الأرض الميتة القاحلة إلىٰ الغيث من أجل أن تحيىٰ وتُنبِت، ومعنىٰ ذلك أن فعل الذكر والقرآن المشار إليهما في الآية (١٦) وتأثيرهما في القلوب القاسية كفعل الغيث وتأثيره في الأرض الميتة. وفي هذا يقول ابن عاشور رحمه الله مفسرًا الآية (١٧): «افتتاح الكلام بـ «اعلموا» ونحوه يؤذن بأن ما سيلقىٰ جديرٌ بتوجه الذهن بشَراشِره إليه(١) .. وهو هنا يشير إلىٰ أن الكلام الذي بُعده مغزًىٰ عظيمٌ غيرُ ظاهرٍ، وذلك أنه أريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلىٰ ذكر الله بحال الأرض الميتة في الحاجة إلىٰ المطر، وحال الذكر في تزكية النفوس واستنارتها بحال الغيث في إحياء الأرض الجدبة.

ودلَّ علىٰ ذلك قوله بعده: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وإلا فإن إحياء الله الأرض بعد موتها بما يصيبها من المطر لا خفاء فيها، فلا يقتضي أن يفتتح الإخبار عنه بمثل اعلموا إلا لأن فيه دلالةً غير مألوفةٍ وهي دلالة التمثيل.. فالجملة بمنزلة التعليل لجملة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إلى

(١) الشَّراشر: الأثقالُ، الواحدة شُرْشُرَةٌ. يقال: ألقىٰ عليه شَراشِرَهُ، أي نَفْسَه، حرصًا ومحبَّة. الصحاح، للجوهري (٢/ ٦٩٦)، مادة: (شرر).

قوله: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦]، لما تتضمنه تلك من التحريض علىٰ الخشوع لذكر الله، ولكن هذه بمنزلة العلة فُصِلت ولم تُعطف، وهذا يقتضي أن تكون مما نزل مع قوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦] الآية»[(١)]، ثم يقول ﵀: «وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعارةٌ تمثيليةٌ[(٢)] مصرَّحةٌ ويتضمن تمثيليةً مَكْنيةً بسبب تضمُّنه تشبيهَ حال ذكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها»[(٣)].

ومن خلال كلام ابن عاشور يتضح لنا دلالة هذه الظاهرة الكونية، وهي نزول الماء من السماء علىٰ عظمة القرآن الكريم، حيث تم تشبيه ما للقرآن من تأثيرٍ بليغٍ في إصلاح القلوب والنفوس وما له من قدرةٍ عجيبةٍ علىٰ إحيائها وتليينها بقدرة الغيث علىٰ إحياء الأرض القاحلة الجدبة وجعلها أرضًا مثمرةً نافعةً.

الشاهد الثاني: وأما الشاهد الآخر علىٰ هذا المعنىٰ فهو قوله تعالىٰ في سورة الطارق: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق:١١-١٤]، فقد تضمنت هذه الآيات مناسبةً بين المقسَم به وهو الغيث النازل من السماء «الرَّجع»، وما يترتب علىٰ نزوله أيضًا من خروجٍ للنبات

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٩٣).

(٢) الاستعارة التمثيلية: هي ما يكون كلٌّ من الطرفين فيها هيئةً منتزعةً من متعددٍ، والعلاقة بينهما المشابهة؛ كقولهم في المتردد في أمره المتحير: «أراك تقدم رجلًا، وتؤخر أخرىٰ»، وحقيقة الكلام هنا: أراك متحيرًا في أمرك، مترددًا؛ شبهت حالة المتردد في الرأي بحال المتردد في المشي، واستعير المركَّب الدال علىٰ التردد في المشي للدلالة علىٰ معنىٰ التردد في الرأي علىٰ سبيل الاستعارة التمثيلية. انظر: موجز البلاغة، للإمام ابن عاشور (ص: ٣٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٩٤).

من الأرض وهو «الصَّدْع»، وبين المقسَم عليه وهو القرآن الكريم؛ حيث يُشابه نزول القرآن نزول الغيث من السماء إذ هو كالغيث للناس، كما يشابه ما يُحْدِثه من أثرٍ في قلوبهم ونفوسهم ما يحدِثُه الغيث في الأرض من إزهارٍ وإثمارٍ. وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ المذكور ابن عاشور بعبارةٍ أوجز فقال رحمه الله في تفسير هذه الآيات: «وذُكر من أحوال السماء -أي في القسم- ما له مناسبةٌ بالمقسَم عليه، وهو الغيث الذي به صلاح الناس، فإن إصلاح القرآن للناس كإصلاح المطر. وفي الحديث: «مَثَل مَا بَعَثَني الله بِهِ مِنَ الهُدَىٰ والعِلْمِ كَمَثَل الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا». الحديث»(١).

وبهذا يتضح دلالة هذه الظاهرة الكونية علىٰ عظمة القرآن من خلال أسلوب القسم الذي رُوعي فيه ما بين الطرفين من تماثلٍ، من جهة ما يحدثه كل واحدٍ منهما من أثرٍ نافعٍ في المحل الذي ينزل عليه.

بل الذي يتضح لي من خلال هذين النموذجين المذكورين أن إيثار هذه الظاهرة الكونية لتكون دالةً علىٰ عظمة القرآن الكريم راجعٌ إلىٰ وجود تقاربٍ بين الغيث والقرآن من عدة وجوهٍ، وليس من وجهٍ واحدٍ فحسب، وهذه الوجوه هي كالتالي:

١ – **اتحاد جهة نزولهما**: أي أن كلًّا من الغيث والقرآن نازلٌ من السماء؛ ومنه كان في تمثيل القرآن بالغيث تحصيلُ فائدةٍ أخرىٰ، وهي: لفت نظر الكفار إلىٰ أن القرآن منزَّلٌ من عند الله وليس بكلامٍ مختلقٍ من عند رسول الله ﷺ كما ادَّعوه، ونظير هذا المعنىٰ ما تقدم في المطلب الأول في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١]، حيث بيَّنتُ هنالك -من خلال كلام ابن عاشور- أن وجه إيثار القسم

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٦٦).

بالنجم علىٰ هذه الحال، وهي سقوطه من علوٍّ هو تقريب معنىٰ نزول القرآن إلىٰ أذهان المنكرين لذلك لئلا يستحيلوه.

٢- **سرعة تأثيرهما في المحل**: أي أن أثر كلٍّ من الغيث والقرآن سريع الظهور في المحل الذي يتمكنان منه؛ فالأرض القاحلة سرعان ما تخضَرُّ وتُزهر إذا نزل عليها الغيث بقدرٍ كافٍ، وهو أمرٌ ثابتٌ بالمشاهدة، ويشهد له أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣]، قال ابن عطية (ت ٥٤١هـ): «وقوله: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ بمنزلة قوله: فتُضحِي، أو فتصير، عبارةً عن استعجالها إثر نزول الماء»(١). وكذلك القلوب والنفوس سرعان ما يظهر عليها تأثير القرآن إذا أحسنت استقباله، كما يشير إلىٰ ذلك ويشعر به قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

٣- **حصول النفع بهما**: أي أن كلًّا من الغيث والقرآن ذو أثرٍ نافعٍ في محله؛ فلا يترتب علىٰ نزول الغيث إلا ما فيه نفع للناس ودوابهم، ولذلك اقترن بالرحمة في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ:٢٨]. وكذلك القرآن لا يترتب علىٰ اتباع هَديه إلا ما فيه نفعٌ للناس عامةً، ولمتبعيه خاصةً، ولذلك أيضًا اقترن بالرحمة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:٧٧]، وغير ذلك من الآيات.

٤- **تضرُّر المحل بانقطاعهما عنه**: ومعنىٰ هذا أن الغيث والقرآن كلٌّ منهما

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (٤/ ١٣١).

ضروريٌّ في استمرار الحياة؛ فالأرض المزهرة الخضراء إذا انقطع عنها الغيث تحولت إلىٰ أرض قاحلةٍ جدباءَ، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا﴾ [الحديد:٢٠]، فبينت الآية أن الأرض بالغيث تكون في حالٍ من الاخضرار والإزهار تُعجب الزراع وتسرُّ الأنظار، ثم تتحول بعد مدَّةٍ من انقطاعه عنها إلىٰ حالٍ أخرىٰ من الاصفرار ثم الاندثار. وهكذا حال القلوب أيضًا مع القرآن؛ فهي به في غايةٍ من الصلاح واللِّين، فإذا انقطعت عنه مدَّةً من الزمن تحولت إلىٰ حالٍ أخرىٰ من القسوة والخمول في الدين، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار قوله تعالىٰ محذِّرًا المؤمنين: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

فهذه بعض أوجه التقارب والمشابهة بين نزول الغيث ونزول القرآن، يتبين بها سبب إيثار هذه الظاهرة لتكون مضرب مثلٍ علىٰ عظمة القرآن الكريم من جهة نفعه وقوة تأثيره، ولعل هناك غيرها من أوجه التقارب تتضح لمن زاد إمعان النظر والتدبُّر في هذه المسألة.

الخاتمة

يمكن لي في ختام هذا البحث الذي خصصته لدراسة الدلالات والمعاني المختلفة التي ارتبطت بذكر الآيات الكونية في المفصل من القرآن الكريم؛ استنادًا علىٰ ما قاله ابن عاشور ﵀ في تفسيرها، أن ألخِّص أهم النتائج التي توصلتُ إليها فيما يلي:

١ - فيما يتعلق بدلالات الآيات الكونية:

- تعدُّد دلالات الآيات الكونية بحيث اشتملت علىٰ ما هو عقديٌّ وأخلاقيٌّ وتشريعيٌّ وغير ذلك أيضًا. مما يعني أنها أوسع من أن تُحصر دراستها في التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي.

- أن أكثر الدلالات ارتباطًا بالآيات الكونية هي الدلالات العقدية، وفي مقدمتها الدلالات المبيِّنة لعظمة الله تعالىٰ ووحدانيته، وكذا المبيِّنة لوقوع البعث، ثم المبيِّنة لمنَّة الله علىٰ خلقه.

- قيمة الآيات الكونية في إبراز عظمة القرآن الكريم من عدة أوجهٍ؛ ككونه منزلًا من عند الله تعالىٰ، وكونه كريمًا مجيدًا طاهرًا، وكونه بلغ الغاية في التأثير والإرشاد، وغير ذلك من الوجوه.

- تنوع الآيات الكونية الموظفة في الدلالة علىٰ المعاني المذكورة، مع دقة القرآن في استعمالها وتوظيفها، بحيث تفيد تلك الدلالات والمعاني المرادةِ إفادةً قويةً ومناسبةً، كما رأيناه في دلالتها علىٰ البعث من خلال المماثلة والمشابهة، أو

كما رأيناه في دلالتها علىٰ موضوعات السور، أو كما رأيناه في دلالتها علىٰ عظمة القرآن، وخاصةً من خلال نموذج الغيث، وهذا مما يثبت إعجازه البياني.

٢- فيما يتعلق بالعلاَّمة ابن عاشور وتفسيره:

- رزانة ابن عاشور في تفسير الآيات الكونية؛ بحيث أنه لم ينجرَّ وراء تكلف التفسير العلمي لها وإغفال الدلالات والمعاني الأساسية التي سيقت في القرآن لأجلها، وهي الدلالات والمعاني التي ذكرتها في هذا البحث.

- مراعاة ابن عاشور للمقاصد الأصلية للقرآن الكريم التي تحدث عنها في مقدمة تفسيره، والتي جعل علىٰ رأسها المقصد العقدي ثم الأخلاقي ثم التشريعي، إذ لم يغفل الإشارة إلىٰ ما يدل علىٰ هذه المقاصد عند تفسيره للآيات الكونية، ولا سيما المقصد العقدي الذي هو أساس كل إصلاحٍ.

- مدىٰ تمكن العلامة ابن عاشور رحمه الله من البلاغة وفنونها وقدرته الكبيرة علىٰ استنباط الدلالات والمعاني من الآيات الكونية اعتمادًا علىٰ ذلك. وهو ما يعني أيضًا أهمية هذا العلم في تفسير القرآن الكريم والكشف عن أسراره ودرره.

- الاهتمام الكبير الذي أولاه ابن عاشور في تفسيره لعلم المناسبة بين الآيات، ومدىٰ أهمية هذا العلم أيضًا في استنباط الدلالات والمعاني الكامنة وراء الآيات القرآنية عمومًا، والكونية منها خصوصًا.

٣ - فيما يتعلق بسور المفصل:

- غِنَىٰ سور المفصل بالآيات الكونية وما تحمله من دلالاتٍ ومعاني قيمةٍ.

- قيمة سور المفصل ضمن سور القرآن؛ إذ تكتنز من الدلالات والمعاني

ما قد يكون مبثوثًا في باقي السور، ولعل هذا من أسرار قوله ﷺ: «وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[١]، ويؤيده قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلُ»[٢]، ولُبَابُ الشيء: خالصه وجوهره.

التوصيات:

أما فيما يتعلق بأهم التوصيات التي يمكن تسجيلها في نهاية هذا البحث، فهي كالتالي:

- توسيع دائرة البحث لتشمل جميع القرآن بدل سور المفصل فقط، وذلك بقصد الكشف عن مزيدٍ من المعاني والدلالات المرتبطة بالآيات الكونية.

- توسيع دائرة التفاسير المبحوث فيها لتشمل غير «التحرير والتنوير»، وذلك أيضًا بقصد الكشف عن مزيدٍ من المعاني والدلالات المرتبطة بالآيات الكونية، وخاصةً في التفاسير البلاغية، وتلك التي عنيت بعلم المناسبة بين الآيات.

- اختيار كائنٍ من الكائنات وتوسيع البحث في آياته القرآنية؛ بقصد الوقوف علىٰ ما اشتملت عليه آياته من الدلالات والمعاني علىٰ وجه الخصوص، كاختيار الجبال أو الغيث أو الليل ونحو ذلك.

هذا، ونسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا الإخلاص والسداد في القول والعمل، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علمًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة لنا إلا به، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

---

(١) سبق تخريجه في المقدمة.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة أيضًا.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

كتب الحديث وشروحها (ترتيب ألفبائي):

٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري). البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. ط:١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج ١-٤: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج ٥: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ج ٦: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤- سنن الدَّارِمي. الدَّارِمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط١، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. د.ط، المكتب الإسلامي، د.ت.

٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن عليٍّ بن حجر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٧- المسند. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨- الموطأ. المدني، أبوعبد الله مالك بن أنسٍ. تحقيق: محمود بن الجميل. ط١، القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

◆ **علوم القرآن وتفسيره (ترتيب ألفبائي):**

٩- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. الشيخ محمد أبو شهبة. ط٤، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.

١٠- الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن الكريم: دراسة دلالية. البكري، حسين محسين ختلان. مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ٢٢، العدد ١، د.ت.

١١- البحر المحيط في التفسير. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

١٢- البرهان في علوم القرآن. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٣- تحرير **المعنىٰ** السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير القرآن المجيد، المعروف بـ«التحرير والتنوير». محمد الطاهر بن عاشور. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م.

١٤- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق. هند شلبي. د.ط، د.ن، ١٤٠٦هـ - ١٩٧٥م.

١٥- تفسير الماتريدي أو تأويلات أهل السنة. الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد. تحقيق: مجدي باسلوم. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم. الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثيرٍ. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨- تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم الرازي). ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط٣، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤١٩هـ.

١٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُنَّة وآي الفرقان. القرطبي، أبو عبد الله أحمد بن محمد. تحقيق: عبد الله المحسن التركي. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٠- دراسات في علوم القرآن. محمد بكر إسماعيل. ط٢، القاهرة: دار المنار، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢١- الدلالات العقدية للآيات الكونية. عبد المجيد بن محمد الوعلان. ط١، الرياض: دار الركائز، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

٢٢- علوم القرآن الكريم. الشيخ نور الدين عتر. ط١، دمشق: مطبعة الصباح، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٤- مدخل إلىٰ دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. زغلول النجار. ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٥- المدخل لدراسة علوم القرآن الكريم. الشيخ محمد أبو شهبة. ط٢، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٦- المطر والغيث في القرآن والحديث: دراسةٌ بلاغيةٌ أسلوبيةٌ. خليل محمد أيوب. نشر شبكة الألوكة الإلكترونية. https://www.alukah.net/sharia/0/79005/ (تاريخ النشر: ٢٦/ ١١/ ٢٠١٤ ميلادي - ٤/ ٢/ ١٤٣٦ هجري).

٢٧- المقاربة الفقهية للقرآن: مدخل لتأريخ النظر الفقهي. معتز الخطيب. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٨- منهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت. منظور بن محمد رمضان. د.ط، د.ن، د.ت.

٢٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

◆ **كتب المعاجم والتراجم (ترتيب ألفبائي):**

٣٠- الأعلام. الزركلي، خير الدين بن محمودٍ. ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس. المرتضىٰ الزَّبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد. تحقيق: مجموعة من المحققين د.ط، دار الهداية، د.ت.

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٣- لسان العرب. الأنصاري، أبو الفضل محمد بن مكرمٍ بن منظورٍ. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣٤- مختار الصحاح. الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٥- مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار. القاضي عياض بن موسىٰ. د.ط، تونس: المكتبة العتيقة، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٨م.

٣٦- مقاييس اللغة. الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

◆ **مراجع أخرى (ترتيب ألفبائي):**

٣٧- العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.

٣٨- موجز البلاغة. محمد الطاهر بن عاشور. ط١، تونس: المطبعة التونسية، د.ت.

References and Sources

1. The Holy Quran

· ***Books of Hadith and Explanations (Alphabetical Order)***

2. Al-Jamei Al-Sahih Al-Mokhtasar min Umor Al-Mostafa wa Sunanih wa Ayamih (Sahih Al-Bukhari). Al-Bukhari, Abo Abdellah Mohammed ibn Ismail (Died: 251 AH), investigated by: Mohammed Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Tawq Al-Najat, 1st Edition: 1422 AH.
3. Series of True Hadiths and Some of their Jurisprudence and Benefits, Al-Albani, Abo Abdurrahman Mohammed Nasser Al-Din (Died: 1420 AH), Al-Maerif Bookshop for Distribution, Riyadh, 1st Edition, Volume I-IV: 1415 AH – 1995 AD, Volume V:1416 AH - 1996 AD, Volume VI: 1422 AH – 2002 AD.
4. Sunan Al-Daremi, Abu Muhammad Abdullah bin Abd al-Rahman (died: 255 AH), investigated by: Hussein Salim Asad al-Darani, Dar Al-Mughni for Publishing and Distribution - Saudi Arabia, 1st Edition: 1412 AH - 2000 AD.
5. Sahih Al-Jami Al-Saghir wa ziadatoh. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din (died. 1420 AH), Dar Al-Nashr: The Islamic Office, N.D.
6. Fath Al-Bari, Sharh Sahih Al-Bukhari. Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar (died: 852 AH), Dar al-Maarifa - Beirut, Edition: 1379 AH.
7. Al-Musnad. Al-Shaibani, Abu Abdullah Ahmad bin Hanbal (died 241 AH), investigated by: Ahmed Muhammad Shaker, Dar al-Hadith - Cairo, 1st Edition: 1416 AH - 1995 AD.
8. Al-Muwatta. Al-Madani, Abu Abdullah Malik bin Anas (died 179 AH), investigated by: Mahmoud bin Al-Jamil, Al-Safa Library - Cairo, 1st Edition: 1422 AH - 2001 AD.

· *Sciences of the Holy Quran and Interpretation*

9. The Israeli Narrations and Topics in the books of Interpretation, Sheikh Muhammad Abu Shahba (died 1403 AH), Maktabat Al- Sunnah - Cairo, 4th edition: 1408 AH.
10. Words Expressing Rain in the Holy Qur'an: A Semantic Study. Al-Bakri, Hussein Mohsen Khatlan, Journal of the College of Education for Girls, Volume 22, Issue 1.
11. Al-Bahr Al-Mheet fir Al-Tafseer. Andalusi, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf (died 745 AH), investigated by: Sedqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
12. Al-Borhan fi Ulum Al-Qur'an. Al-Zarkashi, Abu Abdullah Badr al-Din (died. 794 AH), investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Maarifa - Beirut, 1st edition: 1376 AH - 1957 AD.
13. Editing the True Meaning and Enlightening Minds by the Interpretation of the Holy Quran, known as "Al-Tahreer wa Al-Tanweer". Muhammad Al-Taher bin Ashour (died 1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia, Edition: 1974 AH.
14. Scientific Interpretation of the Holy Qur'an between Theories and Practice. Hind Shalaby (died 1442 AH - 2021 AD), Edition: 1406 AH - 1975 AD.
15. Tafsir Al-Maturidi or "The Interpretations of Ahl al-Sunnah". Al-Matridi, Abu Mansour Muhammad bin Muhammad (died. 333 AH), investigated by: Majdi Basloum, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st edition: 1426 AH - 2005 AD.
16. Al-Tafseer Al-Kabeer or «Mafatih Al-Ghaib». Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar (d. 606 AH), Dar Ihiya Al-turath - Beirut, 3rd edition: 1420 AH.
17. Tafseer Al-Qur'an Al-Azeem. Al-Dimashqi, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer (died 774 AH), investigated by: Sami bin Muhammad Al-Salama, Dar Taiba Publishing - Riyadh, 2nd Edition: 1420 AH - 1999 AD.
18. Interpretation of the Great Qur'an Based on the Prophet's hadiths, Sayings of the Companions and the Followers (Tafseer Ibn Abi Hatim al-Razi). Al-Razi, Abu Muhammad Abdul Rahman bin Muhammad, known as "Ibn Abi Hatim

Al-Razi" (died 327 AH), investigated by: Asaad Muhammad al-Tayyib, Nizar Mustafa Al-Baz Bookstore - Saudi Arabia, 3rd Edition: 1419 AH.

19. Aljamei li Ahkam Al-Quran, Alqurtobi, Abu Abdullah Ahmad bin Muhamma, (Died: 671 Ah), Investigated by: Abdullah Al-Mohsen Al-Turki, Al-Resala Foundation - Beirut, 1st edition: 1427 AH - 2006 AD.
20. Studies in the Sciences of the Holy Qur'an, Muhammad Bakr Ismail, Dar Al-Manar - Cairo, 2nd Edition: 1419 AH 1999 AD.
21. Ideological Significances of the Cosmic Verses, Abdul Majeed bin Muhammad Al-Wayla, Dar Al-Rakaiz - Riyadh, 1st Edition: 1440 AH - 2019 AD.
22. The Sciences of the Holy Qur'an, Sheikh Nur al-Din Atr (died 1442 AH - 2020 AD), Al-Sabah Press - Damascus, 1st Edition: 1414 AH - 1993 AD.
23. Al-Mohariru al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez. Al. Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Attia (died 541 AH), investigated: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1st Edition: 1422 AH.
24. An Introductory to the Study of Scientific Miracles in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah, Zaghloul Al-Najjar, Dar Al-Maarifa - Beirut, 1st Edition: 1430 AH - 2009AD.
25. The Introductory to Studying the Sciences of the Holy Quran, Sheikh Mohammed Abo Shahbah (Died 1403 AH) Maktabat Al-Sunnah- Cairo, 2nd Edition: 1423 AH – 2003 AD.
26. Al-Matar and Al-Ghaith «Rain» in the Qur'an and Hadith: A Rhetorical and Stylistic Study, Khalil Muhammad Ayoub, published by Al-Alukah Electronic Network. https://www.alukah.net/sharia/0/79005/ (published on: 26/11/2014 AD - 4/2/1436 AH).
27. The Jurisprudential Approach to the Qur'an: An Introduction to Writing the History of Jurisprudence Consideration, Moataz Al-Khatib. .D. No Edition..
28. The Qur'an's Approach to Proving the Ideology of Resurrection after Death, Bin Muhammad Ramadan's Perspective. N.D. No Edition.
29. Al-Kash'af a'n Haqaiqu at-Tanzil wa Oyoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Taweil (Tafsir al-Zamakhshari). Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar (died 538 AH), Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 3rd Edition: 1407 AH.

· Books of Lexicology and Biography

30. Al-Alam Al-Zarkali, Khair Al-Din bin Mahmoud (died 1396 AH), Edition No.: 15: 2002.

31. Tajul-Arous m'n Jawaher Al-Qamous. Al-Murtada Al-Zubaidi, Abo Al- Faid Mohammed bin Mohammed (Died: 1205 AH), investigated by a group of investigators, Dar Al-Hedaya, No Edition Number.

32. "As'sehah Tajul'lughah wa Sehah Alarabiah". Al-Johari, Abu Nasr Ismail ibn Hammad (died 393 AH), investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalaein, 4th edition, 1407 AH - 1987.

33. Lisan Al-Arab. Al-Ansari, Abo Alfadl, Mohammed Ibn Makram Ibn Manzur (died: 711 AH),: Dar Sader, Beirut, 3rd Edition, (1414 AH).

34. Mukhtar al-Sihah, al-Razi, Abo Abdellah Mohammed ibn Abi Bakr (Died: 666 AH), investigated by: Youssef Sheikh Mohammed, Al-Mataba al-Asriy Beirut: 5th edition, 1420 AH – 1999 AD.

35. Mashariqul Anwar ala Sehah Al-Athar. Alqadi Iyadh bin Mossa (died 544 Ah), Al-Maktabah Al-Atiqah, Tunisia, Dar Al-Turath, Cairo, 1978 AD.

36. Maqaes Al-Lughah. Al-Razi, Abo Al-Hussein Ahmed Ibn Faris. Investigated by: Abdel Salam Haroun. Dar Al-Fikr, edition: 1399 AH – 1979 AD.

· Other references (Alphabetical Order)

37. Al-Eqdulfareed. Ibn Abd Rabboh Al-Andalussi, Abo Omar Shehabu Ddin Ahmed bin Mohammed (died 328 AH), Dar Al-Kotob Al-Elmiyyah- Beirut, 1st Edition: 1404 AH.

38. Mojaz Al-Balaghah, Mohammed Al-Tahir ibn Ashour (died 1393 AH), Tunisian Press – Tunisia, 1st Edition, N.D.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



أسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم

The method of agitation and inflammation in the Holy Qur'an



د. عبدالرحمن بن سند الرحيلي
Dr. Abdul Rahman bin Sanad bin Rashid Al-Ruhaili

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة طيبة
Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences at Taibah University

قدم للنشر في: ٢٩-٦-١٤٤٣هـ، الموافق ٣١-١-٢٠٢٢
قبل للنشر في: ٦-٨-١٤٤٣هـ، الموافق: ٩-٣-٢٠٢٢
نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٧ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (٩٠ يومًا).

- من مواليد المدينة المنورة- السعودية.
- حصل على درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بأطروحته: التقريب في التفسير للعلامة محمد بن مسعود السيرافي من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة (ص) دراسةً وتحقيقًا.
- حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بأطروحته: المؤلفات في مُشكِل القرآن الكريم ومناهجها.

بعض النتاج العلمي:

١- حل الإشكال الوارد في قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها).
٢- اسم الله الواسع (معانيه- دلالاته- آثار معرفته- لطائف اقترانه) دراسة تفسيرية.
٣- ملكة الذوق عند المفسِّر وأثرها في إبراز جمال الجملة القرآنية

البريد الشبكي: Email: moaad44@hotmail.com

المُستَخلَص

يعنىٰ هذا البحث بدراسة أسلوب من أساليب البلاغة العربية وأفانينها البديعة المرتبطة بالقرآن الكريم، وهو ما يسمىٰ بـ«التهييج والإلهاب»، والدراسة التطبيقية علىٰ بعض آيات القرآن الكريم من خلال كتب التفسير.

ويشتمل البحث علىٰ مقدمة، ومبحثين:

الأول: تعريف أسلوب التهييج والإلهاب، وأول من ابتكره، وأساليبه، وفيه ثلاثة مطالب.

الثاني: دراسة تطبيقية لأسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم، وفيه (٢٥) موضعًا وردت في القرآن الكريم.

وكان من أهم أهدف الدراسة: إبراز الآثار التي سوف يستفيدها الناس من خلال الالتزام بمنهج القرآن الكريم، وبيان دور فن التهييج والإلهاب في تدبُّر القرآن الكريم والتَّأثر به.

ومن أهم نتائج الدراسة:

١) القيمة البلاغية لفن التهييج والإلهاب تكمن في حثِّ الناس وتقوية عزائمهم علىٰ امتثال أوامر الله تعالىٰ، واجتناب مساخطه ونواهيه.

٢) الحكمة من فن التهييج والإلهاب التأثير في السامع واستنهاض همته، من خلال أغراضه المتعددة.

٣) دراسة الأساليب البلاغية وأفانينها في القرآن الكريم، لا سيما فن التهييج والإلهاب، تُظهر عمق المعنىٰ، وتكشف أسراره المختلفة، وتُعين علىٰ تدبُّرِه، ومن ثَمَّ العمل به.

الكلمات المفتاحية: التهييج، الإلهاب، دراسة تطبيقية، كتب التفسير.

The method of agitation and inflammation in the Holy Qur'an

Dr. Abdul Rahman bin Sanad bin Rashid Al-Ruhaili

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences at Taibah University

ABSTRACT

This research means studying one of the methods of Arabic rhetoric and its verses related to the Holy Qur'an , its called " Irritability and inflame " And the study is applied on verses of Noble Qur'an through books of interpretation .

And the research included Introduction and two Searches:

The First : Defining method of Irritability and Inflame, the first one to invent it, its purposes, and it has three demands .

The Second : An applied study of the method of Irritability and inflame in the Holy Qur'an, there has (26) place in it in the books of interpretation .

Most Important Objectives of the study was : Highlighting the effects that people will benefit from by adhering to the method of the Noble Qur'an, and explaining the role of art of Irritability and Inflame in contemplating the Holy Qur'an and being affected by it .

The most important Results of the study :

1- The rhetorical value of the art of Irritability and Inflame lies in urging people and strengthening their resolve to comply with the commands of Allah the Almighty and to avoid his wrath and prohibitions.

2- The wisdom of art of Irritability and Inflame to influence the listener and energize him through his multiple purposes .

3- The study of rhetorical methods and their avant-gardes in the Holy Qur'an, especially the art of Irritability and Inflame, reveals the depth of meaning, reveals its various secrets, and helps to manage it and then act upon it.

Keywords: Irritability, Inflame, applied study, books of interpretation .

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الولي الحميد، ذي العرش المجيد، المبدئ المعيد، الفعَّال لما يريد، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين نبيِّنا محمد الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أنزل الله تعالىٰ القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وقد احتوىٰ علىٰ أعذب الألفاظ العربية وأفصحها وأبلغها مما تعرفه العرب وتداولته بينها. ولم يخرج ذلك عن سَننهم في الكلام لا لفظًا ولا معنًىٰ، ومع ذلك؛ وإن كانت تلك الألفاظ معهودة عندهم، وجرت علىٰ ألسنة شعرائهم وبلغائهم، إلا أن القرآن الكريم قد فاق جميع كلامهم وتحداهم بأقصر سورة منه، رغم كونهم من أرباب الفصاحة والبيان. فأتىٰ القرآن بأساليب بديعة، وفنون بليغة، تفوَّق به علىٰ كل فَنٍّ وأسلوب بلاغي، ومن هذه الأساليب «فن التهييج والإلهاب»، وهو يتعلق بالفصاحة المعنوية، وقد حظي باهتمام المفسرين، إذ نصُّوا عليه صراحة في تفسيرهم لكلام الله تعالىٰ، ووقفت علىٰ عدة مواطن من ذلك، فعقدت العزم مستعيناً بالله ﷻ علىٰ الكتابة في هذا الفن، وجعلته بعنوان: **أسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم**.

أولاً: مشكلة البحث:

أولًا: ما مفهوم فن التهييج والإلهاب؟

ثانيًا: من أول من ابتكر فن التهييج والإلهاب؟

ثالثًا: ما أهم تطبيقات فن التهييج والإلهاب علىٰ النصوص القرآنية من خلال كتب التفسير؟

ثانيًا: حدود البحث:

سيكون حدَّ البحث مقتصرًا علىٰ تعريف فن التهييج والإلهاب، ودراسة مسألة ابتكار هذا الفن واصطلاح المفسرين عليه، مع دراسة تطبيقية لفن التهييج والإلهاب في القرآن الكريم من خلال (٢٥) موضعًا من كتب التفسير.

ثالثًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ تحقيق عدد من الأهداف أهمها:

أولًا: إبراز الآثار التي سوف يستفيدها الناس من خلال الالتزام بمنهج القرآن الكريم.

ثانيًا: جمع بعض المواضع التي ورد فيها فن التهييج والإلهاب في القرآن الكريم ودراستها في ضوء كلام المفسرين.

ثالثًا: بيان أثر فن التهييج والإلهاب في تدبُّر القرآن الكريم والتَّأثر به؛ وذلك بذكر بعض تأملات المفسرين.

رابعًا: أهمية البحث وأسباب اختياره:

أولًا: أن دراسة أساليب القرآن الكريم تجلِّي أوجه العظمة فيه بإبراز معانيه، والوقوف علىٰ أسراره، وجوانب إعجازه.

ثانيًا: يُعَدُّ فن التهييج والإلهاب فنًّا بلاغيًّا له أثره في حثِّ الناس وتقوية عزائمهم علىٰ امتثال أوامر الله تعالىٰ، واجتناب مساخطه ونواهيه.

ثالثًا: لم يحظَ فن التهييج والإلهاب بعناية كبيرة من البلاغيين، وإنما جاء منثورًا في كتب المفسرين، مع أهميته البالغة في توجيه الناس وموعظتهم.

رابعًا: عدم وجود دراسات علمية تطبيقية خاصة بهذا الفن من أفانين القرآن الكريم، تُبرز أهميته، وتستخرج أسراره من القرآن الكريم.

خامسًا: منهج البحث:

أولًا: جمعت في هذا البحث بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي، فقمت بجمع بعض الآيات التي نصَّ المفسرون علىٰ ذكر أسلوب التهييج والإلهاب عند تفسيرها صراحة، ورتبتها حسب ترتيب المصحف، وكتبتها بالرسم العثماني مع عزوها إلىٰ سورها وأرقامها.

ثانيًا: أبرزت تحت كل آية موطن التهييج والإلهاب.

ثالثًا: ذكرت ما يوضِّح فن التهييج والإلهاب من كلام المفسرين، مع عزوه إلىٰ مراجعه.

رابعًا: اجتهدت في تفسير كل آية من آيات الدراسة التطبيقية، مع ذكر بعض اللطائف والأسرار القرآنية؛ لتوضيح الغرض من فن التهييج والإلهاب فيها.

خامسًا: وضعت فهرسًا للمصادر والمراجع.

سادسًا: الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لم أجد -حسب اطلاعي من خلال تتبع هذا الأسلوب- دراسة علمية تطبيقية خاصة بفن التهييج والإلهاب، ولكن وقفت علىٰ من ذكره في بعض الأبحاث العلمية، وهي:

أولًا: أسلوب النهي في القرآن الكريم «دراسة في التركيب والدلالة»، محمد أحمد الأشقر، رسالة دكتوراه في اللغة وآدابها بالجامعة الأردنية، وقد تحدث عن

التهييج والإلهاب في كلامه عن المعاني المجازية لأسلوب النهي في حدود ثلاث صفحات فقط ذكر فيها (٦) أمثلة (ص: ١٤١-٣١٤).

ثانيًا: الافتراض القرآني «دراسة في التعبير»، علي حسين التميمي، رسالة ماجستير في اللغة وآدابها بجامعة ذي قار بالعراق، وقد تحدث عن التهييج والإلهاب في كلامه عن دلالات الافتراض القرآني التي يحددها السياق في حدود ست صفحات فقط، أكثر فيها من الحواشي وذكر فيها (٦) أمثلة (ص:١٦٣-١٦٨).

سابعًا: خطة البحث:

ينقسم البحث إلىٰ مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، كالتالي:

المقدمة: وتشتمل علىٰ: مشكلة البحث، وحدود البحث، وأهداف البحث، وأهمية البحث وأسباب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: تعريف أسلوب التهييج والإلهاب، وأول من ابتكره، وأساليبه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمصطلح التهييج والإلهاب.

المطلب الثاني: أول من ابتكر هذا المصطلح.

المطلب الثالث: أساليب فن التهييج والإلهاب.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لأسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم، وفيه (٢٥) موضعًا من كتب التفسير.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

تعريف أسلوب التهييج والإلهاب، وأول من ابتكره، وأساليبه،

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
التعريف اللغوي والاصطلاحي بمصطلح التهييج والإلهاب

التهييج لغة: هَاجَ الشيء يَهِيْجُ هَيْجًا وهَيَجانًا، واهْتاجَ وتهَيَّجَ، أي ثارَ.

والهائج: الفحل الذي يشتهي الضِراب. وهاجَ النبتُ هياجًا، أي يَبِس. وكل شَيْء ثار فقد هاج.

والهَيْجاء: الحَرْب تُمَدُّ وتُقْصَر. وَتقول: هَيَّجْتُ الشرَّ بَينهم، وهَيّجت الناقَة فانبعثَتْ، وَيُقَال: هِجْتُه فهَاج.

ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠]، أي: يَأْخُذ فِي الجَفاف فتبتدئ بِهِ الصُّفْرة. فيُقَالُ: هَاجَ النَّبْتُ هِيَاجًا، إِذَا يَبِسَ واصْفَرَّ. وأَهَاجَتْهُ الرِّيحُ (١).

(١) جمهرة اللغة (١/ ٤٩٩)، تهذيب اللغة (٦/ ١٨٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣٥٢)، =

وفي الحديث قال أبو سعيد الخدري ﷺ: «فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ مُعْتَكَفِهِ وَهَاجَتِ السَّمَاءُ، فَمُطِرْنَا، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَقَدْ هَاجَتِ السَّمَاءُ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ اليَوْمِ»(١).

أَيْ: تَغَيَّمَتْ وكَثُرَتْ رِيحُها.

الإلهاب لغة: اللَّهَبُ: لَهَبُ النَّار، وَيُقَال لهيبُها، وَهُوَ اشتعالُها ولَهَابُها أَيْضًا. وَيُسْتَعْمل اللهاب فِي النَّار والعطش جَمِيعًا. وَيُقَال: أَلْهَبَ الْفرسُ إِذا عدا عدوًا شَدِيدًا.

وأَلْهَبَ في الكلام: أَمْضاهُ بسرعة، والأصل فيه: الجري الشديد الَّذِي يثير اللَّهَب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع علىٰ النارِ.

وأَلْهَبَ البرق: تدارك لمعانه، وهو أن لا يكون بين البرقتين فرجة. وألهبته للأمر، أردت بذلك تهييجه وإلهابه(٢).

أما اصطلاحًا فقد عرَّف البلاغيون هذا الفن بقولهم: «كل كلام دالٍّ علىٰ الحث علىٰ الفعل لمن لا يُتصور منه تركه، وعلىٰ ترك الفعل لمن لا يُتصور منه فعله»(٣).

= النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتكاف، باب: من خرج من اعتكافه عند الصبح، برقم (٢٠٤٠).

(٢) جمهرة اللغة (١/ ٣٨٠)، غريب الحديث، للخطابي، (٢/ ٥٢٢)، أساس البلاغة (٢/ ١٨٢).

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٩٣).

المطلب الثاني:
أول من ابتكر هذا المصطلح

ذكر الدكتور أحمد مطلوب عند تعريفه للإلهاب أن أول من جعل أسلوب التهييج والإلهاب صنفًا مستقلًّا من أصناف البديع هو يحيىٰ العلوي (ت: ٧٤٥هـ)، حيث يقول: «ولم يَرِدْ هذا الفن إلا في كتاب: (الطراز) للعلوي»(١)، وعند الرجوع لكتاب العلوي نجده قد ذكره في الصنف السابع والعشرين من أنواع البديع وأصنافه، مما يتعلق بالفصاحة المعنوية، وسمَّاه «الإلهاب والتهييج»(٢).

فإن كان الدكتور أحمد مطلوب يقصد بعدم ورود هذا الفن في الكتب المؤلَّفة في البلاغة خاصة، أو أن أول من عقد له بابًا من البلاغيين وجعله صنفًا مستقلًّا من البديع فذلك حق، وإن كان يقصد أن العلوي قد سبق غيره في ابتكار هذا الفن وبهذه التسمية، ولم يُسبق إليه، فهذا غير صحيح؛ لأنه بالاستقراء والتتبع لكتب المفسرين المتقدمين نجد أن أول من ابتكر هذا المصطلح البلاغي «**التهييج والإلهاب**»، هو الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في تفسيره الكشاف، وما كان من العلوي إلا أنه عقد هذا الباب وجمع له الأمثلة والشواهد(٣)، ولا غرو(٤) في ذلك؛ فإن الزمخشري قد أبدع

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (ص:١٨٢).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٩٣).

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، للدكتور محمد أبو موسىٰ (ص: ٦٢٥)، مسامرة الكشاف، أ.د عبد المحسن العسكر (ص:٥٧).

(٤) أي: لا عَجَب. العين (٤/ ٤٤١).

في الكشاف في التفتيش عن جماليات النظم القرآني، والكشف عن وجوه أساليبه، وأسرار التراكيب البلاغية، ولطائفه البيانية، وأكثر منها؛ لإمامته في العلم باللغة العربية وفنونها المختلفة، ويؤكِّد علىٰ ذلك بقوله: «ومن حقِّ مفسِّر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم علىٰ حُسْنه، والبلاغة علىٰ كمالها، وما وقع به التحدِّي سليمًا من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة، فهو من تعاهد النظم والبلاغة علىٰ مراحل»(١).

ثم اصطلح المفسرون من بعد الزمخشري إلىٰ عصرنا هذا علىٰ هذه التسمية، واستعملوها في مؤلفاتهم عند تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ومن عباراتهم في ذلك: «**التهييج، التهييج والإلهاب، وتهييج وإلهاب، الإلهاب والتهييج، التلهيب والتهييج**». وسيأتي ذكرها -إن شاء الله تعالىٰ- في الدراسة التطبيقية.

وقد ذكر هذا الفن الإمام الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) في كتابه البرهان، وسمَّاه: «خطاب التهييج»(٢).

◆ ◆ ◆

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٤٧).

المطلب الثالث:
أساليب فن التهييج والإلهاب

لم أجد من ذكر أساليب فن التهييج والإلهاب مجموعة في فصل واحد، ولكن من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم واستقراء كتب التفسير، وجدت أن أساليب هذا الفن متنوعة وكثيرة، وسأذكر بعضها مع التمثيل بمثال واحد فقط لكل أسلوب منها؛ بغية الاختصار:

الأول: **الأمر**، ويكون في صورة الحث علىٰ الفعل لمن لا يتصور منه تركه. وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١][(١)].

الثاني: **النهي**، ويكون في صورة ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله، والاستمرار علىٰ الحال التي عليها المخاطب؛ لأنه غير متصفٍ بالمنهي عنه. وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠][(٢)].

الثالث: **الشرط**، ويكون في صورة البعث علىٰ الامتثال. وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣][(٣)].

الرابع: **النفي**، ويكون في صورة طلب التحضيض علىٰ فعل الشيء، وذلك

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٩٣).

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٣/ ٩٣).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٤٧).

مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [التوبة: ١٢٠](١).

الخامس: الاستفهام، ويكون في صورة طلب التصديق، وذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠](٢).

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٩٧).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٢٩٤).

المبحث الثاني:

دراسة تطبيقية لأسلوب التهييج والإلهاب في القرآن الكريم،

وفيه (٢٥) موضعًا من كتب التفسير

١) قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

جاء الأمر في الآية الكريمة من الله ﷻ لجميع الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره؛ لأنه جلَّ ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم، قال الزجاج: «معناه أن الله احْتَجَّ علىٰ العرب بأنه خالقهم وخالق من قبلهم؛ لأنهم كانوا مُقِرِّينَ بذلك، والدليل علىٰ ذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، قيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه، ولا تعبدوا الأصنام»[١].

وإفراد اسم الرب دلَّ علىٰ أن المراد رب جميع الخلق وهو الله تعالىٰ، إذ ليس ثمَّة رب يستحق هذا الاسم بالإفراد والإضافة إلىٰ جميع الناس إلا الله[٢].

وفي هذا كله تهييج لهم علىٰ الالتزام بالعبادة ونبذ عبادة الأصنام، قال ابن عرفة: «ولأنه تكليف للجميع من المؤمنين والكافرين، فحَسُن فيه وصف التربية بالإحسان والإنعام **علىٰ سبيل التهييج للامتثال**»[٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣٢٦).

(٣) تفسير ابن عرفة (١/ ١٧٥).

٢) قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

يخبر الله تعالىٰ في الآية الكريمة رسوله ﷺ أن اليهود والنصارىٰ لن يرضوا عنه؛ حتىٰ يتبع ملتهم الباطلة، ثم أمره أن يخبرهم أن الهدىٰ هدىٰ الله الذي هو الإسلام وليس اليهودية ولا النصرانية.

ثم يحذر الله رسوله ﷺ من اتباع اليهود والنصارىٰ بعد الذي جاءهم والنعمة التي أتمها عليهم وهي الإسلام فيقول: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقد جاء الأسلوب في هذه الجملة مؤكَّدًا من الله ﷻ في نهي النبي ﷺ باللام الموطِّئة للقَسَم مع «إن» الشرطية، وهما أشد ألفاظ التوكيد في بيان عاقبة الاتباع، وأنه إذا كان الاتباع المنهي عنه نهيًا مؤكَّدًا، فالعاقبة ألا يكون لمن اتبع أهواءه إلا أن ينزل عليه عقاب الله، ولا يكون له ولي محب يتولىٰ الدفاع عنه، ولا نصير يمنعه من العذاب.

والأهواء: جمع هوىٰ، وكان الجمع دليلًا علىٰ كثرة اختلافهم، إذ لو كانوا علىٰ حق لكان طريقًا واحدًا، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وأضاف الأهواء إليهم؛ لأنها بدعهم وضلالاتهم(١).

وفي هذا تهييج للنبي ﷺ، وتهديد ووعيد شديد لأمته عن اتباع طرائق اليهود والنصارىٰ، بعدما عَلِموا من القرآن والسنة، فإن الخطاب مع الرسول ﷺ، والأمر لأمته(٢).

(١) البحر المحيط في التفسير (١/ ٥٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٣).

قال ابن عرفة: «قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ **خطاب علىٰ سبيل التهييج والإلهاب**، وعطف النصير علىٰ الولي تأسيس؛ لأن الولي إما أخص من النصير، أو بينهما عموم وخصوص من وجه دون وجه. وعلىٰ كل تقدير فالعطف تأسيس»(١).

وقال أبو السعود: «﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنك عقابه، وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسَّط «لا» بين المعطوفين؛ لتأكيد النفي، **وهذا باب التهييج والإلهاب** وإلا فأنّىٰ يُتوهم إمكان اتباعه عليه السلام لِمِلَّتِهم، وهو جواب للقسم الذي وطَّأه اللام واكتفي به عن جواب الشرط»(٢).

◆ ◆ ◆

٣) قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥].

كان النبي ﷺ حريصًا علىٰ هداية الخلق، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، ولكن الكفار تمردوا عن أمر الله، وتركوا الهدىٰ، عمدًا وعدوانًا، ومنهم اليهود والنصارىٰ، الذين كفروا بمحمد ﷺ عن يقين، لا عن جهل، فلهذا أخبره الله تعالىٰ أنك لو ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ يعني بكل برهان ودليل يوضِّح قولك، ويدل علىٰ صدقك، رجاء أن تقنعهم باتباع قبلتك ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾، ما اقتنعوا ولا اتبعوك؛ لأن اتِّباع القبلة، دليل علىٰ اتباعه ﷺ؛ وذلك لعنادهم واستكبارهم.

---

(١) تفسير ابن عرفة (١/ ٤١٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٥٣).

وفيه دلالة إثبات رسالة محمد ﷺ؛ لأنه في موضع الإخبار بالإياس عن الاتباع له. ولا يوصل إلىٰ مثله إلا بالوحي عن الله ﷻ. وفيه أن كثرة الآيات وعِظَمها في نفسها لا يُعجز المعاند عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه[(١)].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ جاء بلفظ الخبر المتضمن للأمر[(٢)]، ومن المؤكَّد المعلوم أن رسولنا ﷺ لا يمكن أن يتبع قبلتهم؛ لشدة متابعته ﷺ لما أمره الله به، وأنه مستمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته. والذين أوتوا الكتاب لا يتبع بعضهم قبلة بعض، فاليهود لا تتبع قبلة النصارىٰ؛ والنصارىٰ لا تتبع قبلة اليهود؛ لأن النصارىٰ يقولون: إن اليهود كفار، واليهود يقولون: إن النصارىٰ كفار ليسوا علىٰ حق؛ لأن كلًّا منهم متمسك برأيه، ولا ينظر إلىٰ حجة وبرهان، وإنما يسير علىٰ منهج التقليد الأعمىٰ.

ثم يحذر الله رسوله ﷺ أن يتبع أهواء اليهود والنصارىٰ فيوافقهم علىٰ ضلالاتهم بعد الذي أعطاه من العلم وهداه إليه من الحق، -وحاشاه ﷺ أن يفعل- فيقول: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد جاء الأسلوب في هذه الجملة مؤكَّدًا من الله ﷻ في نهي النبي ﷺ باللام الموطِّئة للقَسَم مع «إن» الشرطية، ولئن اتَّبعت أهواءهم، مداراةً لهم، وحرصًا علىٰ اتِّباعك، بعد ما جاءك من الحق الثابت والعلم القاطع، لتكونَنَّ من الظالمين أنفسهم، المعتدين الذين نقصوا الواجب عليهم من اتباع الحق دون الأهواء، المستحقِّين للعقاب في الدنيا والآخرة. وهذا في الحقيقة خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته؛ لاستبعاد خاطر أو فكرة اتباع أهواء القوم استمالة لهم[(٣)].

---

(١) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (١/ ٥٨٩).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٢٢٣).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٢٣).

وفي هذا تهييج للنبي ﷺ، وتحذير لأمته من اتباع أهواء غير المؤمنين، قال الزمخشري: «وقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ كلام وارد علىٰ سبيل الفرض والتقدير، بمعنىٰ: ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر؛ ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوىٰ، **وتهييج وإلهاب** للثبات علىٰ الحق»[(١)]. ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو التحذير والاستفظاع والثبات.

◆ ◆ ◆

٤) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

يخبر الله تعالىٰ في أن النساء الحرائر المدخول بهنَّ إذا كنَّ ذوات حيض وطهر، ولسن بحوامل، وطلقهنَّ أزواجهنَّ، فعليهنَّ ألَّا يعجلن إلىٰ الزواج، بل يحبسن أنفسهنَّ عنه مدة ثلاثة قروء، والقُرء قيل: هو الطُّهر، وقيل: هو الحيض، وهذه هي عدتهن الواجبة؛ ليستدلَّ بها علىٰ براءة الرحم من الولد، فيؤمن اختلاط الأنساب[(٢)].

وعند التأمل في لفظ الآية وقد جاء الغرض في صدرها بأمر المطلقات بالتربص

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٠٣).

(٢) جامع البيان، للطبري (٤/ ٨٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ١١٢)، أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٩٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٣٨٩)، تفسير آيات الأحكام، للسايس (ص: ١٤٩).

ثلاثة قروء، نجد أن مناسبة ذكر الأنفس «**التهييج لهنَّ علىٰ التربص وزيادة بعث**؛ لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهنَّ علىٰ أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلىٰ الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهنَّ ويغلبنها علىٰ الطموح ويجبرنها علىٰ التربص»[(١)].

والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي الذي نُهيت المرأة المطلقة عن كتمانه من مطلِّقها مما خلق الله تعالىٰ في رحمها، الحيض، والحمل؛ فكتمان ذلك يقود إلىٰ شرور كثيرة؛ فإنها إذا كتمت حملها، أدَّىٰ ذلك إلىٰ إلحاق الجنين بغير مَن هو له، رغبة فيه، أو استعجالًا لانقضاء العدة، فإذا ألحقته بغير أبيه، حصلت مفاسد أخرىٰ كقطع الرحم، والإرث، واحتجاب محارمه عنه، وربما يتزوج ذواتِ محارمه، وغير ذلك من المفاسد. وكتمان الحيض، يكون بإخبارها كذبًا بوجوده، وهذا يؤدي إلىٰ انقطاع حق الزوج عنها، وإباحتها لغيره، أو يكون بإخبارها كذبًا بعدم وجود الحيض؛ كي تطول العدة، فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه، وقد يراجعها مطلِّقها بعد انقضاء العدة، فيكون ذلك زنا؛ لأنها لا تحل له في هذه الحال، فنهاهنَّ الله تعالىٰ عن كتمان الحيض والحمل؛ لأنه فعل من لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، والغرض من هذا النهي التهديد لهنَّ علىٰ قول خلاف الحق، فمن آمنت بالله تعالىٰ واليوم الآخر، وعرفت أنها مجزية عن أعمالها، لم يصدر عنها شيء من ذلك؛ لأن الإيمان بهما يحمل الإنسان علىٰ فعل المأمورات واجتناب المحظورات[(٢)]، **وهذا علىٰ سبيل التهييج**»[(٣)].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٧٠).

(٢) جامع البيان للطبري (٤/ ١١٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٦٠٩)، تفسير السعدي (ص:١٠١)، تفسير ابن عثيمين (٣/ ٩٩).

(٣) تفسير ابن عرفة (٢/ ٦٥٥).

٥) قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠].

بعدما أخبر الله تعالىٰ رسوله ﷺ من خبر عيسىٰ عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، قال له أن هذا هو ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أي: هو الخبر الذي هو من عند ربك، لا ما قالت النصارىٰ واليهود، فالنصارىٰ قالوا: إن مريم ولدت إلهًا، واليهود رموا مريم بالإفك، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، يعني: فلا تكن من الشاكين في أن ذلك كذلك. «والمرية»، «والشك»، «والريب» واحد، سواءٌ كهيئة ما تقول: «أعطني»، «وناولني»، «وهلمَّ»، فهذا مختلف في الكلام وهو واحد(١).

«والغرض من نهيه ﷺ عن الامتراء- وجَلَّ رسول الله ﷺ أن يكون ممتريًا- **من باب التهييج**؛ لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفًا لغيره»(٢)، ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو التحذير من الوقوع في الشك؛ لزيادة الثبات والطمأنينة.

ومع أن الخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ للنبي ﷺ، إلا أن المقصود التعريض بغيره، والمعرَّض بهم هنا هم النصارىٰ الممترون الذين امتروا في الإلاهية؛ بسبب تحقق أن لا أب لعيسىٰ(٣).

◆ ◆ ◆

(١) جامع البيان، للطبري (٦/ ٤٧٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (٨/ ٢٤٥).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٣٦٨).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٦٤).

٦) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩﴾ [النساء: ١٣٧ - ١٣٩].

أخبر الله تعالىٰ عن هذه الطائفة من أهل الكتاب أنه ﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾، يعني: لم يكن الله ليسترَ عليهم كفرهم وذنوبهم، بعفوه عن العقوبة لهم عليه، ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ طريقًا يتوصلون به إلىٰ الحق ويسلكونه إلىٰ الخير؛ لأنه يبعد منهم كل البعد أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيمانًا صحيحًا؛ لأن قلوبهم قد تعودت الكفر وتمرنت علىٰ الردة؛ ولذلك فإن الله تعالىٰ يخذلهم، عقوبة لهم علىٰ عظيم جُرمهم، وجرأتهم علىٰ ربهم[(١)].

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا هو عذاب النار، وإطلاق البشارة علىٰ ما هو شر خالص لهم، تهكُّمٌ بهم، ثم وصفهم بأنهم ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، بمعنىٰ أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويُسِرُّون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزئون. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة.

ثم قال الله تعالىٰ منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ﴾؟ وهذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي لا يجدون العزة عندهم. والعزة المنَعة وشدة الغلَبَة وهو مأخوذ من قولهم أرضٌ عَزاز[(٢)].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (١/ ٦٠٦)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٣/ ٢٦٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ١٢٠).

ثم أخبر تعالىٰ مهيجًا للمؤمنين بالجملة التعليلية لما تقدم من توبيخهم بابتغاء العزة عند الكافرين؛ «بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له. **والمقصود من هذا التهييج** علىٰ طلب العزة من جناب الله، والالتجاء إلىٰ عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد»(١).

◆ ◆ ◆

٧) قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة: ٥٨].

إخبار من الله تعالىٰ عما يفعل اليهود والنصارىٰ والكفار، حيث إنهم كانوا إذا نودي بالصلاة وأذَّن المؤذن، سَخِرُوا ولعِبوا من ذلك، استهزاءً بالصلاة، وتجهيلًا لأهلها، وتنفيرًا للناس عنها وعن الداعي إليها، وهي أظهر شعائر المسلمين، وأجلُّ عباداتهم؛ ويفعلون ذلك لجهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم إن أجابوا إلىٰ الصلاة، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها، ولو عَقَلوا ما لمن فعل ذلك منهم عند الله من العقاب، ما فعلوه، ولكنهم عطَّلوا عقولهم فأصبحوا بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح(٢). وهذه صفات أتباع الشيطان(٣).

وقد استنبط السعدي من الآية الكريمة تهييج المؤمنين علىٰ عداوة من اتصف

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٥).

(٢) جامع البيان (١٠/ ٤٣٢)، الهداية الىٰ بلوغ النهاية (٣/ ١٧٨٩)، تفسير القرطبي (٦/ ٢٣٣)، روح البيان (٢/ ٤٠٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٠).

بهذه الصفة القبيحة من اتخاذ دين الله تعالىٰ هزوًا ولعبًا، وجمع في غرض التهييج بين الأمر والنهي، حيث يقول: «**وهذا فيه من التهييج علىٰ عداوتهم** ما هو معلوم لكل من له أدنىٰ مفهوم»[(١)].

◆ ◆ ◆

٨) قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

خطاب من الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾، والهمزة للاستفهام الإنكاري، ومعناه النفي، أي: لا أبتغي حكمًا غير الله، وإن ظننتم ذلك فقد ظننتم منكرًا[(٢)]. فهو ينكر عليهم: كيف أتخذ حكمًا أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه؟ فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. فأنا لا أطلب حكمًا بيني وبينكم غير الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل علىٰ النقص والعيب والجور، وحكم الله تعالىٰ هو الحكم الكامل الذي لا يعتريه النقص من أي وجه من الوجوه، وهو سبحانه ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾، أي: موضَّحًا ومبينًا فيه الحلال والحرام، والحق والباطل، وغير ذلك من الأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه. وفيه تنبيه علىٰ أن القرآن بإعجازه وتقريره مغنٍ عن سائر الآيات.

وأهل الكتب السابقة من اليهود والنصارىٰ يعترفون بذلك، و﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٧).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٦٢٧)، التحرير والتنوير (٨/ ١٤).

مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾، وهذا تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله تعالىٰ، يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم، مع أنه ﷺ لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم، وإنما وصف جميعهم بالعلم؛ لأن أكثرهم يعلمون، ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنىٰ تأمل؛ فلا تشُكَّنَّ في ذلك ولا ﴿تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾(١).

والخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ للنبي ﷺ، والمعنىٰ فلا تكونن من الممترين في أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق؛ لتصديقه ما عندهم وموافقته له، **ويكون الخطاب من باب التهييج والإلهاب أي الثبات علىٰ اليقين،** كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، أو ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به.

ويجوز أن يكون: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ خطابًا لكل أحد؛ ليعم كل من يحتاج إلىٰ مثل هذا الخطاب، أي فلا تكونن -أيها السامع- من الممترين، أي: الشاكين في كون القرآن من عند الله(٢).

◆ ◆ ◆

٩) قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١].

كان سبب نزول الآية: اختلاف الصحابة ﷺ في يوم بدر، فنزع الله ما غنموه من أيديهم وجعله لله والرسول، فقال: قل الأنفال لله والرسول، أي حكمها مختص

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢/ ١٧٩)، روح البيان (٣/ ٩٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٠).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٠)، روح البيان (٣/ ٩٠)، التحرير والتنوير (٨/ ١٧).

بهما، يقسمها بينكم رسول الله عن أمر الله سبحانه، وليس لكم حكم في ذلك [(١)].

وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلىٰ أن الأنفال كانت لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]. ثم أمرهم بالتقوىٰ، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول بالتسليم لأمرهما، وترك الاختلاف الذي وقع بينهم، ثم قال: إن كنتم مؤمنين، أي: امتثلوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بالله، **وفيه من التهييج والإلهاب ما لا يخفىٰ**، مع كونهم في تلك الحال علىٰ الإيمان فكأنه قال: إن كنتم مستمرين علىٰ الإيمان بالله؛ لأن هذه الثلاثة الأمور التي هي تقوىٰ الله، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله والرسول، لا يَكمُل الإيمان بدونها، بل لا يثبت أصلًا لمن لم يمتثلها، فإن من ليس بمتق وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن[(٢)].

وجاء أسلوب التهييج في الآية بالنهي، ثم الأمر، فإنه تعالىٰ نهاهم عن مخالفة

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَلَهُ مِنَ النَّفَلِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشْيَخَةُ: كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا، فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَىٰ، فَأَبَىٰ الْفِتْيَانُ وَقَالُوا: جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥] يَقُولُ: «فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ». أخرجه ابن داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في النفل، برقم (٢٧٣٧). قال الشنقيطي: (جمهور العلماء علىٰ أن الآية نزلت في غنائم بدر لما اختلف الصحابة فيها فقال بعضهم: نحن الذين حُزْنا الغنائم وحويناها فليس لغيرنا فيها نصيب، وقالت المشيخة: إنا كنا لكم ردءًا لو هزمتم للجأتم إلينا فاختصموا إلىٰ النبي ﷺ). أضواء البيان (٢/ ٤٩).

(٢) الوجيز، للواحدي (١/ ٤٣٠)، فتح القدير (٢/ ٣٢٣).

حكم الرسول ﷺ بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾، ثم أكَّد ذلك بأن أمرهم بطاعة الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، ثم بالغ في هذا التأكيد فقال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، والمراد أن الإيمان الذي دعاكم الرسول ﷺ إليه ورغبتم فيه لا يتم حصوله إلا بالتزام هذه الطاعة، فاحذروا الخروج عنها(١).

◆ ◆ ◆

١٠) قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال: ٦٥].

نداء من الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بعنوان النبوة التي شرَّفه الله بها علىٰ سائر الناس فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾؛ ليأمره بالأخذ بالأسباب الموجبة للنصر بإذن الله تعالىٰ، وهي تحريض المؤمنين علىٰ القتال، وحثهم عليه؛ لدفع عدوان الكافرين علىٰ الإسلام وأهله، ولإعلاء كلمة الحق علىٰ كلمة الباطل، فيقول: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾، والتحريض في اللغة أن يحث الإنسان علىٰ الشيء حثًّا يعلم معه أنه حَارض إن تخلَّف عنه، والحارض الذي قد قارب الهلاك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف: ٨٥]، أي حتىٰ تذوب غمًّا فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين؛ وإنما حثَّه علىٰ هذا ليهيجه ويحرِّك منه(٢).

قال الآلوسي: «المعنىٰ هنا: يا أيها النبي بالغ في حث المؤمنين علىٰ قتال الكفار، **وهو من باب التهييج والإلهاب**»(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/ ٤٤٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٢٣)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٣٥).

(٣) روح المعاني (٥/ ٢٢٦).

١١) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

قدَّر الله تعالىٰ أن السنة اثنا عشر شهرًا في كتابه الذي سبق فيه ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة، منها أربعة حرم، وهن: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وكان القتال فيها حرامًا حتىٰ نزل في سورة «براءة» قتال المشركين. و﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، أي: المستقيم، إنها اثنا عشر شهرًا. وهو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، والعرب ورثوه منهما[1].

وقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، أي: لا تستحلوا ما حرم الله ﷻ ﴿فِيهِنَّ﴾ في الأربعة الحرم؛ لأنه آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، فالظلم في جميعها لا يجوز، ولكن هو فيها أعظم وزرًا؛ لشرفها، فلذلك خصها بالذكر. وهو قول أكثر المفسرين. وقيل: الكناية في ﴿فِيهِنَّ﴾ ترجع إلىٰ جميع الأشهر، أي: لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات؛ لأن المقصود منع الإنسان من الإقدام علىٰ المعاصي والفساد مطلقًا في جميع الأوقات إلىٰ الممات[2].

ومن جعل ﴿فِيهِنَّ﴾ يعود علىٰ: «الاثنا عشر شهرًا» وقف علىٰ: ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾،

---

(١) الهداية الىٰ بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٨٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٨٠).

(٢) الهداية الىٰ بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٨٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٢/ ٣٥٨).

ومن جعله يعود علىٰ: «الأربعة الحرم» وقف علىٰ: ﴿أَنفُسَكُمْۚ﴾[1]، وأضاف الأنفس إلىٰ ضمير المخاطبين؛ للتنبيه علىٰ أن الأمة كالنفس من الجسد[2].

وقد استنبط ابن كثير من الأمر بالاجتماع عند قتال المشركين تهييجهم علىٰ ذلك، حيث يقول: «وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله، وأنه حكم مستأنف، **ويكون من باب التهييج والتحضيض**، أي: كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه أَذِن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ البقرة: ١٩١»[3].

◆ ◆ ◆

١٢) قال الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠].

هذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها علىٰ التخلف عن

---

(١) الهداية الىٰ بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٨٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٠/ ١٨٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٩).

رسول الله ﷺ في غزوه[1]، وظاهره خبر ومعناه نهي[2]، وعُبِّر عنه بصيغة النفي للمبالغة[3].

وجاء أسلوب التهييج في الآية الكريمة عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، حيث أمر الله تعالىٰ أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب من سكَّان البادية، كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم، وخص هؤلاء بالعتاب؛ لقربهم وجوارهم، وأنهم أحق بذلك من غيرهم[4]، بأن يصحبوا رسوله ﷺ علىٰ البأساء والضراء، ونهاهم عن التخلف عنه في أهاليهم في غزوة تبوك، بل يجب عليهم وجوبًا عينيًّا الخروج معه في جميع غزواته، إلا المعذورين ومن أَذِن له رسول الله ﷺ في القعود[5]. وفي قوله: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ نهي بليغ، مع تقبيح لأمرهم، وتوبيخ لهم عليه، **وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية**[6].

والباء في قوله: ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ للملابسة وهي في موضع الحال. نُزِّل الضن بالأنفس والحذر من هلاكها بالتلبس بها في شدة التمكُّن فاستعمل له حرف باء الملابسة. وهذه ملابسة خاصة وإن كانت النفوس في كل حال متلبسة بها. وهذا تركيب بديع الإيجاز بالغ الإعجاز[7].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٩٥).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٢٣٦).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٠١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٢٩٠).

(٥) أحكام القرآن، للجصاص (٤/ ٣٧١)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٢٣٦)، التحرير والتنوير (١١/ ٥٥).

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٢١).

(٧) التحرير والتنوير (١١/ ٥٦).

١٣) قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٥﴾ [يونس: ٩٤ - ٩٥].

يقول الله لرسوله ﷺ: إن وقع لك شك مما أنزلنا إليك ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وهم قرأة الكتاب من بني إسرائيل، ووصفهم بأن العلم قد جاءهم؛ لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأراد أن يؤكِّد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد عليه السلام، ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾. أي: ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أنَّ ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية؛ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: فاثبت ودُم علىٰ ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله. «**ويجوز أن يكون علىٰ طريقة التهييج والإلهاب**، كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]»(١). ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو الثبات والديمومة.

وقيل: «إن» في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ نافية، أي فما كنت في شكٍ، يعني لا نأمرك بالسؤال؛ لأنك شاك، ولكن لتزداد يقينًا. وقيل: الخطاب لكل سامع يتأتىٰ منه الشك(٢). **وفائدة النهي في الموضعين التهييج والإلهاب**، والمراد بذلك إعلام أن الامتراء والتكذيب قد بلغا في القبح والمحذورية إلىٰ حيث ينبغي أن ينهىٰ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٧٠).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦١٢).

عنهما من لا يمكن أن يتصف بهما، فكيف بمن يمكن اتصافه؟ وفيه قطع لأطماع الكفرة[(١)].

◆ ◆ ◆

١٤) قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

يقول تعالىٰ كما أنزلنا عليك القرآن، يا محمد ﷺ، فأنكرهُ بعض الأحزاب، كذلك أيضـًا أنزلنا الحكم والدين حُكْمـًا عربيـًا يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة. وجعله عربيـًا، ووصفه به؛ لأنه أُنزل علىٰ محمدٍ ﷺ وهو عربيٌّ، فنُسِب الدين إليه، إذ كان عليه أُنْزِل، وليسهُل لهم فهمه وحفظه[(٢)].

ثم نهاه تعالىٰ عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب، فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ يعني: أهواء هؤلاء الأحزاب وانتقلت من دينك إلىٰ دينهم، ما لك من عذاب الله من قريب ينفعك وَلا واقٍ يقيك. والخطاب لرسولنا ﷺ، وهو بالمعنىٰ يتناول المؤمنين إلىٰ يوم القيامة[(٣)].

وهذا من باب الإلهاب والتهييج، والبعث للسامعين علىٰ الثبات في الدين، وألا يزِلَّ زالٌّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة

---

(١) روح المعاني (٦/ ١٧٩).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٤٧٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٩٠)، الوجيز، للواحدي (ص: ٥٧٥).

(٣) جامع البيان (١٦/ ٤٧٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣١٦)، فتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٠٥).

الشكيمة بمكان[(١)]. ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو الثبات والديمومة.

وفيه وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية[(٢)].

◆ ◆ ◆

١٥) قال الله تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ [النحل: ١١٤].

بعد أن بيَّن سبحانه في الآيات السابقة حال من كفروا بأنعم الله وكذبوا رسوله ﷺ، وأنه قد حَلَّ بهم العذاب من جوع وخوف؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم وصدهم عن سبيل الله، أتبع ذلك بأمر عباده المؤمنين بالأكل مما أحلَّه لهم، وشُكْرِ ما أنعم به عليهم؛ صدًّا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة، وتحذيرًا لهم أن يحلَّ بهم مثل ما حَلَّ بمن قبلهم.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ أي: إن كنتم تخصُّونه وحده بالعبادة، وفي هذا الأسلوب الذي ختمت به الآية تهييج للمؤمنين، وحثٌّ لهم علىٰ اتباع أوامره والمداومة عليها جاء الغرض منه علىٰ سبيل الشرط.

قال ابن عطية: وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ إقامة للنفوس كما تقول لرجل: إن كنت من الرجال فافعل كذا، علىٰ معنىٰ إقامة نفسه»[(٣)].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٧).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٢٧).

وقال الآلوسي: «إن كنتم تخصونه تعالىٰ بالعبادة، **والكلام خارج مخرج التهييج**»[(١)].

◆ ◆ ◆

١٦) قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: ٢٢].

الظاهر أن الخطاب في الآية متوجِّه إلىٰ النبي ﷺ؛ ليشرع لأمته علىٰ لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له ﷻ، وليعلم من دونه أن ليس لأحد وإن عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته محاباة في الدِّين؛ لأن الرسل هم المكرمون علىٰ الله المعظمون عنده؛ فإذا لم يعفُ عنهم في هذا لم يعفُ من دونهم[(٢)].

وجاء الغرض من التهييج في الآية؛ للتحذير والنهي من الإشراك مع الله تعالىٰ غيره في عبادته.

قال أبو السعود: «الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته **وهو من باب التهييج والإلهاب**، أو كل أحد ممن يصلح للخطاب»[(٣)].

وقال الشوكاني: «والخطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته **تهييجًا وإلهابًا**، أو لكل متأهل له صالح لتوجيهه إليه، وقيل: هو علىٰ إضمار القول، والتقدير: قل لكل مكلَّفٍ لا تجعل»[(٤)].

---

(١) روح المعاني (٧/ ٤٨٠).

(٢) تأويلات أهل السنة (٧/ ٢٥)، أضواء البيان (٣/ ٨٣).

(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٦٥).

(٤) فتح القدير (٣/ ٢٥٩).

١٧) قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٦].

يدل سياق الآيات أن الخطاب لموسىٰ عليه السلام وهو عام لكل أحد من المؤمنين، حيث ينهاه الله تعالىٰ أن يَقبل صدَّ صادٍ من المنكرين للبعث عن التأهُّب للساعة بالإيمان بالبعث والجزاء، فإنك إن أنت انصددت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدِّ من كفر بها تهلك.

وجاء الغرض من التهييج في الآية؛ للنهي عن التكذيب بالبعث، والاستعداد لقيام الساعة بالإيمان بها، قال أبو السعود: «أي: عن ذكر الساعة ومراقبتها، وقيل: عن تصديقها، والأول هو الأليق بشأن موسىٰ عليه السلام، **وإن كان النهي بطريق التهييج والإلهاب**»(١).

١٨) قال الله تعالىٰ: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٦٧].

يخبر تعالىٰ أنه جعل لكل أمة من أهل الأديان السماوية ﴿مَنسَكًا﴾ أي: معبدًا وعبادة وشريعة خاصة يعملون بها، قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها علىٰ العدل والحكمة، ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ أي: فاعلوه وعاملون عليه، بحسب أحوالهم، فلا اعتراض علىٰ شريعة من الشرائع، ولا تتأثر بمنازعتهم لك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق، عند اعتراضهم عليك بعقولهم الفاسدة، وهو نهي لرسول الله ﷺ عن الالتفات إلىٰ قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلىٰ نزاعهم،

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٩).

ثم أمر الله رسوله ﷺ أن يدعو إلىٰ ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: طريق واضح مستقيم موصل إلىٰ المقصود، سواء اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء[(١)].

قال الزمخشري: «والمراد: زيادة التثبيت للنبي ﷺ **بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه**... وهيهات أن ترتع همة رسول الله ﷺ حول ذلك الحمىٰ، **ولكنه وارد علىٰ ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب**»[(٢)]. ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو الإغضاب، والثبات والديمومة.

١٩) قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [النور: ٢].

بيَّن الله تعالىٰ في الآية حدَّ الزنىٰ، والزنىٰ من الرجل وطء المرأة في قُبُلٍ من غير ملك ولا شبهة ملك، والزنىٰ من المرأة تمكينها الرجل أن يزني بها. وحدُّ الزاني من ذكر أو أنثىٰ مائة جلدة، سواء المحصن منهم وغيره. لكنَّ السنة القطعية فرَّقت في الحدِّ بين المحصن وغير المحصن. وأجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن تقدَّم من السلف وعلماء الأمة، وأئمة المسلمين علىٰ أن من زنىٰ وهو محصن فإنه يرجم حتىٰ يموت، لقوله ﷺ: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ، وَالرَّجْمُ**»[(٣)].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧٨)، تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥١)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٥).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٦٩).

(٣) أحكام القرآن، للجصاص (٥/ ٩٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٥٩)، تفسير آيات الأحكام، =

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ أي: رِقَّة ورحمة عند الجلد في دين الله، أي في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدود، فكل من أقام الحدَّ فهو ممن لا تأخذه رأفة في حدود الله، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية ألَّا تكون حاصلة علىٰ ترك الحدِّ، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم علىٰ ترك الحد فلا يجوز ذلك. وهذا يدل علىٰ أن إقامة حدود الله من الإيمان بخلاف ما تدعيه المرجئة من أن الإيمان قول بلا عمل(١).

وجاء التهييج في إقامة حد الزنىٰ علىٰ من فعله بأسلوب الشرط عند قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾، قال الزمخشري: «وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ من **باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه**»(٢). ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو الإغضاب.

وقال ابن عاشور: «والمقصود: شدة التحذير من أن يتأثروا بالرأفة بهما بحيث يفرض أنهم لا يؤمنون. **وهذا صادر مصدر التلهيب والتهييج** حتىٰ يقول السامع: كيف لا أومن بالله واليوم الآخر»(٣).

◆ ◆ ◆

= للسايس (ص: ٥٣٠). والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: حد الزنىٰ، برقم (١٦٩٠).

(١) الهداية الىٰ بلوغ النهاية (٨/ ٥٠١٦)، تفسير ابن كثير (٦/ ٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٠٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٥١).

٢٠) قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: ٥١ - ٥٢].

يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخفَّفنا عنك أعباء نذارة جميع القرىٰ و﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ نبيًّا يُنذرها. وإنما قصرنا الأمر عليك وعظَّمناك به؛ لتستوجب ما أعدَّ الله لك من الكرامة عنده والمنازل الرفيعة؛ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه، **وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم**. والضمير للقرآن؛ حتىٰ ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله(١).

◆ ◆ ◆

٢١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القصص: ٨٧].

الخطاب في الآية للرسول ﷺ وفيه تعريض بغيره؛ لأنه لا يكون من المشركين بحال من الأحوال، والمعنىٰ لا يصرفنَّك عن تبليغ آيات الله تعالىٰ بعد إنزالها إليك المشركون، ولا تُبَالِ بهم ولا تهتم بمخالفتهم لك، فإن الله معك.

ثم أمره أن يصدع بالدعوة فقال: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ أي وبلغ رسالة ربك إلىٰ من أرسلك إليهم، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ولا تتركنَّ الدعاء إلىٰ ربك وتبليغ المشركين رسالتك، فتكون ممن فَعَلَ فِعْلَ المشركين بمعصيته ومخالفة أمره(٢).

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٢٨١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٨٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦١)، محاسن التأويل (٧/ ٥٤٢)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢١٧)، تفسير المراغي (٢٠/ ١٠٥).

وجاء **التهييج** هنا للنبي ﷺ ولأمته في النهي عن مظاهرة المشركين، وإظهار أن المنهي عنه في القبح والشريِّة بحيث يُنهىٰ عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلًا[1]. قال الزمخشري: «والنهىٰ عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك **من باب التهييج**»[2]. وقال البيضاوي: «هذا وما قبله **للتهييج، وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم**»[3].

والغرض البياني في الآية الكريمة من التهييج هنا هو الثبات والديمومة علىٰ الحق.

◆ ◆ ◆

٢٢) قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٨].

هذا نهي من الله لرسوله ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يشيرون به عليه من المداهنة في الدِّين، وفي الآية تعريض لغيره من أمته؛ لأنه معصوم عن طاعتهم في شيء مما يريدونه، ويشيرون به عليه. ثم أمره الله بترك أذاهم، وأمره تعالىٰ بالتوكل عليه، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ تُوكل إليه الأمور، فمن وكَل إليه أحواله لم يحتج فيها إلىٰ سواه[4].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٨).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٣٧).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٨٧).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٩٠)، فتح القدير (٤/ ٣٣١)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ١٠٧).

وجاء أسلوب التهييج في نهيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، قال الزمخشري: «﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: الدوام والثبات على ما كان عليه، **أو التهييج**»(١). ويظهر من كلام الزمخشري أن الغرض البياني من التهييج هنا هو الثبات والديمومة.

وقال البيضاوي: «﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم**»(٢).

◆ ◆ ◆

٢٣) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١].

جاء التهييج في الآية الكريمة على عداوة المشركين والكفار؛ بسبب محاربتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وورد النهي الشديد أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء. قال ابن كثير: «وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ **هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم**؛ لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده»(٣).

◆ ◆ ◆

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٤٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٣٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٦).

٢٤) قال الله تعالىٰ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ٢].

قال السعدي: «ثم بيَّن تعالىٰ شدة عداوتهم، **تهييجًا للمؤمنين علىٰ عداوتهم،** ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: يجدوكم، وتسنح لهم الفرصة في أذاكم، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ظاهرين، ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب، ونحو ذلك. ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فإن هذا غاية ما يريدون منكم»[(١)].

وقال الشنقيطي: وقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ الآية، نصَّ علىٰ أن العداوة وبسط اليد واللسان بالسوء يكون بعد أن يثقفوهم، مع أن العِداء سابق بإخراجهم إياهم من ديارهم، **فيكون هذا من باب التهييج وشدة التحذير،** وأن الذي يكون بعد الشرط هو بسط الأيدي بالسوء؛ لأنهم الآن لا يقدرون عليهم بسبب الهجرة»[(٢)]. ويظهر من كلام الشنقيطي أن الغرض البياني من التهييج هنا هو التحذير.

◆ ◆ ◆

٢٥) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٧ - ٩].

الخطاب للرسول ﷺ إذ يخبره الله تعالىٰ بأنه أعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين علىٰ الحقيقة. وهو أعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل. ثم نهاه ﷻ عن طاعة الكافرين المكذبين، الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ودوا لو تدهن

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٨٣).

تلاينُهم بأن تدع نهيهم عن الشرك، أو توافقهم فيه أحيانًا. فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة، والفاء في قوله تعالىٰ: ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ للعطف، أي ودوا التَّداهن وتمنَّوه لكنَّهم أخَّروا ادِّهانهم حتىٰ تدهن، أو للسببية أي ودُّوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ، أو ودُّوا ادِّهانك فهم الآن يُدهنون طمعًا فيه[1].

وجاء التهييج لغرض النهي عن طاعة المشركين وملاينتهم والرضا بمطالبهم، قال الزمخشري: «﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ **تهييج وإلهاب للتصميم علىٰ معاصاتهم،** وكانوا قد أرادوه علىٰ أن يعبد الله مدة، وآلهتهم مدة، ويكفوا عنه غوائلهم»[2].

وقال المراغي: «**والمراد من هذا النهي التهييج** والتشدد في المخالفة والتصميم علىٰ معاداتهم»[3].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٣٣)، تفسير المراغي (٢٩/ ٣١).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٨٦).

(٣) تفسير المراغي (٢٩/ ٣١).

الخَاتِمَةُ

ألخِّص أهم النتائج التي توصلتُ إليها فيما يلي:

١) القيمة البلاغية لفن التهييج والإلهاب تكمن في حثِّ الناس وتقوية عزائمهم علىٰ امتثال أوامر الله تعالىٰ، واجتناب مساخطه ونواهيه.

٢) الحكمة من فن التهييج والإلهاب التأثير في السامع واستنهاض همته، من خلال أغراضه المتعددة.

٣) دراسة الأساليب البلاغية وأفانينها في القرآن الكريم لا سيما فن التهييج والإلهاب، تُظهر عمق المعنىٰ، وتكشف أسراره المختلفة، وتُعين علىٰ تدبره، ومن ثم العمل به.

٤) اعتنىٰ علماء التفسير البلاغيون بفن التهييج والإلهاب، وغيره من الأساليب البلاغية في تفاسيرهم، وأشهرهم الزمخشري، والبيضاوي، والآلوسي، وابن عاشور.

٥) درست في هذا البحث (٢٥) موضعًا مصرحًا فيها بذكر «التهييج والإلهاب»، وهي مواضع استقرائية في أشهر كتب التفسير التي اهتمت بهذا الأسلوب.

٦) بيَّنتُ الغرض من التهييج والإلهاب في جميع الأمثلة التطبيقية التي قمت بدراستها.

٧) أوضح المفسرون ﵏ فن التهييج والإلهاب، ونصُّوا عليه صراحة، وبيَّنوا أثره علىٰ المعنىٰ.

التوصيات:

- أوصي طلاب العلم بالاهتمام بدراسة الأساليب البلاغية المختلفة المبثوثة في القرآن الكريم، والكشف عن أسرارها، وبيان وجوه إعجازها.

ثبت المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن. الجصاص. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم. العمادي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- أساس البلاغة الزمخشري تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م،

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٦- بحر العلوم. السمرقندي. ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٧- البحر المحيط في التفسير. أبو حيان الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن. الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٩- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية. محمد أبو موسىٰ. د.ط، دار الفكر العربي، د.ت.

١٠- تأويلات أهل السنة. الماتريدي. تحقيق: د. مجدي باسلوم. ط١، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١- التحرير والتنوير. ابن عاشور. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٢- تفسير الإمام ابن عرفة. ابن عرفة. تحقيق: د. حسن المناعي. ط١، تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية، ١٩٨٦م.

١٣- تفسير الفاتحة والبقرة. محمد ابن عثيمين. ط١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

١٤- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥- تفسير المراغي. المراغي. ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١٦- تفسير آيات الأحكام، السايس. تحقيق ناجي سويدان. د.ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

١٧- تهذيب اللغة. الأزهري. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

١٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر. ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢١- جمهرة اللغة. ابن دريد. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٤- صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري. ط١، القاهرة: دار الشعب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٥- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. المؤيد بالله. ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٣هـ.

٢٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري. تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٢٧- فتح البيان في مقاصد القرآن. صديق حسن خان. عني بطبعه وقدَّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. د.ط، بيروت: المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الشوكاني. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

٢٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٠- لباب التأويل في معاني التنزيل. الخازن. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣١- اللباب في علوم الكتاب. ابن عادل الحنبلي. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٣٣- مسامرة الكشاف بين مراقي تحليلية ومهاوي تأويلية. عبد المحسن العسكر. ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٤٢هـ.

٣٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣٥- معاني القرآن وإعرابه. الزجاج. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. أحمد مطلوب. د.ط، مكتبة لبنان، ٢٠٠٧م.

٣٧- مفاتيح الغيب. الرازي. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٣٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي. د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٣٩- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد. أبو العباس التونسي. تقديم وتحقيق: الأستاذ / محمد الطبراني. منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية. ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٠- النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤١- الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. مكي بن أبي طالب. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، د.ن، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. الواحدي. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٥هـ.

References and Sources

1. al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, Abu Hayyan, Muhammad. investigated by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, 1420 AH, Beirut.
2. Quranic Rhetoric in the Interpretation of Al-Zamakhshari and Its Impact on Rhetorical Studies, Abu Musa, Muhammad. Dar al-Fikr al-Arabi. (In Arabic).
3. . Rūḥ al-ma'ānī fī tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm wa-al-Sab' al-mathānī,Al-Alusi, Mahmoud investigated by: Ali Abdul Bari Attia, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH, Beirut.
4. al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah fī 'ilm ma'ānī al-Qur'ān wa-tafsīruh, wa-aḥkāmuhu, wa-jumal min Funūn 'ulūmuhu, Al-Andalusī, Makkī ibn Abī Ṭālib. investigation: A group of university theses at the College of Graduate Studies and Scientific Research - University of Sharjah, under the supervision of Prof. Dr: Al-Shahid Al-Bushikhi, Book and Sunnah Research Group - College of Sharia and Islamic Studies - University of Sharjah, 1st edition, 1429 AH - 2008 AD.
5. Musāmarat al-Kashshāf bayna Marāqī taḥlīlīyah wmhāwy ta'wīlīyah, Al-Askar, Abdul-Mohsen. 1st Edition, Dar Ibn Al-Jawzi, 1442 AH.
6. Tahdhīb al-lughah, Al-Azhari, Muhammad. investigation: Muhammad Awad Mereb, 1st edition, House of Revival of Arab Heritage, 2001 AD, Beirut.
7. Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta'wīl, Al-Baidawi, Abdullah. investigation: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, 1st edition, House of Revival of Arab Heritage, 1418 AH, Beirut.
8. . naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar, Al-Biqā'ī, IbrahimDar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.
9. Sahih Al-Bukhari, Al-Bukhari, Muhammad. 1st edition, Dar Al-Shaab, 1407 - 1987 AD, Cairo.
10. "Irshād al-'aql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm",Al-Emadi, Mohammed. House of Revival of Arab Heritage, Beirut.

11. "Ahkam al-Qur'an",Al-Jassas, Ahmed. investigation: Muhammad Sadiq al-Qamhawi, House of Revival of Arab Heritage, 1405 AH, Beirut.

12. Al-ṣiḥāḥ Tāj al-lughah wa-ṣiḥāḥ al-'Arabīyah,al-Jawharī, Ismā'īl. Investigation: Ahmed Abdul Ghafour Attar, 4th Edition, Dar Al-Ilm lil Malayin, 1407 AH - 1987 AD, Beirut.

13. Lubāb al-ta'wīl fī ma'ānī al-tanzīl, Al-Khazen, Ala'-ddin. investigation: Correction by Muhammad Ali Shaheen, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH, Beirut.

14. Tafsir Al-Maraghi,Al-Maraghi, Ahmed. 1st edition, Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Library and Press Company, 1365 AH - 1946 AD, Egypt.

15. Ta'wīlāt ahl al-Sunnah, Al-Matridi, Muhammad. investigation: Dr. Majdi Basloum, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1426 AH - 2005 AD, Beirut: Lebanon.

16. al-Ṭirāz li-asrār al-balāghah wa-'ulūm ḥaqā'iq al-i'jāz,Al-Mu'ayyad bi-llah, Yahya. 1st edition, Racist Library, 1423 AH, Beirut.

17. al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-'Adl 'an al-'Adl ilá Rasūl Allāh ṣallá Allāh 'alayhi wa-sallam,Al-Naysaburi, Muslim bin Al-Hajjaj. investigation: Muhammad Fouad Abdul-Baqi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut.

18. Gharā'ib al-Qur'ān wa-raghā'ib al-Furqān,Al-Naysaburi, Nizamuddin. investigated by: Sheikh Zakaria Omairat, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya 1416 AH, Beirut.

19. Interpretation of Al-Fatihah and Al-Baqara, 1st edition, Al-Othaimeen, Muhammad. Dar Ibn Al-Jawzi, 1423 AH, Saudi Arabia. (In Arabic).

20. al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, Al-Qurtubi, Muhammadinvestigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfayesh, 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH - 1964 AD, Cairo.

21. Mafātīḥ al-ghayb, 3rd Edition, Al-Razi, Muhammad. House of Revival of Arab Heritage, 1420 AH, Beirut.

22. Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān,Al-Sa'adi, Abdul Rahman. investigated by: Abd Al-Rahman bin Mualla Al-Luhaiq, 1st edition, Al-Resala Foundation, 1420 AH -2000AD.

23. Bahr al-Ulum, Al-Samarqandi, Nasr, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1413 AH-1993AD.
24. Tafsīr āyāt al-aḥkām, Al-Sayis, Muhammad. investigated by Naji Suwaidan, Al-Asriya Bookstore for Printing and Publishing, 2002 AD.
25. Fatḥ al-qadīr al-Jāmi‘ bayna Fannaī al-riwāyah wa-al-dirāyah min ‘ilm al-tafsīr, Al-Shawkani, Muhammad. Dar Al-Fikr, Beirut.
26. "Aḍwā’ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur’ān bi-al-Qur’ān"Al-Shinqiti, Muhammad Al-Amin, , Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution, 1415 AH - 1995 AD, Beirut: Lebanon.
27. . Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān, Al-Tabari, Muhammadinvestigated by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, in cooperation with the Center for Islamic Research and Studies in Dar Hajar, 1st edition, Dar Hajar, 1422 AH.
28. Nukat wa-tanbīhāt fī tafsīr al-Qur’ān al-Majīd,Al-Tunisi, Abu Al-Abbas. Ibn Ghazi al-Maknasi, forwarded and investigated by: Professor Muhammad al-Tabarani, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs - Kingdom of Morocco, 1st edition, New Success Press, 1429 AH - 2008 AD, Casablanca.
29. Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz,Al-Wahidi, Ali bin Ahmed investigated by: Safwan Adnan Daoudi, 1st edition, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya, 1415 AH, Damascus: Beirut.
30. ma‘ānī al-Qur’ān wa-i‘rābuh, Al-Zajjāj, Ibrāhīm. 1st Edition, World of Books, 1408 A.H. - 1988 A.D., Beirut.
31. "Asās al-balāghah", Al-Zamakhshari, Mahmoud. investigation: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1419 AH - 1998 AD, Beirut: Lebanon.
32. Al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, Al-Zamakhshari, Mahmoud. 3rd Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH, Beirut.
33. al-Burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, Al-Zarkashi, Muhammad. investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 1st edition, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and his associates, 1376 AH - 1957 AD.
34. Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur’an, Hassan Khan, Sadiq. Published,

forwarded and reviewed by: The servant of knowledge Abdullah bin Ibrahim Al-Ansari, Al-Asriya Bookstore for Printing and Publishing, 1412 AH - 1992 AD, Sidon, Beirut.

35. al-Lubāb fī ʻulūm al-Kitāb, Ibn Adel Al-Hanbali, Omar. investigated by: Sheikh Adel Ahmed Abdul-Mawgod and Sheikh Ali Muhammad Moawad, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1419 AH - 1998 AD, Beirut: Lebanon.

36. al-Nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar,Ibn al-Atheer, Majd al-Din. investigation: Taher Ahmad Al-Zawi - Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, al-Maktabah al-ʻIlmīyah, 1399 AH - 1979 AD, Beirut.

37. Tafsīr al-Imām Ibn ʻArafah, Ibn Arafa, Muhammad. investigation: Dr. Hassan Al-Mannai, 1st edition, Research Center of al-Zaytūnah College, 1986 AD, Tunisia.

38. al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Ibn Ashour, Muhammad al-Taher. Tunisian Publishing House, 1984 AD, Tunisia.

39. al-Muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz,Ibn Attia, Abdul Haq. investigated by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1422 AH, Beirut.

40. . Jamharat al-lughah, Ibn Duraid, Muhammadinvestigation: Ramzi Mounir Baalbaki, 1st edition, Dar Al-Ilm for Millions, 1987, Beirut.

41. Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, Ibn Kathir, Ismail. investigated by: Sami bin Muhammad Salama, 2nd edition, Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1420 AH - 1999 AD.

42. A Dictionary of Rhetorical Terms and Their Evolution, Matlub, Ahmed. Library of Lebanon, 2007.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



الإنسانُ من العدمِ إلى دارِ الجزاءِ
تأملاتٌ في سورةِ الإنسانِ
"دراسةٌ موضوعيّة"

Man from creation to resurrection;
Reflections on Surat Al-Insan



أ. أحمد بن محمد الشويمي
Mr. Ahmed Mohamed elshwemy

باحث دكتوراة بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences at the Islamic University of Madinah

قدم للنشر في: ٧-٣-١٤٤٣هـ الموافق ١٠-١٠-٢٠٢١

قبل للنشر في: ١٣-٤-١٤٤٣هـ الموافق: ١٨-١١-٢٠٢١

نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م

مدة التحكيم مع قبول النشر: (٣٧ يومًا).

متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (١٤٥ يومًا).

- من مواليد محافظة الدقهلية، جمهورية مصر العربية.
- حصل على درجة البكالوريوس من كلية الحديث والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة.
- حصل على درجة الماجستير من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: تفسير جزء عم للعصام الإسفراييني (٩٤٣هـ) دراسةً وتحقيقًا.
- باحث بمرحلة الدكتوراة بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

بعض النتاج العلمي:

١- تفسير جزء عمَّ؛ للعصام الإسفراييني (دراسةً وتحقيقًا).

٢- الفوائد المستنبطة من القصص القرآنية من تفسير الشيخ ابن سعدي رحمه الله.

٣- الحكمة من وجود المشكل في القرآن الكريم.

البريد الشبكي: **Email: a.elshwemy@gmail.com**

المُستخلص

موضوع البحث:

الإنسان من العدم إلىٰ دار الجزاء؛ تأملات في سورة الإنسان.

أهداف البحث:

هذا البحث يمثل جهدًا متواضعًا يهدف فيه الباحث إلىٰ دراسة سورة الإنسان دراسة موضوعية للوقوف علىٰ خصائصها وسماتها التي تتميز بها.

وتناول أبرز القضايا التي تحدثت عنها السورة، مع بيان تناسقها وتآلفها وتكاملها، ومن هذه القضايا: انقسام الناس إلىٰ شاكرٍ وكفورٍ، والصفات التي اتصفوا بها، وكذلك ما أعد لهم من وعدٍ ووعيدٍ، ومآل كل فريق منهم، إلىٰ غير ذلك من القضايا التي اشتملت عليها السورة، **واعتمدتُ في البحث علىٰ المنهج الاستقرائي الاستنباطي.**

وقد توصل الباحث في نهاية البحث إلىٰ عدة نتائج؛ من أهمها:

• أنَّ القرآن الكريم اتخذ منهجًا فريدًا في تربية الإنسان، وهذا المنهج يقوم علىٰ أُسسٍ مبنية علىٰ توجيه الخطاب له، والجمع بين الترغيب والترهيب.

• اختصاصُ السورة بعدة أمور؛ منها: الإسهاب في وصف أحوال أهل الجنة وما هم فيه من نعيم، وبيانُ أنواع شرابهم فيها، والانفراد ببعض الألفاظ منها: السلسبيل، والزنجبيل، والقمطرير.

• ترتيب الجزاء الحَسَن والنَّعيم المقيم علىٰ الصبر بأنواعه؛ علىٰ الطاعة، وعن المعصية، وعلىٰ أقدار الله ﷻ.

• أنَّ الله لا يجمع علىٰ عباده خوفين، ولا يجمع لهم أمنين؛ فمن خافه في الدنيا أمَّنَه يوم القيامة، ومن أمِنَه في الدنيا خوَّفه يوم القيامة.

• أنَّ الدنيا دار عملٍ وابتلاءٍ، وأنَّ الآخرة دار حسابٍ وجزاءٍ، فمن لم يعمل هنا ندم هناك.

• أنَّ من طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا لله، وتحمَّل لأجله المشاقَّ في مرضاته وطاعته؛ خفَّ عليه الوقوف يوم القيامة وسهُل عليه.

• رسمت السورة منهجًا عمليًّا للدعاة إلىٰ الله ﷻ يسيرون عليه ويهتدون به في طريق دعوتهم.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

الإنسان، الخلق، البعث، التدبر، القرآن، المناسبات، الاستنباط.

Research topic: Man from creation to resurrection; Reflections on Surat Al-Insan.

Mr. Ahmed Mohamed elshwemy

Associate Professor of Interpretation and Quranic Sciences

at the Islamic University of Madinah

Abstract

Research Objectives: This research represents a modest effort in which the researcher aims to study Surat Al-Insan an objective study to determine its characteristics and characteristics. He dealt with the most prominent issues that the surah talked about, with a statement of their consistency, harmony and integration, and among these issues: the division of people into thankful and unbeliever, the qualities that were characterized by them, as well as what was prepared for them of promises and threats, and the fate of each group of them, and other issues that included it The surah, and I relied in the research on the inductive deductive method. At the end of the research, the researcher reached several conclusions; Among the most important of them:

• The Holy Qur'an has taken a unique approach in raising a person, and this approach is based on foundations based on directing the discourse to him, and a combination of encouragement and intimidation.

• The surah is specialized in several matters; Including: at length

describing the conditions of the people of Paradise and the bliss they are in, and explaining the types of their drink in it, and singling out some words, including salsabil, ginger, and al-Qamatir.

• Arranging the good reward and the bliss that resides on patience of all kinds; On obedience, on disobedience, and on the predestination of God.

• That God does not gather two fears for His servants, nor does He gather two security for them; Whoever fears him in this world will make him safe on the Day of Resurrection, and whoever is safe in this world will fear him on the Day of Resurrection.

• That this world is the abode of work and trial, and that the Hereafter is the abode of reckoning and recompense, so whoever does not work here will regret there.

• that the one who stands for a long time in prayer day and night for God, and endures hardships for his sake in his pleasure and obedience; It is easy for him to stand on the Day of Resurrection and easy for him.

• The surah charts a practical approach for the callers to God ﷻ who follow it and are guided by it in the path of their calling.

Keywords: Human, Creating, resurrection, Deliberation, Qur'an, Occasions, deduction

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي خلق فسوَّىٰ، وقدَّر فهدىٰ، والصلاة والسلام علىٰ نبيه المبعوث للدلالة علىٰ طريق الهدىٰ، أما بعد:

فإنَّ من عظيم مِنَنِ الله ﷻ علىٰ هذه الأمة وعنايته بها أنْ تكفَّل بحفظ كتابها، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

وإنَّ أعظم ما شُغلت به الأوقات، ومضت به الدقائق والساعات، وصُرفت إليه هممُ الباحثين وأعمارُ طلبة العلم المُجدِّين المجتهدين؛ الاشتغالُ بكتاب ربِّ العالمين، بالبحث في أغواره وأعماقه، والسَّير في معانيه وظلاله، سَيرًا علىٰ نهج العلماء الماضين، الذين أفنَوْا أعمارهم في خدمة هذا الكتاب العظيم، منذ الصدر الأول إلىٰ يومنا هذا.

وقد بذلوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جهودًا عظيمةً في خدمته والعناية به، ومن ذلك تفسير آياته وبيان معانيه، ولهم في ذلك مناهج متعددة، وطرائق متنوعة.

ومن مناهج التفسير المعروفة عند العلماء؛ التفسير الموضوعي، وله حَظوة ومكانة؛ لا سيما في هذه الأزمنة، بل إنَّ الإنسانية بحاجة إلىٰ هذا النوع من أنواع التفسير لتهتدي بنور القرآن، وتسير علىٰ نهجه، وتجد الحلول لقضاياها في رحابه وضوء هداياته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وهدايته عامة شاملة لجميع نواحي الحياة، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ومن هنا وقع اختياري علىٰ سورة الإنسان للحديث عن الإنسان؛ ندور في رحاها ونقطف من بستانها أطيب الثمار التي ينتفع بها الإنسان.

أولاً: أهداف البحث

١- إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان اتساقها وتكاملها وتآلفها، وإبراز محورها التي تدور حوله.

٢- دراسة السورة دراسة موضوعية للوقوف علىٰ خصائصها وسماتها التي تتميز بها.

٣- ربط الناس بكتاب الله ﷻ، بتدبره والعمل بمقتضاه.

٤- بيان عظمة القرآن الكريم، وأثره في هداية البشرية.

٥- إبراز إعجاز القرآن الكريم، وتناسقه وتآلفه وتكامله.

٦- إبراز المنهج العملي للدعاة إلىٰ الله ﷻ للسير عليه والاهتداء به في طريق دعوتهم.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

١ - اشتمال السورة علىٰ ثلاثة من مقاصد القرآن الأساسية؛ (العقيدة، والعبادة، ومنهج الحياة).

٢- إظهار حكمة الله البالغة في خلق الإنسان، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

٣- اشتمال السورة علىٰ جانب الوعظ وربط القلوب بالله ﷻ، والتذكير بنعمه.

٤- اختصاصه ببحث جانبٍ قلَّ التعرُّض له في كتب التفسير علىٰ وجه خاص.

٥- الرغبة في الاستفادة العلمية عن طريق الاطلاع وكثرة القراءة في كتب التفسير.

ثالثًا: الدراسات السابقة

من خلال البحث وتتبع المصادر التي احتوت علىٰ مثل هذه الدراسات؛ لم أعثر إلا علىٰ دراستين في سورة الإنسان، وهما:

١- **المضامين التربوية المستنبطة من سورة الإنسان**، وقد اهتمَّ فيها الباحث بإبراز هذه المضامين دون نظر إلىٰ موضوع السورة الرئيس، وموضوعاتها الفرعية، وهذا ما يفترق فيه بحثي عن بحثه.

٢- **التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات**، وقد اهتمَّ الباحث فيها ببيان الأساليب البلاغية في كل سورة، وأبرز هذا الجانب، وتختلف دراستي عنه في كونها دراسة موضوعية تتناول موضوع السورة ومحورها والحديث عنه بشيء من البيان والتفصيل، فقد نحَت الرسالةُ منحًىٰ لغويًّا بلاغيًّا، وأما بحثي فبحث شرعي موضوعي.

رابعًا: منهج البحث

أما المنهج الذي اتبعته فهو: استقرائي استنباطي.

وقد اتبعت في إعداد هذا البحث المنهجية الآتية:

١- قسَّمتُ السورة إلىٰ مقاطع ترتبط فيما بينها برابط معين، مما يعين علىٰ جلاء الفكرة، واستيعاب الموضوع.

٢- عند عرض الآية للاستدلال بها في سياق البحث فإنني لا أتعرض لدراستها دراسة تحليلية.

٣- لم أتعرض للخلاف المذكور في الآيات -ما أمكن-، وإنما أبني علىٰ

الأرجح؛ وذلك ما تقتضيه منهجية البحث في التفسير الموضوعي.

٤- حاولت ربط جوانب السورة ببعضها لكي تخرج كموضوع واحد.

٥- كتبتُ الآيات بالرسم العثماني، وعزوتها إلىٰ سورها وآياتها في الحاشية.

٦- خرجتُ الأحاديث الشريفة، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ به، وما كان في غيره خرجته من مظانّه من كتب السنة، كالسنن والمسانيد وغيرها، وأنقل أحكام العلماء عليها صحةً وضعفًا.

٧- ترجمتُ للأعلام الواردين في البحث ترجمةً موجزةً.

خامسًا: خطة البحث

وأما خطة البحث فتتكون من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس:

المقدمة، وتشتمل علىٰ: أهداف البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: بين يدي السورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نزول السورة، وعدد آياتها.

المطلب الثاني: أسماء السورة.

المطلب الثالث: فضائل السورة.

المطلب الرابع: المحور الرئيس للسورة، وفيه مسألتان:

المسألة الأولىٰ: مناسبة السورة لما قبلها.

المسألة الثانية: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

المطلب الخامس: المناسبات، وفيه مسألتان:

المسألة الأولىٰ: مناسبة السورة لما قبلها.

المسألة الثانية: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

المبحث الثاني: مراحل خلق الإنسان وتكوينه، وبيان الحكمة من ذلك، والإنعام عليه بالهداية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراحل خلق الإنسان وتكوينه.

المطلب الثاني: بيان الحكمة من ذلك، وإنعام الله عليه بالهداية والإرشاد.

المبحث الثالث: صفات الأبرار وما أعد لهم من جزاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفات الأبرار.

المطلب الثاني: ما أعد لهم من جزاء.

المبحث الرابع: وصف طريق الهداية وتوجيه المؤمنين، والتحذير من طريق الغواية، ووعيدٌ وتهديدٌ للمشركين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وصف طريق الهداية وتوجيه المؤمنين.

المطلب الثاني: التحذير من طريق الغواية، ووعيدٌ وتهديدٌ للمشركين.

المبحث الخامس: الفوائد والهدايات المستنبطة من السورة.

الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول:

بين يدي السورة

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول:

نزول السورة، وعدد آياتها

سورة الإنسان من السور المختلف فيها، فقيل: هي مكية، وقيل: مدنية، وقيل: بعضها مكي، وبعضها مدني[(١)].

ومن خلال تأمل السورة يترجح أنَّها مكية، وهذا ظاهر في موضوعها وسياقها وخصائصها[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: «وسورة (هل أتىٰ) مكية باتفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم: إنها مدنية، وهي علىٰ طريقة السور المكية في تقرير أصول الدين المشتركة بين الأنبياء، كالإيمان بالله واليوم الآخر، وذِكر الخلق والبعث، ولهذا قيل: إنه كان النبي ﷺ يقرؤها مع: (الم تنزيل)[(٣)]، في فجر يوم الجمعة؛ لأنَّ فيه خُلِق آدم، وفيه دخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وهاتان السورتان

---

(١) المكي والمدني من السور والآيات، للدكتور: محمد بن عبد العزيز الفالح (ص:٤٠٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٢٨/ ١٨٩)، والتفسير الكبير، للرازي (٣٠/ ٧٣٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٢٨٥)، والمكي والمدني، لمحمد الشايع (ص: ٦٦).

(٣) سيأتي تخريجه.

متضمنتان لابتداء خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان إلىٰ أن يدخل فريقٌ الجنة وفريقٌ النار»[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: «والأصح أنَّها مكية، فإنَّ أسلوبها ومعانيها جارية علىٰ سنن السور المكية... وكثيرًا ما حملوا نزول الآية علىٰ مثل تنطبق عليها معانيها فعبَّروا عنها بأسباب نزول»[2].

واتفق أئمة العدد علىٰ أنَّها إحدىٰ وثلاثون آية، وهي كذلك في جميع مذاهب العدِّ دون خلاف[3].

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٧/ ١٧٩-١٨٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٣٧٠).

(٣) انظر: البيان في عدِّ آي القرآن، للداني (ص: ٢٦٠)، وحسن المدد في فن العدد، للجعبري (ص: ١٤٣).

المطلب الثاني:
أسماء السورة

سورة الإنسان من سور المفصَّل، وقد وردت بعدة أسماء؛ أشهرها: الإنسان، وبذلك كُتبت في المصاحف وكتب التفسير[(١)].

ووجه التسمية بهذا الاسم هو افتتاح السورة بذكر الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان: ١-٢].

أسماؤها الاجتهادية:

الاسم الأول: سورة هل أتى على الإنسان.

وسميت بهذه التسمية في عهد الصحابة رضي الله عنهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: الم تنزيل السجدة، وهل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقرأ في الفجر، يوم الجمعة: الم تنزيل، وهل أتىٰ[(٣)].

---

(١) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري (ص: ٤٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، برقم (٨٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، برقم (٨٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، برقم (٨٨٠).

وعنه رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح، يوم الجمعة: بالم تنزيل في الركعة الأولىٰ، وفي الثانية: هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا[(١)].

وقد عنون لها بهذا الاسم بعض المفسرين في مصنفاتهم؛ كأبي عُبيد[(٢)] في مجاز القرآن[(٣)]، والطبري[(٤)] في جامع البيان[(٥)]، والنَّحاس[(٦)] في إعراب القرآن[(٧)]، وغيرهم.

وهي تسمية للسورة بأول آية فيها.

الاسم الثاني: سورة (هل أتى).

وهو بمثابة الاختصار للاسم السابق، وسمَّاها بهذا الاسم عددٌ من المفسرين

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، برقم (٨٨٠).

(٢) هو: معمر بن المثنىٰ التيمي مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف؛ منها: (مجاز القرآن)، (غريب الحديث)، وغيرهما، توفي سنة: (٢٠٨)، وقيل: بعد ذلك. انظر: السير، للذهبي (٩/ ٤٤٥)، وبغية الوعاة، للسيوطي (٢/ ٢٩٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٩).

(٤) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، من طبرستان، ولد سنة: (٢٢٤)، كتب التفسير في ثلاثين ألف ورقة، ثم اختصره في ثلاثة آلاف ورقة، فهو الموجود بين يدي الناس اليوم، توفي سنة: (٣١٠). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٤/ ٢٦٧)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص:٩٥).

(٥) جامع البيان، لأبي جعفر الطبري (٢٤/ ٨٥).

(٦) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المرادي، المصري، النحاس، نسبة لعمل الأواني الصفرية وبيعها، من أئمة اللغة والتفسير والأدب، صاحب التصانيف؛ منها: (إعراب القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، وغيرها، توفي سنة: (٣٣٨). انظر: إنباه الرواة، للقفطي (١/ ١٣٦)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٣٦٢).

(٧) إعراب القرآن، للنحاس (٥/ ٦٢).

في كتبهم؛ كابن الجوزي[(١)] في زاد المسير[(٢)]، والخازن[(٣)] في تفسيره[(٤)]، وذكرها البقاعي[(٥)]، والفيروزآبادي[(٦)]، والخفاجي[(٧)]، والألوسي[(٨)]، وغيرهم.

الاسم الثالث: سورة الدهر.

وقد ورد هذا الاسم عنوانًا للسورة في بعض المصاحف المخطوطة[(٩)].

(١) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، القرشي، التيمي، البكري، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك، توفي سنة: (٥١٠). انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي (١٢/ ١١٠٠).

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٧٤).

(٣) هو: علي بن محمد بن إبراهيم، علاء الدين، الشيحي، المعروف بالخازن، كان عالمًا بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، من أشهر كتبه: (لباب التأويل في معاني التنزيل)، توفي سنة: (٧٤١). انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٤/ ١١٥)، وطبقات المفسرين، للداوودي (١/ ٤٢٦).

(٤) (٤/ ٣٧٦).

(٥) انظر: مصاعد النظر، للبقاعي (٣/ ١٤٣)، ونظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٢٠).

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١/ ٤٩٣).

والبقاعي هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي الخرباوي، أبو الحسن، برهان الدين، البقاعي، المؤرخ، المفسر، المحدث، الأديب، من أشهر كتبه: (نظم الدر في تناسب الآيات والسور)، توفي سنة: (٨٨٥). انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (١/ ١٠١)، وسلم الوصول، لحاجي خليفة (١/ ٤٢).

(٧) انظر: حاشيته على أنوار التنزيل (٨/ ٢٨٤).

والخفاجي هو: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين، الخفاجي، المصري، الحنفي، قاضي القضاة، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، من كتبه: (عناية القاضي وكفاية الراضي)، توفي سنة: (١٠٦٩). انظر: خلاصة الأثر، للمحبي (١/ ٣٣١)، والأعلام، للزركلي (١/ ٢٣٨).

(٨) انظر: روح المعاني للألوسي (١٥/ ١٦٦).

(٩) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٣٦٩).

وعنون لها بعض المفسرين بهذا الاسم؛ كابن قتيبة[(١)]، وابن العربي[(٢)]، والنيسابوري[(٣)]، وغيرهم، وذكره البقاعي[(٤)]، والفيروزآبادي[(٥)]، والشهاب الخفاجي[(٦)].

ووجه تسميتها بهذا الاسم هو وروده فيها، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١].

ولكنها لا تختص بهذا اللفظ، حيث وقع في سورة الجاثية في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤][(٧)].

---

(١) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (ص:٥٠٢).

وابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، صنَّف: (معاني القرآن)، (مختلف الحديث)، وغيرها، توفي سنة: (٢٦٧). انظر: إنباه الرواة، للقفطي (٢/ ١٤٢)، وطبقات المفسرين، للداوودي (١/ ٢٥١).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٤/ ٣٥٢).

وابن العربي هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، صنف: (أحكام القرآن)، و(شرح الموطأ)، و(شرح الترمذي) وغير ذلك، وولي القضاء ببلده، توفي سنة: (٥٤٣هـ). انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان (٤/ ٢٩٦)، وطبقات المفسرين، للسيوطي (ص:١٠٥).

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٦/ ٤٠٨).

والنيسابوري هو: نظام الدين حسن بن محمد بن حسين القُمِّي، صنف: التفسير المسمَّىٰ بـ(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، وغيره، توفي سنة: (٧٢٨). انظر سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول، لحاجي خليفة (٢/ ٣٦)، وطبقات المفسرين، للأدرني (ص:٤٢٠).

(٤) انظر: مصاعد النظر، للبقاعي (٣/ ١٤٣)، ونظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٢٠).

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١/ ٤٩٣).

(٦) انظر: حاشيته علىٰ أنوار التنزيل (٨/ ٢٨٤).

(٧) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري (ص: ٥٠٠).

الاسم الرابع: سورة الأمشاج.

وسماها بهذا الاسم الشهاب الخفاجي[(١)]، والبقاعي[(٢)]، والألوسي[(٣)]، والقاسمي[(٤)].

ووجه تسميتها بهذا الاسم هو وروده فيها، وهي مختصة به؛ حيث لم يقع في غيرها من القرآن[(٥)].

الاسم الخامس: سورة الأبرار.

سماها بهذا الاسم الطبرسي[(٦)]، وذكره الألوسي[(٧)]، والقاسمي[(٨)].

ووجه تسميتها بهذا الاسم هو ذكر نعيم الأبرار فيها، ولكنها لا تختص بهذا اللفظ، حيث وقع في عدد من السور[(٩)].

(١) انظر: حاشيته على أنوار التنزيل (٨/ ٢٨٤).

(٢) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٢٠).

(٣) انظر: روح المعاني، للآلوسي (١٥/ ١٦٦).

(٤) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٣٧٣).

(٥) انظر: حاشية الشهاب على أنوار التنزيل (٨/ ٢٨٤).

(٦) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن (١٠/ ١٥٧).

(٧) انظر: روح المعاني، للآلوسي (١٥/ ١٦٦).

(٨) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٩/ ٣٧٣).

(٩) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة الدوسري (ص: ٥٠١).

المطلب الثالث:

فضائل السورة

ورد في فضلها: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: الم تنزيل السجدة، وهل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّه كان يقرأ في الفجر، يوم الجمعة: الم تنزيل، وهل أتىٰ[٢].

وعنه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يقرأ في الصبح، يوم الجمعة: بالم تنزيل في الركعة الأولىٰ، وفي الثانية: هل أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا[٣].

ومناسبة السورة ليوم الجمعة ظاهرة، ففيه خلق آدم، وفيه دخل الجنة، وفيه تقوم الساعة، وهذه السورة تضمنت ابتداء خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان إلىٰ أن يدخل فريقٌ الجنة وفريقٌ النار.

قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما كان ﷺ يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد، وخلق آدم، ودخول الجنة والنار، وذلك مما كان ويكون في يوم الجمعة، فكان يقرأ في فجرها ما كان ويكون في ذلك اليوم؛ تذكيرًا للأمة بحوادث هذا اليوم»[٤].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٢٠٣).

وهي كذلك من سور المفصَّل التي فُضِّل بها النبي ﷺ، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «أُعطيتُ مكانَ التوراةِ السَّبعَ، ومكانَ الزبورِ المئينَ، ومكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمفصَّل»[1].

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، حديث واثلة بن الأسقع، برقم (١١٠٥)، وعنه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع، برقم (١١٠٥)، والطبراني في الكبير، باب الواو، برقم (١٨٦)، والنحاس في القطع والائتناف، باب ذكر أشياء من فضائل القرآن وفضائل أهله، (ص: ٧)، والطبري في جامع البيان (١/ ٩٦)، وغيرهم من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن أبي المليح الهذلي، عن واثلة رضي الله عنه به، وإسناده حسن؛ لحال عمران، وصححه بمجموع طرقه الألبانيُّ في الصحيحة (٢٣/ ٤٦٩).

المطلب الرابع:
المحور الرئيس للسورة

يدور محور السورة حول تقرير الإنسان وإيقافه علىٰ أصل خلقه ومراحل تكوينه؛ لكيلا يتكبَّر ويتعالىٰ علىٰ غيره، بل عليه أنْ يسلك طريق الشكر لله علىٰ ما أنعم به عليه من النِّعم الجليلة، وليكن متذكِّرًا للغاية التي خلقه لأجلها، وليعلم أنَّ الدنيا دار عملٍ وابتلاءٍ، وأنَّ الآخرة دار جزاءٍ، فمن لم يعمل هنا ندم هناك.

قال ابن الزبير رحمه الله[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ تعريف للإنسان بحاله وابتداء أمره ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه وألا يغالطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية، والاعتناء الإلهي والتكرمة، فيعتقد أنَّه يستوجب ذلك ويستحقه»[(٢)].

وتحدثت السورة كذلك عن جلال الله وعظمته وآثار قدرته، ثم بينت انقسام الناس إلىٰ فريقينِ لا ثالث لهما.

قال الفيروزآبادي: «معظم مقصود السورة: بيان مُدة خِلقة آدم، وهداية الخَلْق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار في دار القرار، وذكر المنَّة علىٰ الرسول ﷺ وأمره

---

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن زبير بن عاصم، الثقفي، العاصمي، الغرناطي، النحوي؛ أبو جعفر، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، من أشهر كتبه: (البرهان في تناسب سور القرآن)، توفي سنة: (٧٠٨). انظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (٤/ ١٨٣)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١/ ٢٩١).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: ١٩٨).

بالصبر، وقيام اللَّيل، والمِنَّة علىٰ الخَلْق بإحكام خَلْقهم، وإضافة كلية المشيئة إلىٰ الله في قوله: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الإنسان: ٣١]»[(١)].

وقال ابن تيمية ﷺ: «تضمنت السُّورة خلق الإنسان وهدايته ومبدأه وتوسطه ونهايته، وتضمنت المبدأ والمعاد والخلق والأمر وهما القدرة والشَّرْع...وفيها ذكر أقسام بني آدم كلهم؛ فإنَّهُم إمَّا أهل شمال وهم الكفَّار، أو أهل يَمِين وهم نوعان: أبرار ومقربون»[(٢)].

فموضوع السورة العام هو: «**الإنسان من العدم إلىٰ الخلق ثم البعث والجزاء**».

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي (١/ ٤٩٣).

(٢) انظر: جامع المسائل، لابن تيمية (١/ ٧٠).

المطلب الخامس:
المناسبات، وتحته مسألتان

المسألة الأولى: مناسبة السورة لما قبلها.

المسألة الثانية: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها.

قال سبحانه في مطلع السورة: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣]، وقال في خاتمتها: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ۝٣١﴾ [الإنسان: ٣٠-٣١]؛ فذكر سبحانه في بداية السورة الشاكر والكفور، وبيَّن في ختامها عاقبة كل منها.

قال السيوطي[(١)] رحمه الله: «بُدِئت بذكر الشاكر والكفور، وخُتِمت به في قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ الآية»[(٢)].

ومن أوجه المناسبة بينهما أيضًا: أنَّه ذكر في فاتحة سورة الإنسان وعيد الكفار في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾، وخُتمت السورة بالوعيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ۝٣١﴾ فتناسب مطلعُها ومقطعُها[(٣)].

(١) هو: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي، ويلقب أيضًا بابن الأسيوطي، ألف نحو ستمائة مؤلف، بين كتاب ضخم ورسالة صغيرة، توفي سنة: (٩١١). انظر: الضوء اللامع (٤/ ٦٥)، وشذرات الذهب (١/ ٧٤)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٣٠١).

(٢) مراصد المطالع، للسيوطي (ص: ٧٦).

(٣) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، للغماري (ص: ١٤٠).

ومن أوجه المناسبة كذلك: أنَّ مطلع السورة فيه حديث عن خلق الإنسان وهدايته، وذلك في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ ثم جاءت الخاتمة للتذكير بنعمة الخلق بوصفها آية دالة علىٰ كمال قدرته تعالىٰ في قوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ [الإنسان: ٢٨].

وهذا الختام يلتئم مع المطلع، ويُصوِّر نهاية الابتلاء الذي خلق الله له الإنسان من نطفة أمشاج، ووهبه السمع والبصر، وهداه السبيل إما إلىٰ جنةٍ وإما إلىٰ نارٍ(١).

(١) انظر: الموسوعة القرآنية خصائص القرآن (١٠/ ٢٨٠).

المبحث الثاني:

مراحل خلق الإنسان وتكوينه، وبيان الحكمة من ذلك، والإنعام عليه بالهداية،

وتحته مطلبان:

المطلب الأول:

مراحل خلق الإنسان وتكوينه:

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾

افتتحت هذه السورة الكريمة بإخبار الله ﷻ عن الإنسان أو تقريره بأنَّه مَرَّ عليه دهرٌ طويلٌ قبل وجوده وهو معدومٌ، بل ليس مذكورًا، فلم يكن آدم وبنوه شيئًا معروفًا ولا مذكورًا لدىٰ مَن تَقدَّمهم من الخليقة من الملائكة والجن، وهذا التقرير موجَّهٌ لمن أنكر البعث والنشور في المقام الأول.

وكأنَّه قيل لهذا الإنسان: هلَّا عرفت حقيقة نفسك وتدبرتها؟ هلَّا رأيت حالتك الأولىٰ وتفطَّنت لها، أم نسيتها وغرَّتك نفسك؟ فتنزع عنك الغرور، وتعترف لخالقك بقدرته علىٰ خلقك وإيجادك من عدم، وتعلم أنَّ الذي أوجدك بعد أن لم تكن؛ قادرٌ علىٰ إحيائك بعد الموت، وهو أيسر عليه، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم: ٢٧] وتقوم بما أناطه بك من دور تقوم به في هذه الحياة علىٰ أكمل وجه وأتمه.

ثم أخبر ﷻ عن سلالة آدم وذريته، وأنَّه بعظمته وقدرته خلقهم علىٰ مراحل، وتبدأ هذه المراحل من النطفة وهي الماء المهين المحتقر، ثم تستقر في رحم المرأة فتلتقي بالبويضة وتختلط بها فتصبح أمشاجًا، ثم يكمُل خلقه ويصير إنسانًا سويًّا.

المطلب الثاني:

بيان الحكمة من خلق الإنسان، وإنعام الله عليه بالهداية والإرشاد:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

وبعد أنِ امتنَّ علىٰ عباده بإيجاده لهم من العدم؛ بيَّن أنه لم يخلقهم سُدًىٰ، ولم يتركهم هملًا، وإنما خلقهم لغاية عظيمة يريدها، وحكمة جليلة يعلمها سبحانه وتعالى، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦].

وقد بيَّن الله تعالىٰ في آيات كثيرة من كتابه العزيز تلك الغاية، وأوقف الخلق علىٰ مقاصد إيجادهم، وعلة خلقهم، وأعلىٰ هذه المقاصد وأسماها: عبادة الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فعبادة الله سبحانه هي الغاية العظمىٰ من خلق الإنسان، فما خُلِقَ إلا للاستجابة لمولاه وخالقه، والإذعان والانقياد له جل جلاله.

ومن تلك المقاصد: الابتلاء، وهو تابعٌ للغاية العظمىٰ من الخلق وهي العبادة، فأمْر اللهِ لعباده بطاعته والاستسلام لأمره، واجتناب نهيه؛ بمثابة الامتحان والاختبار لهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

ولما بيَّن بعض مراحل خلقه والحكمة منها؛ أعطاه جميع ما يحتاج إليه عند الابتلاء والاختبار، وهو السمع والبصر والعقل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ

سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢][1] فجعل له ما يميز به بين الصادق والكاذب، وكلام الخلق وكلام الخالق، والحق والباطل وما أشبهه.

قال ابن عاشور رحمه الله: «وفُرِّع علىٰ خلقه من نطفة أنه جعله سميعًا بصيرًا، وذلك إشارة إلىٰ ما خلقه الله له من الحواسِّ التي كانت أصل تفكيره وتدبيره، ولذلك جاء وصفه بالسميع البصير بصيغة المبالغة، ولم يقل: فجعلناه سامعًا مبصرًا، لأن سمع الإنسان وبصره أكثر تحصيلًا وتمييزًا في المسموعات والمبصرات من سمع وبصر الحيوان، فبالسمع يتلقىٰ الشرائع ودعوة الرسل، وبالبصر ينظر في أدلة وجود الله وبديع صنعه.

وهذا تَخَلُّصٌ إلىٰ ما مَيَّزَ الله به الإنسان من جعله تِجَاه التكليفِ واتباعِ الشرائع، وتلك خصيصة الإنسان التي بها ارتكزت مدنيته وانتظمت جامعاته، ولذلك أُعقِبت هذه الجملة بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ الآيات»[2].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: عرَّفْناه وأرشدناه وبيَّنَّا له طريق الهدىٰ وطريق الضلالة، فإمَّا أن يكون بعد الابتلاء عاملًا بطاعة الله فيكون شاكرًا، وإمَّا أن يختار طريق الغواية فيكون كفورًا.

وفيه إشارة إلىٰ أنَّ هذه الهداية لا تكون ولا تحصل ولا تُنال إلا من الله عز وجل، وهذا كما دلَّ عليه الحديث الإلهي: «يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم»[3].

---

(١) التفسير الكبير، للرازي (٣٠/ ٧٥٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٣٧٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧).

قال الرازي رحمه الله: «السبيل هو الذي يُسلَك من الطريق، فيجوز أنْ يكون المراد بالسبيل هاهنا: سبيل الخير والشر، والنجاة والهلاك، ويكون معنىٰ هديناه أي: عرَّفناه وبيَّنَّا كيفية كل واحدٍ منهما له، كقوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ١٠﴾ [البلد: ١٠]، ويكون السبيل اسمًا للجنس، فلهذا أُفرد لفظُه، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢﴾ [العصر: ٢]، ويجوز أن يكون المراد بالسبيل هو سبيل الهدىٰ؛ لأنها هي الطريقة المعروفة المستحقة لهذا الاسم علىٰ الإطلاق، فأمَّا سبيل الضلالة فإنما هي سبيل بالإضافة، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [الأحزاب: ٦٧] وإنما أضلوهم سبيل الهدىٰ، ومن ذهب إلىٰ هذا جعل معنىٰ قوله: هديناه أي: أرشدناه، وإذا أرشد لسبيل الحق، فقد نبَّه علىٰ تجنُّب ما سواها، فكان اللفظ دليلًا علىٰ الطريقين من هذا الوجه»(١).

وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور -مع اجتماعهما في معنىٰ المبالغة- نفيًا للمبالغة في الشكر وإثباتًا لها في الكفر؛ لأنَّ شكر الله تعالىٰ لا يُؤدَّىٰ؛ فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقَلَّ شكرُه لكثرة النعم عليه، وكثُر كفرُه وإنْ قَلَّ مع الإحسان إليه(٢).

وبعد أن ذكر الله تعالىٰ انقسام الناس إلىٰ مؤمن وكافر؛ ذكر جزاء كل فريقٍ منهم، بإيجاز في جزاء الكافرين، وأنَّه هيَّأ لهم صورًا وألوانًا من العذاب، منها: تقييدهم في السلاسل، وشدَّ أيديهم إلىٰ أعناقهم؛ إمعانًا في تعذيبهم وإهانتهم، ويقاسون مع ذلك حرَّ النار التي تُسَعَّر عليهم، فيكونون حطبًا لها، وتحيط بهم من كل جانب، وهذا من أعظم أنواع الترهيب والتخويف.

---

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٣٠/ ٧٤١).

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٦/ ١٦٤)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ٣٦٠) بنحوه.

المبحث الثالث:
صفات الأبرار وما أعدَّ لهم من جزاء،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
صفات الأبرار.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾

لما ذكر الله تعالىٰ عقوبة الكافرين علىٰ وجه الإيجاز؛ أَتْبعه ذكر نعيم الشاكرين الموحدين علىٰ وجه الإطناب؛ جمعًا بين الترغيب والترهيب؛ فتكون القلوب بين الخوف والرجاء؛ وتأكيدًا لجانب الترغيب؛ فإنَّ النفوس بعد كَسْر الوعيد لها تهتزُّ لأدنىٰ وعْدٍ وأقلِّه، فكيف بأتمِّه وأجلِّه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾[(١)]، أي: الذين برُّوا ربَّهم بطاعتهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وفي التعبير عنهم بالأبرار إشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السَّنيَّة، مع تجديد صفة مدحٍ لهم[(٢)].

ثم ذكر من نعيمهم صفة مشروبهم، وأنَّه يُمزج لهم من شراب عباده المقربين

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٣٦) بتصرف.

(٢) انظر: روح المعاني، للألوسي (١٥/ ١٧٠).

لأنهم مزجوا أعمالهم، ويشربه المقربون صِرْفًا خالصًا كما أخلصوا أعمالهم، ووصفهم بالعبودية لما فيه من التشريف والاختصاص.

ثم ذكر سبحانه من أوصاف الأبرار أنهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ أي: بكل ما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر وهو لم يجب عليهم إلا بإيجابهم علىٰ أنفسهم، كان تعبُّدهم لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة من باب أولىٰ وأحرىٰ.

وإنما وقع منهم هذا ابتغاء مرضاة الله وخوفًا من يوم القيامة، الذي هو شديد الأهوال، عظيم الأحداث، فكان وفاؤهم لاجتلاب الخير، وخوفهم لاجتناب الشر.

ولمَّا كان من خاف شيئًا سعىٰ في الأمن منه بكل ما عساه ينفع فيه، وكان قد ذكر تذرُّعهم بالواجب؛ أَتْبعه المندوب؛ دلالة علىٰ أنهم لا ركون لهم إلىٰ الدنيا ولا وثوق بها، فقد جمعوا إلىٰ كرم الطبع بالوفاء ورقة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفاني؛ فقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ علىٰ حسب ما يتيسر لهم من عالٍ ودُونٍ علىٰ الدوام.

ولما كان الإنسان قد يسمح بما لا يلذ له قال: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: حبه إياه حبًّا هو في غاية المُكْنة منهم والاستعلاء علىٰ قلوبهم؛ لقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] ليُفهم أنهم للفضل أشد بذلًا، ولهذا قال ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم -أي: الصحابة رضي الله عنهم- ولا نَصِيفه»[1] لقلة الموجود إذ ذاك وكثرته بعد، ﴿مِسۡكِينًا﴾ أي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا) (٥/٨) برقم: (٣٦٧٣)، ومسلمٌ في صحيحه (كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم) (٤/١٩٦٧) برقم: (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

محتاجًا احتياجًا يسيرًا، فصاحب الاحتياج الكثير أولىٰ ﴿وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وإذا تأملنا وجدنا أنَّ الفَقْد هي الحالة الجامعة بين المسكين واليتيم والأسير؛ فالمسكين فَقَدَ ما ينفقه علىٰ نفسه وعياله، واليتيم فَقَدَ أباه، والأسير فَقَدَ حريته.

ولمَّا كان الإخلاص أمرًا عزيزًا قالوا بلسان حالهم أو مقالهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ أيها المحتاجون ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: لذات الملك الذي استجمع الجلال والإكرام لكونه أمرنا بذلك، وعبَّر به لأنَّ الوجه يستحيا منه ويرجىٰ ويخشىٰ عند رؤيته.

«ولمَّا أثبتوا بهذا الإخلاص؛ حقَّقوه بنفي ما يغير فيه، وفسَّروه لما لا يكون إلا به فقالوا: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ لنا من أعراض الدنيا، ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بشيء من قولٍ ولا فعلٍ، وكأنه اختير هذا المصدر المزيد، كالدخول والخروج والقعود؛ إيماءً إلىٰ أنَّ المنفي ما يتكلف له، وأما مثل المحبة والدعاء فلا، ولو أرادوا شيئًا من ذلك لما كان لله»[(١)].

فالمؤمن يرىٰ أنَّ عمله لله؛ لأنَّه إياه يعبد، وأنَّه بالله؛ لأنَّه إياه يستعين، فلا يطلب ممن أحسن إليه جزاءً ولا شكورًا؛ لأنَّه إنما عمل له ما عمل لله، والإخلاص في الصدقة ألا يسأل عوضها دعاء من المُعطَىٰ، ولا يرجو بركته وخاطره ولا غير ذلك من الأقوال[(٢)].

◆ ◆ ◆

(١) أي: لما كان خالصًا لله. انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٣٨).

(٢) انظر: الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٥/ ٤٣٤).

المطلب الثاني:

ما أعد لهم من جزاء.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا
تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦
وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ
إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ
وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾

في هذه الآيات وبعد أن أخبر الله عن الأبرار وصفاتهم وأعظمها الإخلاص له ﷻ؛ أخبر سبحانه بأنه وقاهم شرَّ ما يخافونه، ولقَّاهم فوق ما كانوا يأملونه.

ولـمَّا كان في الصبر من حبس النَّفس، والخشونة التي تلحق الظاهر والباطن من التعب والنصب والحرارة ما فيه؛ كان الجزاء عليه: بالجنة التي فيها السعة والحرير الذي فيه اللين والنعومة والاتكاء الذي يتضمن الراحة والظلال المنافية للحر(١).

ولـمَّا ذكر أنَّه كفاهم المخوف وحباهم الجنة؛ أشار سبحانه إلىٰ مسكنهم الذي ينعمون بالإقامة الخالدة فيه، ثم شرع بتفصيل ما يكون في هذا المسكن وما يتعلق به من ترفُّه في الجلوس والاتكاء، واعتدال الجو، ودنوِّ الظلال، وتذليل القطوف، وهذا من تمام الإنعام والتكريم.

(١) انظر: جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ٧٣).

ومن كمال الإنعام والتكريم كذلك الترفُّه في الآنية؛ لذلك جاء وصفها بأحسن الأوصاف وأفخمها لمناسبة مقام التفخيم والتكريم.

قال الرازي رحمه الله: «منتهىٰ مراد الرجل في الآنية التي يشرب منها: الصفاء والنقاء والشكل، أما الصفاء فقد ذكره الله تعالىٰ بقوله: ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾، وأما النقاء فقد ذكره بقوله: ﴿مِن فِضَّةٖ﴾ وأما الشكل فقد ذكره بقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾»[(١)].

ولمَّا ذكر عز وجل الآنية التي يُشرب فيها؛ ناسب أن يُذكر بعدها ذلك الشراب فقال: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ۝١٨﴾ أي: يُسقون خمرًا ممزوجًا بالزنجبيل؛ ليصبح طيب الرائحة، لذيذ الطعم، ثم إنهم يشربون من عين عذبة الماء، سهلة الجريان.

ولمَّا ذكر سبحانه أنواع الشراب الذي يُطاف به عليهم؛ كان من المناسب أن يُذكر بعد ذلك الطائفون وصفاتهم، وهم القائمون بخدمة أهل الجنة، ووصفهم بصفاتٍ تناسب مقام الخدمة والترفُّه والاستئناس؛ وهي: صِغَر السن، والخلود، والحسن، والصفاء.

ثم لمَّا وصف أهلَ الجنة وما هم فيه من نعيمٍ، أتبعَ ذلك بما يَدلُّ علىٰ أنَّ في الجنة من تلك المقامات ما هو أعظمُ وأفخمُ، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ أي: إذا نظرتَ في الجنة رأيتَ من النعيم والملك الواسع ما لا يحيطُ به الوصفُ ولا يتخيَّله العقلُ، وهو تصويرٌ بليغٌ في غاية الحسن والتناسق، وفيه من التشويق والترغيب فيما يُوصِل إلىٰ تلك المقامات ما لا يَخفىٰ[(٢)].

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٣٠/ ٧٥٢).

(٢) انظر: التناسق الموضوعي بين سورة القيامة والإنسان، لمحمد المبارك (ص: ١٦٣).

ثم لمَّا فرغ من ذكر مساكنهم وآنيتهم وشرابهم والقائمين علىٰ خدمتهم؛ ناسب إتباع ذلك ذكر لباسهم فقال: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾ أي: إنَّ لباس أهل الجنة الحرير، ومنه السندسُ، ويُطلقُ علىٰ رقيق الديباج مما يلي البدنَ، والإستبرقُ: ويطلَقُ علىٰ غليظ الديباج مما لا يلي البدنَ من اللباس.

ثم أتبعه بذكر الحُلِيِّ في قوله: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾، وهذا من كمال التنعُّم والترفُّه.

ثم ختم سبحانه أصناف النعيم بأعلىٰ المقامات وأسمىٰ التكريمات؛ وهو إسناد السَقي إليه ﷻ، فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ وهو شرابٌ أشرف وأعلىٰ من الشَّرابَين الممزوجين بالكافور والزنجبيل.

وترتيبُ أنواع الشراب في الذِّكر موافقٌ لترتيبها في الدرجاتِ والمقاماتِ، فقد بدأ بالشراب الممزوج بالكافور، وأتبعه بالشراب الممزوج بالزنجبيل، ثم ختمَها بذكر الشراب الطهور.

وكذلك تَتفاوتُ درجاتُه من حيث الساقي؛ فالشرابُ الأولُ يَشربونه بأنفسهم، والثاني من الولدان المخلَّدين، والثالث من رب العزة والجلال.

ولمَّا اكتمل تصوير مشاهد النعيم في أتم صورة وأبهاها؛ خاطب الفائزين بهذا النعيم خطابًا فيه معنىٰ التهنئة والشكر فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ أي: ويقال لهم ذلك بعد دخولهم الجنة ومشاهدة ما أُعِدَّ لهم(١).

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ١٦٣).

المبحث الرابع:

تثبيت النبي ﷺ، ووصف طريق الهداية وتوجيه المؤمنين، والتحذير من طريق الغواية ووعيدٌ وتهديدٌ للمشركين،

وتحته مطلبان:

المطلب الأول:

تثبيت النبي ﷺ، ووصف طريق الهداية وتوجيه المؤمنين:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾﴾

لما ختم الله تعالىٰ نعيم الأبرار بالشراب الطهور الذي من شأنه أن تحيا به الأرض الموات؛ أتبعه ذِكْرَ ما تحيا به القلوب، وتسعد به الأرواح، وتشرف به النفوس فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ أي: نزَّلناه عليك ولم تأت به من عندك كما يدَّعيه المشركون[١]، مُفرَّقًا مُنجَّمًا للتدرج في دعوتهم، ودفع شبهاتهم، فضلًا عن تثبيت فؤادك، كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

وفي هذا الخطاب تشريفٌ وإيناسٌ للنبي ﷺ، وربطٌ علىٰ قلبه، وشرحٌ لصدره، وتحقيق أنَّ المنزَّل عليه أمر حقٍّ ووعد صدقٍ، ودفعٌ لما قد يلحقه من

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٤٢٦).

آثار الغمِّ علىٰ تصلُّب قومه في كفرهم وتكذيبهم بما أُنزل عليه، ورميهم له بالسحر والكهانة وغير ذلك مما شأنه أن يُوهن العزيمة، فذكَّره الله ﷻ بأنَّه نزَّل عليه الكتاب لئلا يعبأ بتكذيبهم[(١)].

فلما اطمأنت نفسُه ﷺ وقويت عزيمتُه؛ ناسب أنْ يعقب ذلك بالحث علىٰ الصبر، والنَّهي عن مطاوعة المشركين في إغرائهم وتهديدهم فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ القدري فلا تسخطه، ولحكمه الديني فامضِ عليه، ولا يعوقك عنه عائق.

﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ لأنَّ طاعتهم لا تكون إلا في معصية الله، فإنَّهم لا يأمرون إلا بما تهواه أنفسهم[(٢)]، والمقصود من هذا النهي تأييسهم من استجابته لهم حين يقرأ عليهم هذه الآية؛ لأنهم يحسبون أنَّ ما عرضوه عليه سيكون صارفًا له عما هو قائم به من الدعوة إذ هم بُعداء عن إدراك ماهية الرسالة ونزاهة الرسول[(٣)]، وفي هذا منهج عمليٌّ للدعاة إلىٰ الله ﷻ يسيرون عليه ويهتدون به في طريق دعوتهم.

والفرق بين الآثم والكفور أنَّ الآثم هو المقدم علىٰ المعاصي أي معصية كانت، والكفور هو الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، وليس كل آثم كفورًا[(٤)].

ولمَّا حثَّ سبحانه علىٰ الصبر والثبات علىٰ الحق، ونهىٰ عن مطاوعة الكافرين؛ أتبعه الأمر بذِكر ما يوصلهم إلىٰ الله ويعينهم ويساعدهم علىٰ ذلك من

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٤٠٢) بتصرف يسير.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٩٠١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٤٠٣).

(٤) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٣٠/ ٢٥٩).

الإكثار من الذِّكر والعبادة فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾ [الإنسان: ٢٥] وهذا شامل لجميع النهار، أوله وآخره، والأمر بالذِّكر فيهما يشمل الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النَّوافل، ويشمل كذلك تبليغ الدعوة والموعظة.

ولمَّا ذكر طرفي النهار في هذه الآية ظرفًا للأمر بالذِّكر؛ أردفه بجعل الليل ظرفًا للأمر بالسجود والتسبيح، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ [الإنسان: ٢٦][(١)].

ونظير هذه الآيات في دلالتها قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾ [العلق: ١٩] ففيهما تعريضٌ بكمال بُعْد الكافر عن ربِّه ﷻ، وأنَّ قُرْب المؤمن منه إنما يكون علىٰ حسب قيامه بطاعة مولاه من صلاةٍ وذكرٍ وتسبيحٍ، قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[(٢)].

قال الطيبي رحمه الله: «والأقرب من حيث النَّظم: أنَّه تعالىٰ لما نهىٰ حبيبه صلوات الله عليه عن طاعة الآثم والكفور، وحثَّه علىٰ الصبر علىٰ أذاهم وإفراطهم في العداوة، وأراد أن يرشده إلىٰ مشاركتهم؛ عقب ذلك الأمر باستغراق أوقاته بالاشتغال بالعبادة ليلًا ونهارًا، بالصلوات كلها من غير تخصيص، وبالتسبيح لما يطيق عليه، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨]»[(٣)].

---

(١) انظر: التناسق الموضوعي بين سورة القيامة والإنسان، لمحمد المبارك (ص: ١٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: فتوح الغيب، للطيبي (١٦/ ٢١٣).

المطلب الثاني:

التحذير من طريق الغواية ووعيدٌ وتهديدٌ للمشركين:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

في مطلع هذه الآيات أخبر ﷻ عما يمنع العباد من إيثار ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة وهو حب العاجلة واطمئنانهم لها وإيثارها علىٰ الآخرة، فلا يستعدون لها ولا يعبؤون بها، فهم كمن ينبذ الشيء وراء ظهره تهاونًا به واستخفافًا بشأنه، وإن كانوا في الحقيقة مستقبلين له وهو أمامهم[(١)].

وفي قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ إشارة إلىٰ أنَّ من طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا لله، وتحمَّل لأجله المشاقَّ في مرضاته وطاعته؛ خفَّ عليه الوقوف ذلك اليوم وسهُل عليه، وإنْ آثر الراحة هنا والدَّعة والبطالة والنعمة؛ طال عليه الوقوف هناك ذلك اليوم، واشتدت مشقته عليه، فمن سَبَّح الله ليلًا طويلًا لم يكن ذلك اليوم ثقيلًا عليه، بل كان أخفَّ شيء عليه[(٢)].

وفي إيثار ذكر الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذَّمِّ؛ لأنَّ وصف العاجلة يؤذن بأنهم آثروها لأنها عاجلة، وفي ذلك تعريض بحماقتهم إذ رضوا بالدُّون

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٤٢٧).

(٢) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (١/ ٧١).

لأنَّه عاجل، وليس ذلك من شِيَمِ أهل التبصر، فقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ واقعٌ موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم؛ لأنهم لو أحبوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين، قال تعالىٰ حكاية لقول الناصحين لقارون: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وهذا نظير قوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم: ٧] إذ كان مناط الذم فيه هو أنْ قَصَرُوا أنفسهم علىٰ علم أمور الدنيا مع الإعراض عن العلم بالآخرة، ومثلوا بحال من يترك شيئًا وراءه فهو لا يسعىٰ إليه وإنما يسعىٰ إلىٰ ما بين يديه، وإنما أعرضوا عنه لأنهم لا يؤمنون بحلوله فكيف يسعون إليه[(١)].

ولما كان تركهم لليوم الثقيل علىٰ وجه التكذيب الذي هو أقبح الترك، وكان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه قال دالًّا علىٰ الإعادة بالابتداء من باب الأولىٰ: ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾[(٢)] أي: أوجدناهم من العدم وأحكمنا خلقتهم بالأعصاب والعروق والأوتار والقوىٰ الظاهرة والباطنة، حتىٰ تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم علىٰ هذه الحالة، قادرٌ علىٰ أنْ يُعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار إلىٰ هذه الأطوار، لا يليق به أن يتركهم سُدًىٰ، لا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: ﴿بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾ أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرىٰ، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم[(٣)].

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٤٠٨).

(٢) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢١/ ١٥٨).

(٣) انظر: تيسر الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٩٠٣).

ولمَّا أقام الله عليهم الحجة بما لا سبيل لهم إلىٰ دفعه؛ وعظهم وعظًا بعد وعظٍ، وإرشادًا بعد إرشاد؛ فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾ أي: فمن شاء اتخذ إلىٰ رضىٰ ربه طريقًا بالعمل إلىٰ طاعته والانتهاء عما نهىٰ عنه[1].

ثم بيَّن سبحانه أنه لا يقدر أحدٌ أنْ يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان ولا يُجْرِ لنفسه نفعًا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ أي: عليمٌ بمن يستحق الهداية فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدىٰ، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾[2].

ثم أخبر أنَّه يدخل من يشاء من عباده في رحمته ورضوانه وهم المؤمنون، وأعدَّ للظالمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا.

(١) انظر: تفسير ابن فورك (٣/ ١١٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٩٥).

المبحث الخامس:

الفوائد والهدايات المستنبطة من السورة

- ارتفاع ذِكر الإنسان إنَّما يكون باتباع طريق الهداية، والبعد عن طريق الضلالة والغواية.

- من عرف ابتداء أمره وفضلَ الله عليه في خلقه؛ أقرَّ بالعبودية لربه، ولم يعرف طريقًا للكبر والجحود[(١)].

- الشكر إلهامٌ وتوفيقٌ من الله ﷻ، فلا يُوفق له إلا مَن هُدي له وأُعين عليه.

- محبة المساكين توجب إخلاص العمل لله ﷻ، لأنَّ الإحسان إليهم لا يكون إلا له؛ لأنَّ نفعهم في الدنيا لا يرجىٰ غالبًا[(٢)].

- التنبيه علىٰ فضل المواساة، ومن أفضل المواساة وضعها في المسكين واليتيم والأسير.

- إذا سُرَّ القلب استنار الوجه[(٣)]، وقد جمع الله لأوليائه بين نضرة الوجوه وسعادة القلوب.

- أنَّ الله ﷻ لا يجمع علىٰ عبده خوفين؛ فمن خافه في الدنيا أمَّنه يوم القيامة.

---

(١) انظر: تدبر المفصل (ص: ٧٣).

(٢) انظر: اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ، لابن رجب (ص: ١٠٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢١١).

- الجزاء من جنس العمل.

- طاعة الله، واجتناب محارمه، والدعوة لسبيله، واحتمال الأذىٰ؛ يورث الجنان ونعيمها.

- من أسباب الفوز والفلاح الإخلاص لله ﷻ في كل أمر.

- المبادرون إلىٰ فعل الخيرات في الدنيا، هم الفائزون بنعيم الجنان في الآخرة، فإنَّ السَّبق هناك علىٰ قدر السبق في الدنيا.

- استمداد العون من الله تعالىٰ والتوكل عليه، والإكثار من عبادته وإقامة شعائر دينه في أوقاتها المحددة أعظم عون علىٰ تحمل المصاعب والمشاقِّ.

- الحرص علىٰ الوقت واستغلاله فيما ينفع في الدين والدنيا؛ يعود علىٰ المرء بالفوز بالنعيم الأبدي.

- كمال قدرة الله ﷻ؛ فلا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يقع في ملكه إلا ما شاءه وأراده.

- الإعلان بأن القرآن تذكرة وعظة لجميع البشر، وندبهم إلىٰ الإيمان به والعمل بما جاء فيه(١).

- حرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.

- من أراد أن يكون في سلك الشاكرين المتقين فليتخذ سبيل الإيمان والتقوىٰ مَركبًا يبلغ به رضىٰ رب العالمين.

- مشيئة الله ﷻ فوق كل مشيئة.

(١) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢٩/ ٢٨٠).

الخاتمة

الحمد لله الكبير المتعال، ذي الطول والإنعام، له الفضل وحده في مبدأ هذا البحث وكذا الختام، وبعد:

ففي نهاية هذه الرحلة الماتعة في رحاب هذه السورة المباركة؛ توصلت إلىٰ عدة نتائج، **من أهمها:**

- أهمية العناية بالدراسات الموضوعية، سواء كانت للسور أو الآيات، فإنَّها طريق موصلٌ إلىٰ تدبر كتاب الله ﷻ حقَّ التدبر.

- أنَّ التفسير الموضوعي يعطي مجالًا رَحْبًا لأصحاب التخصصات الأخرىٰ لكي يُبدعوا في مجالاتهم، وتعود الفائدة علىٰ هذه الأمة.

- بروز الوحدة الموضوعية للسورة والتي تدور حول تقرير الإنسان وإيقافه علىٰ أصل خلقه ومراحل تكوينه؛ لكيلا يتكبر ويتعالىٰ علىٰ غيره، بل عليه أنْ يسلك طريق الشكر لله علىٰ ما أنعم به عليه من النِّعم الجليلة.

- براعة الاستهلال في هذه السورة الكريمة بتقرير الإنسان بأصله ومادته التي خُلق منها بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، وارتباطها العظيم بمقاصد السورة.

- أنَّ القرآن الكريم اتخذ منهجًا فريدًا في تربية الإنسان، وهذا المنهج يقوم علىٰ أُسسٍ مبنية علىٰ توجيه الخطاب له، والجمع بين الترغيب والترهيب.

- اختصاصُ السورة بعدة أمور؛ منها: الإسهاب في وصف أحوال أهل

الجنة وما هم فيه من نعيم، وبيانُ أنواع شرابهم فيها، والانفراد ببعض الألفاظ منها السلسبيل، والزنجبيل، والقمطرير.

- ترتيب الجزاء الحَسَن والنَّعيم المقيم علىٰ الصبر بأنواعه؛ علىٰ الطاعة، وعن المعصية، وعلىٰ أقدار الله ﷻ.

- أنَّ الله لا يجمع علىٰ عباده خوفين، ولا يجمع لهم أمنين؛ فمن خافه في الدنيا أمَّنَه يوم القيامة، ومن أمِنَه في الدنيا خوَّفه يوم القيامة.

- أنَّ الدنيا دار عملٍ وابتلاءٍ، وأنَّ الآخرة دار حسابٍ وجزاءٍ، فمن لم يعمل هنا ندم هناك.

- أنَّ من طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا لله، وتحمَّل لأجله المشاقَّ في مرضاته وطاعته؛ خفَّ عليه الوقوف يوم القيامة وسهُل عليه.

- رسمت السورة منهجًا عمليًّا للدعاة إلىٰ الله ﷻ يسيرون عليه ويهتدون به في طريق دعوتهم.

- اشتملت السورة علىٰ جملة من الهدايات والفوائد والاستنباطات، وقد ذُكرت في أواخر المباحث الموضوعية للسورة.

- من أهم نتائج مثل هذه الدراسات؛ تدبر القرآن، وتزكية النفوس، والحث علىٰ العمل بالقرآن والانتفاع به.

◆ ومن أهم ما يوصي به الباحث:

- أنصح الباحثين بالعناية بالموضوعات القرآنية؛ لكونها ترتبط بكتاب الله تعالىٰ أولًا، ثم هي موضوعات مهمة تعالج قضايا وأمورًا واقعية تتعلق بالإنسان، وتمثل تفسيرًا موضوعيًّا لكتاب الله تعالىٰ.

ثبت المصادر والمراجع

١- **اجتماع الجيوش الإسلامية**. ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. تحقيق: زائد بن أحمد النشيري. ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٣١هـ.

٢- **أحكام القرآن**. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣- **اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ**. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. تحقيق: جسم الفهيد الدوسري. ط١، الكويت: مكتبة دار الأقصىٰ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٤- **الأعلام**. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي. ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٥- **إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة**. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. ط١، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤٢٤هـ.

٦- **البحر المحيط في التفسير**. أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧- **البرهان في تناسب سور القرآن**. الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي. تحقيق: محمد شعباني. د.ط، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٨- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. تحقيق: محمد علي النجار. د.ط، القاهرة: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية

- لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

٩- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط، لبنان: المكتبة العصرية، د.ت.

١٠- **البيان في عدِّ آي القرآن**. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر. تحقيق: غانم قدوري الحمد. ط١، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١١- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

١٢- **التحرير والتنوير**. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٣- **تدبر المفصل، هدايات تدبرية تخاطب الفكر وتحرك العقل وتحفز للعمل**. إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر للدراسات والاستشارات. ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١٤- **تذكرة الحفاظ**. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٥- **تفسير ابن فورك**. ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن. ط١، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٦- **تفسير القرآن العظيم**. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط٣، السعودية: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤١٩هـ.

١٧- **تفسير القرآن العظيم**. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨- **تفسير القرآن**. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزىٰ السمعاني

التميمي. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط١، السعودية: دار الوطن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩- **التفسير الكبير**. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢٠- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. الزحيلي، وهبة بن مصطفىٰ. ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٤١٨ هـ.

٢١- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٢- **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**. الغماري، أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الحسني. د.ط، مكتبة القاهرة، د.ت.

٢٣- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**. المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي الأصل، الدمشقي. د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

٢٤- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. تحقيق: مراقبة محمد عبد المعيد ضان. ط٢، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٢٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٦- **زاد المعاد في هدي خير العباد**. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. ط٢٧، الكويت-بيروت: مؤسسة الرسالة-مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٧- **سلم الوصول إلىٰ طبقات الفحول**. مصطفىٰ بن عبد الله القسطنطيني العثماني، المعروف

بـ (كاتب جلبي) وبـ (حاجي خليفة). تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط. د.ط، تركيا: مكتبة إرسيكا، ٢٠١٠م.

٢٨- **سير أعلام النبلاء**. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٩- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي. تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. ط١، بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٠- **صحيح البخاري**. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.

٣١- **صحيح مسلم**. أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣٢- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي. د.ط، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

٣٣- **طبقات المفسرين**. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة. د .ط، د.ت.

٣٤- **طبقات المفسرين**. الأدرني، أحمد بن محمد. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. ط١، السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٥- **طبقات المفسرين**. الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٣٦- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين

القمي. تحقيق: زكريا عميرات. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

٣٧- **غريب القرآن**. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. تحقيق: أحمد صقر. د.ط، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٨- **الفتاوىٰ الكبرىٰ**. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٩- **فتح القدير**. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. دمشق-بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، د.ط، ١٤١٤هـ.

٤٠- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م.

٤١- **مجمع البيان في تفسير القرآن**. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. ط١، بيروت: دار المرتضىٰ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٢- **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر. ط١، السعودية: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

٤٣- **مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور**. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. ط١، السعودية: مكتبة المعارف، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م.

٤٤- **معجم الأدباء**. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي. تحقيق: إحسان عباس. ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م.

٤٥- **المعجم الكبير**. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م.

٤٦- **المكي والمدني في القرآن الكريم**. الشايع، محمد بن عبد الرحمن. ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٧- **المكي والمدني من السور والآيات، من أول سورة الكهف إلىٰ آخر سورة الناس**. الفالح، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله. ط١، د.ن، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٤٨- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**. ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط١، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٩- **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**. جعفر شرف الدين. تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي. ط١، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

٥٠- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

٥١- **النكت والعيون**. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٢- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي. تحقيق: إحسان عباس. د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

References and Sources

1. The Gathering of the Islamic Armies, Ibn Al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayoub bin Saad Shams Al-Din, verification: Zaid ibn Ahmed Al-Nashiri. 1st edition , Dar Alam Al-Fawad, Makkah Al-Mukarramah Library, 1431 AH.
2. Ahkam al-Qur'an, ibn al-Arabi, Judge Muhammad ibn Abdullah Abu Bakr al-Ma'afari al-Ishbili al-Maliki, reviewed its origins and extracted its hadiths and commented on it: Muhammad Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1424 AH - 2003 AD.
3. Choosing the premier in the explanation of the hadith of the Quarrel of the Supreme Council, Ibn Rajab, Zain al-Din Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn Rajab ibn al-Hasan, verification: Jasm al-Fahid al-Dosari, 1st edition, Kuwait: Dar al-Aqsa Library, 1406 AH-1985 AD.
4. Al-Alam, Al-Zarkali, Khair Al-Din Bin Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris, Al-Zarkali Al-Dimashqi, 15th Edition, Dar Al-Ilm for Millions, 2002 AD.
5. Attention to the narrators on the intelligents of the grammarians, Al-Qafti, Jamal Al-Din Abu Al-Hassan Ali ibn Youssef, 1st edition, Beirut, Racism Library, 1424 AH.
6. The Ocean in Interpretation, Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi, verification : Sidqi Muhammad Jamil, , Beirut: Dar Al-Fikr, 1414 AH - 1994 AD.
7. The proof in the proportionality of the surahs of the Qur'an, Al-Gharnati, Abu Jaafar Ahmed ibn Ibrahim ibn Al-Zubair Al-Thaqafi, verification : Muhammad Shabani, Morocco: Ministry of Endowments and Islamic Affairs 1410 AH-1990 AD.
8. Insights for People of distinguish in the Sects of the Dear Book, Al-Fayrouzabadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad ibn Yaqoub, investigation:

Muhammad Ali Al-Najjar, Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage,.

9. Inquisition of Consciousness in the Layers of Linguists and Grammarians, Al-Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr, Jalal Al-Din, verification : Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Lebanon: Al-Maqtabah Al-Asriyya,

10. The Declaration in Counting the Verses of the Qur'an, Al-Dani , Abu Amr Othman ibn Saeed ibn Othman ibn Omar, verification : Ghanem Qaddouri Al-Hamad, 1st edition, Kuwait: Center for Manuscripts and Heritage 1414 AH - 1994 AD.

11. The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Known people , Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmed ibn Othman ibn Qaymaz, verification : Dr. Bashar Awad Maarouf, 1st edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2003 AD.

12. Liberation and Enlightenment, Ibn Ashour, Muhammad al-Taher ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tahir ibn Ashour al-Tunisi, d.T, Tunis: Tunisian Publishing House, 1984 AH.

13. Managing the joint, management gifts that address the mind, move the mind and motivate work, Scientific Committee, 1st Edition, Tadbir Center for Studies and Consultations, 1437 AH-2016 AD.

14. The Preservation Reminding , Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmed ibn Othman ibn Qaymaz, 1st Edition, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1419 AH - 1998 AD.

15. Interpretation of Ibn Forak, Ibn Forak, Abu Bakr Muhammad ibn Al-Hassan, 1st Edition, Kingdom of Saudi Arabia, Umm Al-Qura University, 1430 AH-2009AD.

16. Interpretation of the Great Qur'an, Ibn Abi Hatim, Abu Muhammad Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Idris ibn al-Mundhir al-Tamimi, al-Handali, al-Razi, investigation: Asaad Muhammad al-Tayyib, 3rd edition, Saudi Arabia: Nizar Mustafa al-Baz Library 1419 AH.

17. Interpretation of the Great Qur'an, Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail ibn Omar ibn Kathir Al-Qurashi, investigation: Sami ibn Muhammad Salama, 2nd edition, Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1420 AH-1999 AD.

18. Interpretation of the Qur'an, Al-Samani, Abu Al-Muzaffar Mansour ibn Muhammad ibn Abdul-Jabbar Al-Marwazi Al-Samani Al-Tamimi, verification : Yasser ibn Ibrahim and Ghunaim ibn Abbas ibn Ghunaim, 1st edition, Saudi Arabia: Dar Al-Watan, 1418 AH - 1997 AD.

19. Al-Tafsir Al-Kabeer, Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn Omar ibn Al-Hassan ibn Al-Hussein Al-Taymi, 3rd Edition, Beirut: House of Revival of Arab Heritage 1420 AH.

20. Al-Tafsir al-Munir fi al-Aqeedah, Sharia wa Al-Manhag , al-Zuhaili, and Heba ibn Mustafa, 2nd Edition, Damascus: Dar al-Fikr 1418 AH.

21- Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Mannan, Al-Saadi, Abdul Rahman ibn Nasser ibn Abdullah, verification : Abdul Rahman ibn Mualla Al-Luhaiq, 1st Edition, Al-Resala Foundation, 1420 AH-2000AD.

22. Jawaher Al-Bayan fi Tanasob Sowar Al-Qur'an, Al-Ghamari, Abu Al-Fadl Abdullah Muhammad Al-Siddiq Al-Hasani, d.T., Cairo Library,

23. Summary of Impact on Notables of the Eleventh Century, Al-Mohabi, Muhammad Amin ibn Fadlallah ibn Muhib Al-Din ibn Muhammad Al-Hamwi, the origin, Al-Dimashqi, , Beirut, Dar Sader,

24. Al-Dorar Al-Kamenah fi Aaian Al-maah Al-thamenah, Ibn Hajar Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmed ibn Ali ibn Muhammad ibn Ahmed, verification : Moraqibat Muhammad Abdul-Mu`id Dan, 2nd Edition, India: Council of the Ottoman Department of Knowledge 1392 AH - 1972 AD.

25. The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, Al-Alusi, Shihab Al-Din Mahmoud ibn Abdullah Al-Husseini, investigation: Ali Abdel-Bari Attia, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya 1415 AH.

26. Zad al-Ma'ad fi Hadi KhairAl-Ebad, Ibn Qayyim al-Jawziyya, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayoub ibn Saad Shams al-Din, 27th edition, Kuwait - Beirut: Al-Risala Foundation - Al-Manar Islamic Library, 1415 AH-1994AD.

27. Sollam Al-wosol Ela Tabacat Al-fohol , Mustafa bin Abdullah Al-Qustantini Al-Othmani, known as (Kateb Chalabi) and (Haji Khalifa), verification : Mahmoud Abdel Qader Al-Arnaout, , Turkey, Ircica Library, 2010 AD.

28. Biography of the Nobles, Al-Dhahabi, Shams Al-Din Abu Abdullah

Muhammad ibn Ahmed bin Othman ibn Qaymaz, verification : a group of verifications under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 3rd edition, Beirut: Al-Resala Foundation, 1405 AH-1985 AD.

29. Shatharat Al-Dahab fi Akhbar min Dahab, Ibn al-Imad, Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad ibn al-Imad al-Akri al-Hanbali, Abu al-Falah, verification: Mahmoud al-Arnaout, his hadiths came out: Abd al-Qadir al-Arna`ut, 1, Beirut: Dar Ibn Katheer, 1406 AH-1986 AD.

30. Sahih Al-Bukhari, Al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail Abi Abdullah Al-Jaafi, verification: Muhammad Zuhair ibn Nasser Al-Nasser, 1st edition, Dar Touq Al-Najat 1422 AH.

31. Sahih Muslim, Muslim ibn Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi, verification : Muhammad Fouad Abdel-Baqi., Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

32. The Brilliant Light of the Ninth Century, Al-Sakhawi, Shams Al-Din Abu Al-Khair Muhammad ibn Abdul-Rahman ibn Muhammad ibn Abi Bakr ibn Othman ibn Muhammad Al-Sakhawi, Beirut: Life Library publications.

33. Tabaqat Al-Mofaserin, al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, verification : Ali Muhammad Omar, Cairo: Wahba Library.

34. Tabaqat Al-Mofaserin, al-Adrany, Ahmed ibn Muhammad, verification: Suleiman ibn Saleh al-Khazi, 1st edition, Saudi Arabia, Library of Science and Judgment, 1417 AH - 1997 AD.

35. Tabaqat Al-Mofaserin, al-Dawudi, Muhammad ibn Ali ibn Ahmed, Shams al-Din al-Maliki, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

36. Gharaip Al-Qur'an and Raghaib Al-Furqan, Al-Nisaburi, Nizam Al-Din Al-Hassan ibn Muhammad ibn Hussein Al-Qummi, verification : Zakaria Omairat, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1416 AH.

37. Gharib Al-Qur'an, Ibn Qutayba, Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim Al-Dinuri, verification : Ahmed Saqr, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1398 AH - 1978 AD.

38. The Great Fatwas, Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad al-Harani al-Hanbali al-Dimashqi, 1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-

Ilmiyya 1408 AH - 1987 AD.

39. Fath al-Qadir, al-Shawkani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad ibn Abdullah al-Yamani, Damascus - Beirut: Dar Ibn Katheer, Dar al-Kalam al-Tayyib, 1414 AH.

40. Revealing and clarifying the interpretation of the Qur'an, Al-Tha'labi, Ahmed ibn Muhammad ibn Ibrahim, Abu Ishaq, verification : Imam Abi Muhammad ibn Ashour, review and proofreading: Professor Nazeer Al-Saadi, 1st Edition, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, 1422 AH-2002AD.

41. Majma` al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, al-Tabarsi, Abu Ali al-Fadl ibn al-Hassan, 1st edition, Beirut, Dar al-Murtada, 1427 AH-2006 AD.

42. Marased Al-Mutala' fi Tanasop Al-Maqatee wa Al-Mutla', Al-Suyuti, Abdul Rahman ibn Abi Bakr, Jalal Al-Din, read and completed by: Dr. Abdul Mohsen ibn Abdulaziz Al-Askar, 1st Edition, Saudi Arabia: Dar Al-Minhaj Library for Publishing and Distribution, 1426 AH.

43. Masaed Al-Nadar Lelishraf Ala Maqased Al-sowar , Al-Beqa'i, Ibrahim ibn Omar ibn Hassan Al-Rabat ibn Ali ibn Abi Bakr, 1st Edition, Saudi Arabia: Al-Maaref Library, 1408 AH-1987AD.

44. A Dictionary of Writers, Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqout ibn Abdullah Al-Roumi, verification : Ihsan Abbas, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1414 AH-1993AD.

45. The Great Lexicon, Al-Tabarani, Abu Al-Qasim Suleiman ibn Ahmed ibn Ayoub ibn Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, verification : Hamdi ibn Abdul Majeed Al-Salafi, 2nd edition, Arab Heritage Revival House, 1983 AD.

46. Al-Makki and Al-Madani in the Noble Qur'an, Al-Shaya, Muhammad ibn Abdul Rahman, 1st Edition, Riyadh, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1418 AH-1997AD.

47. Al-Makki and Al-Madani from Suras and Verses, from the beginning of Surat Al-Kahf to the end of Surat Al-Nas, Al-Falih, Muhammad ibn Abdul Aziz ibn Abdullah, 1, 1433 AH-2012 AD.

48. Menhaj Al-Sunna Al-Nabaweiah fi Naqd Kalam Al-Sheeiah Al-Qadaryah , Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abi al-Abbas Ahmed ibn Abdul Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad Al-Harani Al-

Hanbali al-Dimashqi, verification : Muhammad Rashad Salem, 1st edition, Saudi Arabia: Imam Muhammad University Ibn Saud Islamic University, 1406 AH - 1986 AD.

49. The Qur'anic Encyclopedia, Characteristics of the Surahs, Al-Tuwaijri, Jaafar Sharaf Al-Din, verification : Abdul Aziz ibn Othman, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Taqreeb Between the Islamic Schools 1420 AH.

50. Nadm Al-Durar fi Tanasop Al-Ayat wa Al-Sowar , Al-Beqa'i, Ibrahim ibn Omar ibn Hassan Al-Rabat ibn Ali ibn Abi Bakr, , Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami,

51. Jokes and Eyes, Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Habib Al-Basri Al-Baghdadi, verification : Mr. Ibn Abdul-Maqsoud ibn Abdul Rahim, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia,

52. Wafeiat Al-Aayan wa Anbaa Abnaa Al-zaman , Ibn Khalkan, Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr Al-Barmaki Al-Erbi, verification : Ihsan Abbas, , Beirut, Dar Sader.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

المِلَّةُ في القُرآنِ الكَرِيمِ، دِرَاسَةٌ في المفهُومِ والأنواعِ

Mullah in the Holy Quran Objective study

أ. مُحَمَّد أكرت بن عَبد القَادِر
Mr. AGUERT MOHAMMED

طالب باحث في سلك الدكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان. المغرب
A research student in the PhD. Faculty of Arts and Humanities. Abdul Malik Al Saadi University. Tetouan. Morocco

قدم للنشر في: ٢٨-٣-١٤٤٣هـ، الموافق ٣-١١-٢٠٢١م
قبل للنشر في: ٢٠-٦-١٤٤٣هـ، الموافق: ٢٣-١-٢٠٢٢م
نشر في: المحرم ١٤٤٤هـ، الموافق: أغسطس ٢٠٢٢م
مدة التحكيم مع قبول النشر: (٨٠ يومًا).
متوسط مدة التحكيم والنشر في المجلة: (١٣٣ يومًا).

- من مواليد مدينة سلا بالمملكة المغربية.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بأطروحته: مفهوم ملة إبراهيم في القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي.
- طالب في سلك الدكتوراه. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان. المغرب.

بعض النتاج العلمي:

١- دراسة كتاب المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، لأبي النصر أحمد بن محمد السمرقندي.
٢- دراسة تحليلية لقاعدة عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وتليها قاعدة نفي الجناح دليل الإباحة.
٣- غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك؛ استعراض للأحداث واستخلاص للدروس والعبر.

البريد الشبكي: Email: aguert123.ma@gmail.com

المُستَخلَص

يتناول البحث موضوعًا مهمًّا في مصطلحات القرآن الكريم التي عليها يتوقف فهمه؛ باعتبار أن القرآن ألفاظ ومصطلحات ومعاني يجب الإحاطة بها علمًا وفهمًا؛ ليتحقق تدبر القرآن الكريم واستنباط أحكامه وحِكَمِه.

ويهدف البحث إلىٰ تحديد مفهوم مصطلح الملَّة في القرآن، وبيان أنواعها كما حددها وبينها القرآن الكريم، من خلال تتبع الآيات التي ورد فيها المصطلح، متَّبعًا في ذلك المنهج الاستقرائي من خلال تتبع الآيات الوارد فيها، والمعاجم التي عرَّفت بها، ومستخدمًا المنهج التحليلي لمحاولة تحليل هذه الآيات، والبحث في كلام العلماء وفهم وتحديد أنواع الملة.

وجاء البحث في مقدمة تحتوي علىٰ موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث، ومبحثين؛ أولهما: تناول تعريف الملَّة في اللغة وفي اصطلاح القرآن. أما الثاني: فتناول الحديث عن أنواع الملة، وتم تقسيمها إلىٰ ثلاثة أنواع؛ النوع الأول: وهي ملة الحق الإسلام. أما النوع الثاني: فملل أهل الكتاب. والنوع الثالث: فملل من لا كتاب لهم. ثم خاتمة تناولت نتائج البحث وآفاقه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الملة، المصطلح، التفسير.

mullah in language and in the term of the Qur'an, while the second dealt with the talk of the types of boredom and was divided into three types, the first type, which is the sect of the right of Islam, the second type is bored of the people of the Book, and the third type is bored of those who do not have a book. Then a conclusion addressed the results and prospects of the research.

Keywords: Qur'an, mullah, term, interpretation

Mullah in the Holy Quran Objective study

AGUERT MOHAMMED

A research student in the PhD. Faculty of Arts and Humanities.

Abdul Malik Al Saadi University. Tetouan. Morocco.

ABSTRACT

The research deals with delving into an important topic that concerns the terms of the Qur'an, on which it depends on its understanding, considering that the Qur'an has words, terms and meanings that must be taken note and understanding in order to achieve the management of the Qur'an and the inference of its provisions and judgments.

The research aims to define the concept of the term mullah in the Qur'an, and to indicate its types as defined by the Qur'an, by tracking the verses in which the term is mentioned, following that inductive approach by tracking the verses contained in the term mullah, and the dictionaries known to it, using the analytical method to try to analyze these verses and research the words of scholars and to understand and identify the types of boredom.

The research was presented in an introduction containing the subject of the research, its objectives, its approach, the research plan, and two researches, the first of which dealt with the definition of

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي خلق فسوَّىٰ، والذي قدَّر فهدىٰ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن فهم مراد الله تعالىٰ يقتضي أمرًا منهجيًا؛ وهو فقه القرآن الكريم والسنة النبوية. أي فهم مفاهيمهما وقضاياهما. وإنَّ من أخطر ما تواجهه الأمة اليوم هو انحراف الناس عن نهج القرآن الكريم والحديث الشريف ومقتضيات ألفاظهما. «ولو أن بني آدم أقاموا المصطلحات، وأتموا الكلمات، ولم يغيروا خلق الله، ودين الله، لما احتاجوا إلىٰ كل هؤلاء الرسل، والأنبياء، والصديقين، والشهداء، لردِّهم إلىٰ الفطرة، بعد أن عبثوا بالأسماء»(١).

◆ أولاً: الهدف العام من البحث:

هذا البحث محاولة (لدراسة مفهوم الملَّة من خلال القرآن الكريم وتحديد أنواعها). وهو موضوع يُركِّز بالأساس علىٰ دراسة مصطلح الملة من خلال القرآن الكريم؛ بهدف الكشف عن معناه وتحديد أنواعه.

◆ ثالثًا: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في تحديد مفهوم الملّة في القرآن الكريم وبيان أنواعها كما حددها القرآن الكريم.

---

(١) قول في المصطلح، د. الشاهد البوشيخي، ضمن مجلة: دراسات مصطلحية، العدد الأول ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، (ص: ٥).

رابعًا: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلىٰ:

-تحديد مفهوم الملة في القرآن الكريم.

-تحديد أنواع الملل التي ذكرها القرآن الكريم.

-إبراز خصائص ملة إبراهيم باعتبارها الملة الحق.

-الكشف خصائص القرآن في حديثه عن الملل الباطلة.

خامسًا: أهمية الموضوع:

تتضح أهمية الموضوع من خلال:

- ارتباطه بكتاب الله ﷻ، والمساهمة في خدمته وتجلية مفاهيمه.

-حديث القرآن المجيد عن الملة وبالخصوص ملة إبراهيم عليه السلام، وأمره تعالىٰ باتباعها يستدعي الاهتمام بهذا المصطلح.

-الحاجة إلىٰ دراسة علمية تقوم علىٰ منهج الدراسة المصطلحية، تُجلّي حقيقة المصطلحات القرآنية وتثبّن مفهومها ودلالاتها كما هي عليه في القرآن الكريم.

-الفهم السليم لألفاظ القرآن المجيد هو السبيل لفهم كلام الله ﷻ والذي يعد المدخل الأساسي لصلاح العمل وسلامته.

سادسًا: الدراسات السابقة:

بذل العلماء جهودًا نفيسة في دراسة مفهوم الملَّة، أبرزها:

جهود المفسرين والمحدِّثين في بيان المراد من لفظ الملَّة في مختلف الآيات والأحاديث، إلا أنها تفتقر إلىٰ دراسة تجمع ما تفرق منها، واستخلاص مفهوم جامع للمصطلح.

جهود المعجميين؛ اللُّغويِّين والاصطلاحيين، كابن فارس في مقاييس اللغة، والراغب في مفرداته، وابن الأثير في نهاية الحديث وغيرها، وهي جهود نفيسة مباركة، لكنها في حاجة إلىٰ المزيد من الإحاطة التامة لمادة (ملل)، والتعرض إلىٰ صفات المصطلح وعلاقاته وضمائمه وقضاياه...

جهود الأصوليين في بيان حقيقة الملة، لكنهم درسوها في قضية واحدة وهي: هل الملَّة تختص بأصول الدِّين أم بالأصول والفروع؟ عند مناقشتهم لمسألة: هل كان النبي ﷺ متعبِّدا بشرع مَن قبله أم لا؟ وهو لا يعدو أن يكون جزءًا من محدَّدات الملة.

بالنسبة للفقهاء تناولوا الحديث عن الملة في بعض أبواب الفقه، كالتوارث بين أهل ملَّتين، وأحكام المرتد، وصيد المجوسي وذبيحته...وغير ذلك، لكن دراستهم اقتصرت علىٰ قضايا فقهية محددة. لا تكشف جوانب مهمة من مفهوم الملة.

ونظرًا لأن الهدف من الدراسة الكشف والوصف، فقد كان لزامًا اتِّباع منهج خاص، وهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم علىٰ الاستقراء فالتحليل ثم التركيب.

سابعًا: خطة البحث:

من مجموع ما اقتضاه المنهج وأسفر عنه؛ تكوَّن المحتوىٰ من:

-مقدمة تحتوي علىٰ موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطة البحث.

-مبحثين، فالأول: تناول تعريف الملَّة في اللغة وفي اصطلاح القرآن، وتحته مطلبين، الأول: لأصل مادة (ملل)، والثاني: الملَّة في القرآن الكريم. أما المبحث الثاني: فتناول الحديث عن أنواع الملَّة وتحته ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: ملة الحق الإسلام. والثاني: ملل أهل الكتاب. أما الثالث: فملل من لا كتاب لهم.

-الخاتمة: تناولت نتائج البحث وآفاقه.

-ثم فهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

المبحث الأول:

مفهوم الملَّة في القرآن الكريم

المطلب الأول:

أصل مادة (ملل)

أما أصل المادة فذكر ابن فارس[1] أنها تدور علىٰ أصلين صحيحين: «يدل أحدهما علىٰ تقليب شيء، والآخر علىٰ غرض من الشيء.

فالأول مَلَلْتُ الخبزة في النار أَمُلُّهَا مَلًّا، وذلك تقليبك إياها فيها. وَالملَّة: الرماد أو التراب الحار.

ويقال: أَطْعَمَنَا خُبْزَ مَلَّةٍ وَخُبْزَةً مَلِيلًا. وَالْمُلْمُولُ: الْمِيلُ: لأنه يقلب في العين عند الكحل. ومن الباب طريق مُمَلٌّ: سُلِك حتىٰ صار مَعْلَمًا. قال:

رَفَعْنَاهَا ذَمِيلًا فِي مُمَلٍّ مُعْمَلٍ لَحِبِ

وَالْمَلِيلَةُ: حمىٰ في العظام: كأنها تُقَلِّبُ. وبات يتململ علىٰ فراشه، أي يقلق ويتضوَّر عليه، حتىٰ كأنه علىٰ مَلَّةٍ، والأصل يَتَمَلَّلُ. ومن الباب امتلَّ يعدو، وذلك إذا أسرع بعض الإسراع.

والباب الآخر مَلِلْتُهُ أَمَلُّهُ مَلَلًا وَمَلَالَةً: سئمته. وأمللت القوم: شَقَقت عليهم حتىٰ مَلُّوا، وكذا أمللت عليهم»[2].

(١) بدأت بذكر ما قاله ابن فارس، ثم تحليله، لتوسعه في بيان أصل المادة.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٦).

وبناء علىٰ كون أصل ما تركب من (م ل ل) الالتزام المتكرر، فإن الملَّة في اللغة هي: الطريقة المُتَّبَعَة والمُلتزَم بها زمنا ممتدًّا.

من خلال التعريف اللغوي للملَّة، يلاحظ أنَّ المعنىٰ يشمل ركنين أساسيين هما: الطريقة والإتّباع.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار عدد من أئمة اللغة.

قال الخليل: «ومِلَّةُ رسول الله ﷺ: الأمرُ الذي أوضحه للناس»(١). فما أوضحه رسول الله ﷺ للناس يلزم إتباعه وملازمته وليحصل الانتفاع بذلك في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

قال ابن عاشور: «والاتباع: اقتفاء السير علىٰ سَير آخر. وهو هنا مستعار للعمل بمثل عمل الآخر»(٢). أي اقتد بسيرته وطريقته التي داوم عليها وكررها من الإقرار بتوحيد الله تعالىٰ، وتنزيهه عما لا يليق به فكانت طريقة مسلوكة، وسُنة له ولأتباعه، أمر بها بنيه من بعده وأوصاهم بها وتناقلوها جيلًا بعد جيل.

وقال الأزهري: «قَالَ أَبُو إِسْحَاق (٣): المِلّة، فِي اللُّغَة: سُنَّتهم وطريقتهم»(٤).

---

(١) العين/ باب اللام والميم ل م، م ل مستعملان.

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٣١٨).

(٣)هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفىٰ: ٣١١هـ). في كتابه: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٠٢).

(٤)تهذيب اللغة / باب اللام والميم.

المطلب الثاني:
الملّة في القرآن الكريم

وردت مادة (ملل) في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين موضعًا، منها خمسة عشر موضعًا بلفظ الملَّة، والباقي موزع علىٰ اشتقاقين اثنين، هما: الإِمْلَالُ والمَلِيُّ.

ففي السور المكية وردت مادة (ملل) ثلاث عشرة مرة في عشر سور، مرتبة وفق ترتيب النزول كالتالي:

السورة	رقمها	الآيـــــــة	رقمها
القلم	٢	﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾	٤٥
ص	٣٧	﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾	٧
الأعراف	٣٨	﴿۞قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾	٨٨
الأعراف	٣٨	﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَا﴾	٨٩
الأعراف	٣٨	﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾	١٨٣
الفرقان	٤١	﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾	٥
مريم	٤٣	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا﴾	٤٦

السورة	رقمها	الآيـــــة	رقمها
يوسف	٥٢	﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٣٧
يوسف	٥٢	﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٣٨
الأنعام	٥٤	﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٦١
الكهف	٦٨	﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾	٢٠
النحل	٦٩	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٣
إبراهيم	٧١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾	١٣

أما في السور المدنية، فقد وردت مادة (ملل) خمس عشرة مرة في ستِّ سور كالآتي:

السورة	رقمها	الآيـــــة	رقمها
البقرة	١	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠
البقرة	١	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾	١٣٠
البقرة	١	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥
البقرة	١	﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾	٢٨٢
البقرة	١	﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾	٢٨٢

السورة	رقمها	الآيـــــــة	رقمها
آل عمران	٣	﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٩٥
آل عمران	٣	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	١٧٨
النساء	٦	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥
الحج	١٨	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٧٨
الحج	١٨	﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	٤٤
الحج	١٨	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾	٤٨
محمد	٩٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾	٢٥
الرعد	٩٥	﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾	٣٢

الملاحظ أنَّ حضور مصطلح الملّة علىٰ مستوىٰ الجذر في القرآن الكريم معتبر، خصوصًا إذا قارنّاه بمصطلحات ذات أهمية في الإسلام، كمصطلح الحج الذي ورد في القرآن الكريم سبعة عشر مرة، والصيام الذي ورد أربعة عشر مرة.

ولا شك أن هذا الحضور يدلُّ علىٰ كونه حاملًا لمفهوم أساسي في حياة الأمة.

مادة (ملل) كان ورود أحد مشتقاتها وهو الإملال في سورة القلم في قوله ﷻ:

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٥]، وهي السورة الثانية من حيث ترتيب النزول، لكن ورود مصطلح الملة أول مرة بالمعنىٰ الاصطلاحي كان في سورة (ص)، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]، فالمشركون عجبوا من دعوة رسول الله ﷺ المتمثلة في التوحيد وعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهو أمر لم يعتادوا عليه ولم يسمعوا به من قبل، ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٤-٥]، وحتىٰ النصارىٰ الذين كانوا في مكة يجعلون مع الله إلهًا آخر، لذلك قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأٓخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٧]، فكان ورود المصطلح مرتبطًا بما اعتاده الناس ولازموه من أمور الاعتقاد والعبادة.

من خلال ما سبق نخلص إلىٰ أن الملَّة هي مجموع العقائد والمبادئ والأعمال والعادات الكبرىٰ، سواء كانت حقًّا أم باطلًا، تتلقاها طائفة من الناس ويدأبون علىٰ التزامها والعمل بها حتىٰ تكون طريقة لهم في «إقامة معاشهم والاستعداد لمعادهم»[(١)].

وقريب من هذا التعريف ما ذكره الطاهر بن عاشور في تفسيره حيث عرَّف الملَّة بقوله: «وَالملَّة بِكَسْرِ الْمِيمِ الدِّينُ وَالشَّرِيعَةُ، وَهِيَ مَجْمُوعُ عَقَائِدَ وَأَعْمَالٍ يَلْتَزِمُهَا طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ يَتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَتَكُونُ جَامِعَةً لَهُمْ كَطَرِيقَةٍ يَتَّبِعُونَهَا»[(٢)].

لكن ما يلاحظ علىٰ التعريف هو خلوُّه من الإشارة إلىٰ مبدأ التَّلقِّي الذي يُعَدُّ عنصرًا مُميِّزا للملَّة، كما خلا التعريف من بيان أنواع الملَّة، ولم يتحدث عن مقصدها.

---

(١) (إقامة معاشهم والاستعداد لمعادهم) مقتبس من كتاب: الملل والنحل؛ للشهرستاني.

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٦٩٣).

المبحث الثاني:

أنواع الملّة في القرآن الكريم

نبه القرآن الكريم علىٰ أنواع الملل، وأشار النبي الكريم ﷺ إليها كذلك [(١)].

وقد امتلأت كتب التفسير وغيرها بالحديث علىٰ هذه الأنواع [(٢)]، حتىٰ قال الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي أن ثلث القرآن بالتقريب يشتمل علىٰ قصص الأديان الأخرىٰ مثل اليهودية، والنصرانية، والمجوسية[(٣)].

وقد ذكر القرآن الكريم ستة أديان في آية واحدة، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧].

---

(١) كما في قوله تعالىٰ في الآية ٣٧ من سورة يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف: ٣٧- ٣٨]. وقول الرسول ﷺ: «افترقَتِ اليهودُ علىٰ إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفرَّقت النَّصارىٰ علىٰ إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتَفترِقُ أمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقةً». رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه. أول كتاب السنة، باب: شرح السنة.

(٢) ومن المؤلفات التي اهتمت ببيان أنواع الملل الكتب التي اهتمت بالأديان والفرق، كالملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٧) وما بعدها. ومن الكتب المعاصرة: الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار (ص:١١٤) وما بعدها.

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص:١٦).

ومن خلال النظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يمكن تقسيم الملَّة إلىٰ نوعين رئيسين:

النوع الأول: ملَّة الحق وهي ملَّة الإسلام.

والثاني: الملل الباطلة وهي ملل الكفر.

أما علىٰ التفصيل فيمكن تقسيم ملل الكفر إلىٰ: ملل اليهود وملل النصارىٰ وملل من لا كتاب لهم كمشركي العرب، فتحصَّل من مجموع ذلك أربعة أنواع من الملل؛ ملة الإسلام قسم، وملل الباطل أقسام(١).

(١) (فمن ذلك أن الله ﷻ قد حصر الأديان التي عليها الناس في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]. فأديان البشر لا تخرج عن واحد من هذه، وهي: الإسلام، واليهودية، والصابئة، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية). موسوعة الملل والأديان، لمجموعة من الباحثين (٨/١).

المطلب الأول:
ملّة الحق الإسلام

◆ الفرع الأول: ظهور ملّة الحق.

كان أبونا آدم عليه السلام علىٰ ملة الإسلام، مؤمنًا وموحدًا، ونبيًّا مُكلَّمًا. فالقرآن الكريم يتحدث أن آدم عليه السلام تاب إلىٰ الله، فتاب الله عليه وعلىٰ زوجه، والتوبة لا تُقبل إلا من موحد مؤمن.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

وفي الحديث عن أبي أُمامَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَبِيًّا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ»»(١).

فكانت البشرية من عهد آدم عليه السلام إلىٰ نوح -وهم عشرة قرون- علىٰ الملّة الحق ملّة الإسلام، ثم طرأت ملّة الشرك في قوم نوح بوحي من الشيطان.

إذن فالأصل في حياة البشر هو التوحيد لأنه الفطرة: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:٣٠]، وفي الحديث القدسي: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ...»(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَهُوَ عَلَىٰ الملَّة. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، باب بسم الله الرحمن الرحيم من سورة البقرة، برقم (٣٠٣٩)، وقال: (صحيح علىٰ شرط مسلم)، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

بَكْرٍ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ: إِلاَّ عَلَىٰ هَذِهِ الملَّة حَتَّىٰ يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ. وَفِيْ رِوَايَةِ أَبِيْ كُرَيْبٍ عَنْ أَبِيْ مُعَاوِيَةَ: لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ عَلَىٰ هَذِهِ الْفِطْرَةِ حَتَّىٰ يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ»(١).

ومن هنا يظهر خطأ بعض الباحثين الذين ذهبوا إلىٰ «أن العقيدة الدينية مرت بمراحل ثلاث، جعلوا أولاها: مرحلة التعدد الذي تتعدد فيه الآلهة والأرباب، ثم أعقبتها: مرحلة التفكير والموازنة وإعمال الفكر في نسبة الأرباب بعضها من بعض لاختيار ما يعتقد أنه الرئيس أو الزعيم أو الإله الذي يكبر غيره، وهي: مرحلة تعدد أيضًا، ثم يقولون: إن المرحلة الأخيرة هي مرحلة الوحدانية»(٢).

فجعلوا الشرك هو الأصل والتوحيد طارئ، وهو كلام يخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فأول ملَّة ظهرت هي ملة الحق، ملة الإسلام. وهي التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له.

الفرع الثاني: ملة الحق هي الإسلام.

إن الإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله للبشرية، ولم ولن يقبل سواه، قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا﴾ [آل عمران:١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهو دين جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال ﷻ: ﴿۞ شَرَعَ

(١) أخرجه مسلم. كتاب القدر، باب معنىٰ كل مولود يولد علىٰ الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم (٢٦٥٨).

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار (١/ ٦٣).

لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى:١٣-١٤].

فهذا نوح عليه السلام أول الرسل يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، ويحكي القرآن عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قولهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]، ويدعو يوسف عليه السلام ربه فيقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، ويقول موسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، وعن عيسىٰ يحكي القرآن قوله: ﴿۞فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]

ويوجز القرآن الكريم ملّة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

فالإسلام دين كل الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم، قائم علىٰ الخضوع والاستسلام لله ﷻ، وإفراده بالعبودية، ونفي الشريك عنه والصاحبة والولد، وهذا هو مفهوم الإسلام لدىٰ الأنبياء وأتباعهم ومخالفيهم.

كما حكىٰ الله ﷻ عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

فدين الإسلام هو الدين القيّم، وهو الصراط المستقيم، وهو الملّة الحق،

كما قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

الفرع الثالث: ملة الحق واحدة.

شَكَّلت ملَّة الحق صراطًا مستقيمًا واحدًا متصلًا بين جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفي جميع الرسالات. فحينما نتحدث عن الملة، فنحن نتحدث عن الكليات الأساسية في الدِّين، ومحاوره العامة وعناوينه الكبرىٰ والتي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تقبل النسخ في جميع الرسالات.

لأن الرسالات السماوية يجمعها أنها صادرة ومنزّلة من جهة واحدة، من الله ﷻ، وموجهة إلىٰ جهة واحدة هي الإنسان، ولهدف واحد، هو هداية الإنسان.

فإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن تكون هناك أشياء كثيرة يشترك فيها الناس، ويتساوون فيها، لأن الإنسان هو الإنسان من آدم إلىٰ آخر ولد آدم.

علىٰ هذا الأساس، تنزلت الكتب والشرائع، جامعة بين الاتحاد والتعدد، بين الائتلاف والاختلاف، بين الثبات والتغير[١].

ومن جملة محاور ملَّة الحق التي اتفقت فيها جميع الرسالات أستعرض النماذج التالية[٢]:

---

(١) انظر: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الدكتور أحمد الريسوني (ص:١٠١-١٠٢).

(٢) للاطلاع علىٰ مزيد من الأمثلة، انظر المصدر السابق، فقد قام الدكتور الريسوني باستقراء النماذج من القرآن الكريم وصنفها إلىٰ الكليات العقدية، والكليات المقاصدية، والكليات الخُلُقية، والكليات التشريعية (ص:٦٩-١٢٣).

أ-الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده.

جوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، ونبذ الشريك عنه وما يُعبد من دونه.

فقد أرسل الله جميع الرسل بهذه المهمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]

وهي وصية الأنبياء لمن بعدهم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]

ب- مسائل الإيمان وأصوله.

فأمور الإيمان والاعتقاد من مسلمات الدِّين، قال الله ﷻ: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ومن لم يؤمن بهذه الأصول فقد ضل ضلالًا بعيدًا، قال الحق ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

وشكَّلت هذه الأصول أساسًا واحدًا لدىٰ جميع الرسل وأتباعهم، ومن ذلك تذكير نوح ﵇ لقومه بالبعث والنشور، فقال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح:١٧-١٨].

وتظهر أيضًا في دعوة إبراهيم ﵇ الذي قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وفي دعوة يوسف ﵇ إذ قال لصاحبيه: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

والدعوة إلىٰ الإيمان بالبعث دعوة للإيمان بجميع أركان الإيمان بالتلازم.

ج-القواعد العامة.

ومن هذه القواعد:

-حفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. «وهي كليات، لأن كل واحد منها يجمع ما لا يحصي ويستتبع ما لا يحصي من الجزئيات، فحينما نقول: حفظ الدين، أو حفظ النفس، أو حفظ المال...، فنحن نعني تلقائيًا آلاف الأحكام الجزئية المنصوصة صراحة أو ضمنًا، وآلافًا أخرىٰ يتعين القول بها استنباطًا واجتهادًا واستصلاحًا»[(١)].

وهي كليات معتبرة في ملة الإسلام في كل الأزمان. قال الإمام الغزالي ﵀ تعالىٰ متحدثًا عن هذه الضروريات والتي سماها أصولًا: «وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٥٠).

الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر»[1].

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة»[2]، وبعد أن ذكر الأقسام الثلاثة للمصالح، وهي قسم الضروريات، وقسم الحاجيات، وقسم التحسينات، قال: «المقصود الأعظم في المطالب الثلاثة المحافظة علىٰ الأول منها، وهي قسم الضروريات، ومن هنالك كان مراعىٰ في كل ملة، بحيث لم تختلف فيه الملل كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين وقواعد الشريعة وكليات الملة»[3].

-من القواعد أيضًا أن الفلاح الحقيقي يتحقق بتزكية النفس بمنهج الله والعبودية له، وإيثار الآجل علىٰ العاجل. «فتزكية الإنسان نفسه، وإيثار الآخرة لأنها خير وأبقىٰ، هما من المقاصد العليا ومن الثوابت المشتركة بين الكتب المنزلة»[4].

قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤ - ١٩].

-«أن الإنسان محاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره»[5].

---

(١) المستصفىٰ، للغزالي (ص: ١٧٤).

(٢) الموافقات، للشاطبي (٢/ ٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٤٣).

(٤) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٤٨).

(٥) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان عبد الله الأشقر (ص:٢٨٤).

قال ﷻ: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم:٣٦-٤١].

-ومن القواعد أيضًا إقامة ميزان العدل والقسط، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد:٢٥].

-ومنها كذلك فعل الخيرات وإقامة أصول العبادة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، والأمر بالجهاد والمجاهدة، ونفي الحرج.

كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٧-٧٨].

«هذه الملَّة بمبادئها الكلية المذكورة، ليست جديدة ولا خاصة بالرسالة المحمدية وأتباعها، بل هي ملة أبينا إبراهيم، وطبعًا هي ملة جميع الرسل»[(١)].

ومما اتفقت عليه الرسالات أيضا: «أنها بينت المنكر والباطل، ودعت إلىٰ محاربته وإزالته، سواء أكان عبادة أوثان، أو استعلاء في الأرض، أو انحرافًا عن الفطرة كفعل قوم لوط، أو عدوانًا علىٰ البشر وأحوالهم بقطع الطريق والتطفيف بالميزان»[(٢)].

فاتضح مما سبق أن ملة الحق واحدة، لا تتبدل ولا تتغير بين الرسل والرسالات؛ لأنها متعلقة بمحاور الدين الأساسية وعناوينه الكبرىٰ.

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية (ص:٤٩).

(٢) الرسل والرسالات (ص:٢٤٩).

◆ **الفرع الرابع: ملة الحق هي ملة إبراهيم.**

إن الملَّة في القرآن الكريم ما وردت بمعناها الحق إلا مضافة إلىٰ إبراهيم عليه السلام. وقد أمر الله عز وجل باتباعها في جملة من الآيات.

فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥].

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

وبين أنها أحسن الدِّين في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وأكد أنها الهدىٰ ولا هدىٰ في غيرها في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

فلا حرج فيها ولا مشقة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

وحذر سبحانه وتعالى من مخالفتها فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

فكان إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا، وملته هي الملَّة الحق، لأنها هي الإسلام الذي رضيه الله للبشرية دينًا.

كما قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا

﴿لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٦٧].

قال الإمام القرطبي: «وسُمِّي إبراهيم حنيفًا؛ لأنه حَنِف -أي مال - إلىٰ دين الله، وهو الإسلام»(١).

وقال ابن عطية: «أخبر الله تعالىٰ في هذه الآية، عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفىٰ عنه اليهودية والنصرانية والإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية، وجاء ترتيب النفي علىٰ غاية الفصاحة، نفىٰ نفس الملل وقرر الحالة الحسنة، ثم نفىٰ نفيًا بيَّن به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هو الشرك»(٢).

وقال الطاهر بن عاشور: «وقد تقدم في سورة البقرة في مواضع أن إبراهيم سأل أن يكون مسلمًا، وأن الله أمره أن يكون مسلمًا، وأنه كان حنيفًا، وأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ هو الذي جاء به إبراهيم، ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، وكل ذلك لا يُبقِي شكًّا في أن الإسلام هو إسلام إبراهيم»(٣).

فيتضح مما سبق أن إبراهيم عليه السلام ما كان يهوديًّا ولا نصرانيًّا، فنفىٰ الله عز وجل عنه كل شرك(٤)، وأثبت له أنه كان مائلاً عن كل باطل، منقادًا مستسلمًا لله.

دعا الله أن يكون مسلمًا فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٣٩).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٤٥١).

(٣) التحرير والتنوير (٣/ ٢٧٥).

(٤) تعريض باليهود والنصارىٰ بأنهم مشركون، لإشراكهم بالله عز وجل عزيرًا والمسيح وردٌّ لادعاء مشركي العرب أنهم علىٰ ملَّة إبراهيم عليه السلام.

لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

واستجاب لأمر الله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وانقاد لله سبحانه وتعالى وحده بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، وأخلص عمله لله عز وجل ولم يكن من المشركين.

إن ملَّة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، وهي الحنيفية، دين التوحيد والاستسلام لله عز وجل والخضوع له بالعبادة، ونبذ الشرك والكفر وكل ما يعبد من دون الله، وهذا هو دين الأنبياء جميعهم، واعتقاد الرسل كلهم.

المطلب الثاني:
ملل أهل الكتاب

الفرع الأول: ظهور الملل الباطلة.

سبقت الإشارة من قبل إلىٰ أن الأصل هو التوحيد، فكانت البشرية من آدم إلىٰ نوح عليه السلام علىٰ الإسلام.

ثم حدث أن انتكست البشرية عن الفطرة، ووقع الناس في الشرك بالله عز وجل وحدث ذلك في قوم نوح عليه السلام بكيد من الشيطان، حيث استدرجهم لأن ينصبوا تماثيل لرجال صالحين، وهم: ودٌّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، حتىٰ يتذكروا ما كانوا عليه من العبادة فيقتدوا بهم.

فلما طال عليهم الأمد وتعاقبت الأجيال اللاحقة، قال الشيطان لهم: إن آباءكم ما نحتوا تلك التماثيل إلا لعبادتها، فلا تضلوا عن طريقهم ونهجهم، فاستجابوا لدعوته، وعبدوا الأصنام، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

فبعث الله نوحًا عليه السلام، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلىٰ الإسلام، وتوحيد الله عز وجل ونبذ الشرك، فما آمن معه إلا قليل. قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

ولما أَيِس منهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ

ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ٥ - ٩].

وأيضًا: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ [نوح: ٢١ - ٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن ودٍّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم، أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت»[(١)].

فكانت تلك أول ملَّة طرأت، ثم تتابعت ملل الباطل التي جعلت الشرك بالله دينًا واتخذت أندادًا من دون الله.

فأرسل الله لهم الرسل يبلغونهم رسالات الله، قال عز وجل: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٩].

فصدوا عن سبيل الله وتوعَّدوا رسل الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

ويقال إن الأصنام التي عَبَدَها قوم نوح، انتقلت إلىٰ العرب بواسطة «عمرو بن لُحَيٍّ الخُزَاعيّ»، الذي غيَّر دين إبراهيم من الحنيفية إلىٰ عبادة الأصنام[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، برقم (٤٩٢٠).

(٢) ذكر ابن كثير رحمه الله: أن عمرو بن لحي الخزاعي كان من خزاعة وكان من سادات مكة والعرب، وأنه أول =

وأخبر رسول الله ﷺ عنه في الحديث بقوله: «رَأَيْتُ عَمْرو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ» [(١)].

وعن قتادة قال: «كان ودٌّ لهذا الحيِّ من كَلْب بدومة الجَندل، وكانت سُواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني عُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبَأ، وكان يعوق لهمدان ببلخع، وكان نسر لذي كلاع من حِمْير» [(٢)].

◆ الفرع الثاني: حصر الملل الباطلة.

هل الكفر ملَّة واحدة أو ملل متعددة؟ اختلف العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذه المسألة.

١-فذهب المالكية والحنابلة في قول إلىٰ أن الكفر ملل متعددة [(٣)]، أخذًا بظاهر قول الرسول ﷺ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّىٰ» [(٤)].

= من غير دين إبراهيم الحنيفية والذي كان يقوم علىٰ توحيد الله، حيث أنه أدخل الأصنام لتعبد من دون الله بالجزيرة العربية. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٨٥) وما بعدها.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، برقم (٣٥٢١). وراه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥٦). كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروىٰ ابن هشام في سيرته: «أن رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ الْخُزَاعِيِّ: يَا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ: فَقَالَ أَكْثَمُ: عَسَىٰ أَنْ يَضُرَّنِي شَبَهُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ، إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ، وَحَمَىٰ الْحَامِي». سيرة ابن هشام (١/ ٧٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٩).

(٣) انظر: حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير (٤/ ٤٨٦)، وتفسير القرطبي (٢/ ٩٤).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر؟ برقم (٢٩١١).

وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فميم الجمع في كلمة (ملتهم) تدل علىٰ الكثرة، أي تدل علىٰ تعدد ملل الكفر، كما قال القرطبي: «فالمراد به الكثرة وإن كانت موحدة في اللفظ، بدليل إضافتها إلىٰ ضمير الكثرة، كما تقول: أخذت عن علماء أهل المدينة -مثلًا- علمهم، وسمعت عليهم حديثهم، يعني علومهم وأحاديثهم»(١).

وقال ابن قدامة في المغني: «ولم نسمع عن أحمد تصريحًا بذكر أقسام الملل... ويحتمل كلام أحمد رضي الله عنه أن يكون الكفر مللًا كثيرة، فتكون المجوسية ملَّة، وعبادة الأوثان ملَّة أخرىٰ، وعبادة الشمس ملَّة، فلا يرث بعضهم بعضًا. روي ذلك عن علي. وبه قال الزهري، وربيعة وطائفة من أهل المدينة، وأهل البصرة، وإسحاق وهو أصح الأقوال إن شاء الله»(٢).

٢-أن الكفر ثلاث ملل، فاليهودية ملَّة، والنصرانية ملَّة، وبقية الكفر ملَّة، لأنهم يجمعهم أنه لا كتاب لهم، وهو القول الثاني للمالكية والحنابلة. قال ابن قدامة: «وقال القاضي أبو يعلىٰ: الكفر ثلاث ملل: اليهودية، والنصرانية، ودين من عداهم؛ لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم. وهذا قول شريح، وعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والحكم. والثوري، والليث، وشريك، ومغيرة الضبي، وابن أبي ليلىٰ، والحسن بن صالح، ووكيع. وروي ذلك عن مالك»(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٩٤).

(٢) المغني، لابن قدامة (٦/ ٣٦٨).

(٣) المغني، لابن قدامة (٦/ ٣٦٨).

٣- ذهب الحنفية والشافعية، أن الكفر كله ملَّة واحدة، بدليل الآية السابقة من سورة البقرة، حيث قال الإمام القرطبي: «﴿مِلَّتَهُمۡ﴾ فوحَّد الملَّة، وبقوله تعالىٰ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾، وبقوله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملَّتين»، علىٰ أن المراد به الإسلام والكفر، بدليل قوله ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر»[(١)]»[(٢)].

وقال الإمام الكفوي: «وَالْكفْر: مِلَّة وَاحِدَة لِأَن شَرِيعَة مُحَمَّد هِيَ الْحق بِلَا شكّ وَالنَّاس بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا فرقتان: فرقة تقر بهَا وهم الْمُؤْمِنُونَ قاطبة، وَفرْقَة تنكر بأجمعهم وهم الْكفَّار كَافَّة، فَبِهَذَا الِاعْتِبَار كالملَّة الْوَاحِدَة، وَإِن اخْتلفُوا فِيمَا بَينهم»[(٣)].

والذي يظهر والله أعلم أن ملل الكفر من حيث منابذتها لملَّة الحق فهي واحدة، حيث اتفقت جميعها علىٰ مجانبة الصواب وترك الهدىٰ الذي أنزله الله فكانت واحدة من هذا الجانب، لأن الملَّة إما أن تكون حقًّا أو باطلًا، لا قسيم ثالث.

وهذه المسألة مبسوطة في كتب الفقه[(٤)]، وتتبين ثمرتها في مجموعة من أبواب الفقه كمسألة التوارث، والشهادة، والولاية في الزواج.

(١) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، برقم (٦٧٦٤). ومسلم في كتاب الفرائض، باب أول الكتاب، برقم (١٦١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٩٤).

(٣) الكليات (ص:٧٦٣).

(٤) انظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر، رد المحتار علىٰ الدر المختار لابن عابدين الحنفي الدمشقي (٣/ ١٨٨)، (٤/ ٢٢٥). ومختصر العلامة خليل المالكي المصري (ص:٢٦٣). وكتاب الأم، للإمام الشافعي (٤/ ١٩٤)، (٦/ ٤٩). وكتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي (١٨/ ٢٧٤)، (٢٠/ ١٩٦).

◆ الفرع الثالث: الملل اليهودية.

١ -تعريف اليهودية.

اليهودية في اللغة من هاد الرجل أي: رجع وتاب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي تُبْنَا(١).

واليهودية: «هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي(٢) أرسل الله إليهم موسىٰ عليه السلام مؤيدًا بالتوراة ليكون لهم نبيًّا»(٣).

٢-سبب تسميتها.

تعددت آراء العلماء حول تسمية اليهودية بهذا الإسم، فقيل:

١-نسبة إلىٰ «يهوذا» وهو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، وأبدلت الذال المعجمة دالًا مهملة؛ لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلىٰ لغتهم غيروا بعض حروفها(٤).

٢- سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. والهود في اللغة العربية، «التوبة، هاد يهود هودًا، تاب ورجع إلىٰ الحق فهو هائد»(٥).

---

(١) انظر: المفردات، للراغب / مادة هَوْد، والملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ١٥).

(٢) هكذا مثبتة في المطبوع، ولعلها الذين التي تعود علىٰ بني إسرائيل.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد: الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٤٩٥).

(٤) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، د. السيد محمد الطنطاوي (ص:١٣). والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل (ص:١٨).

(٥) لسان العرب / مادة هود.

٣- سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[(١)].

والملاحظ في القرآن الكريم، أنه يسميهم ب (بني إسرائيل)، كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. نسبة إلىٰ إسرائيل وهو لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وبنو إسرائيل هم ذريته.

وحينًا يسميهم: (الذين هادوا)، و(اليهود) لأنهم تسموا (باليهود) في عصورهم المتأخرة.

وفي السنة النبوية كذلك نجد تسميتهم ب (بني إسرائيل)، و(اليهود) أيضًا. فعن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي...**»[(٢)] الحديث، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٣)].

فهم بنو إسرائيل إشارة إلىٰ اسمهم ونسبهم وتاريخهم القديم زمن موسىٰ عليه السلام وبعده بعدة قرون، وهم اليهود إشارة إلىٰ اسمهم المتأخر، خاصة بعد ظهور عيسىٰ عليه السلام، وتميزهم عن أتباعه (النصارىٰ)، ولذلك إذا جاء ذكرهم مع النصارىٰ سموا: (أهل الكتاب) إشارة إلىٰ أن الله تعالىٰ أنزل إليهم (أي اليهود والنصارىٰ) كتابًا من السماء، هو التوراة أولًا (علىٰ موسىٰ)، ثم الإنجيل ثانيًا (علىٰ عيسىٰ) عليهما السلام[(٤)].

---

(١) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة (ص:١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب إذا هدم حائطًا فليبنِ مثله، برقم (٢٤٨٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، برقم (٤٣٧).

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:١٨-١٩).

٣-أصل الملَّة اليهودية.

كانت عقيدة اليهود هي التوحيد والإيمان الصحيح، ودينهم هو الإسلام قبل أن يحرفوه. وقد تم الحديث سابقًا أن الدِّين الذي أنزله الله ورضيه لعباده هو الإسلام[(١)]، وحتىٰ موسىٰ عليه السلام الذي يزعم اليهود أنه نبيهم وأنهم متبعون له، كان مسلمًا، وأخبر القرآن عنه في خطابه لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالتوراة حكم للذين أسلموا من الأنبياء.

لكن ما حدث أن اليهود (بني إسرائيل) حرفوا دين الإسلام وما جاء به موسىٰ عليه السلام من ربه، وهذا الانحراف ظهر في عهد موسىٰ عليه السلام.

فقالوا له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣].

وعصوا الله ورسوله وعبدوا العجل من دون الله: ﴿۞وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٢، ٩٣].

وبعد موت موسىٰ عليه السلام حرفوا وبدلوا التوراة، فقالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

ثم قالوا أكبر من ذلك، فقالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، «وحرفوا

---

(١) انظر: المطلب الثاني من المبحث السابق (ص:٧).

نصوص التوراة، وقدسوا آراء أحبارهم المتمثلة بما يسمىٰ عندهم (بالتلمود)، وهو شروح واجتهادات علمائهم الذين أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال بأهوائهم»[1]. فقال الله ﷻ في شأنهم وشأن النصارىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

ولبثوا علىٰ حالهم هذه حتىٰ جاء الإسلام، وبُعث رسول الله ﷺ وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك كذبوه وآذوه واستهزؤوا به، وكادوا للإسلام والمسلمين.

٤-ملل اليهودية.

تفرقت كلمة اليهود وتشتت شملهم بفعل اضطهاد اليونان لهم الذين أرغموهم علىٰ عبادة الآلهة اليونانية، فمنهم من قبل الدعوة اليونانية، ومنهم من بقي علىٰ التعاليم اليهودية، فتفرقوا إلىٰ عدة ملل. وأشهرها [2]:

الفريسيون: أي المتشددون، أو شاسديم: أي الانقياد. يسمون بالأحبار أو الربانيين، هم متصوفة رهبانيون لا يتزوجون، وقد شبههم الكُتّاب المسيحيون بالمعتزلة من الفرق الإسلامية. تؤمن هذه الفرقة بالبعث، وقيام الأموات، والملائكة، والعالم الآخر.

الصدوقيون: وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار، فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود، كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر.

المتعصبون: فكرهم قريب من فكر الفريسيين لكنهم اتصفوا بعدم التسامح وبالعدوانية، قاموا في مطلع القرن الميلادي الأول بثورة قتلوا فيها الرومان، وكذلك

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٢٠).

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الدين الرازي (ص: ٨٢-٨٣). دراسات في اليهودية والمسيحية (ص:٢١٧-٢٢٩). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٩٩-٥٠٠).

كلَّ من يتعاون من اليهود مع هؤلاء الرومان فأطلق عليهم اسم السفَّاكين.

الكتبة أو النَّساخ: عرفوا الشريعة من خلال عملهم في النسخ والكتابة، فاتخذوا الوعظ وظيفة لهم، يسمون بالحكماء، وبالسادة، وواحدهم لقبه أب، وقد أثروا ثراءً فاحشًا علىٰ حساب مدارسهم ومريديهم.

القراؤون: هم قلة من اليهود ظهروا عقب تدهور الفريسيين وورثوا أتباعهم، لا يعترفون إلا بالعهد القديم، ولا يخضعون للتلمود ولا يعترفون به بدعوىٰ حريتهم في شرح التوراة.

السامريون: طائفة من المتهوِّدين الذين دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل، أثبتوا نبوة موسىٰ وهارون ويوشع بن نون، دون نبوة من بعدهم. ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية.

◆ الفرع الرابع: الملل النصرانية.

١ - تعريف النصرانية.

النصرانية: «هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت علىٰ عيسىٰ عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسىٰ عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلىٰ بني إسرائيل، داعية إلىٰ التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد علىٰ امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرًا عن أصولها الأولىٰ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية»(١).

٢- سبب تسميتها.

ذكر العلماء سبب تسمية هذه الملَّة بالنصرانية، فقالوا:

١ -«سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَرْيَةٍ تُسَمَّىٰ«نَاصِرَةَ»، كَانَ يَنْزِلُهَا عِيسَىٰ عليه السلام فَنُسِبَ إِلَيْهَا،

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٥٦٤).

فَقِيلَ: عِيسَىٰ النَّاصِرِيُّ، فَلَمَّا نُسِبَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ قِيلَ النَّصَارَىٰ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَنَصْرَانُ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا النَّصَارَىٰ، وَيُقَالُ نَاصِرَةٌ»(١).

وقيل «سُمُّوا بذلك انتسابا إلىٰ قرية يقال لها: نَصْرَان، فيقال: نَصْرَانِيٌّ، وجمْعُه نَصَارَىٰ»(٢).

٢-وَقِيلَ: «سُمُّوا بِذَلِكَ لِنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»(٣).

٣- وَقِيلَ: «سُمُّوا بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]»(٤).

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية إطلاق اسم (النصارىٰ) علىٰ الذين ينتسبون إلىٰ دين المسيح عليه السلام، ويلحظ من قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤]، أن النصارىٰ هم الذين أطلقوا هذا الإسلام علىٰ أنفسهم(٥).

٣- أصل الملَّة النصرانية.

أصل النصرانية هو الإسلام، الدِّين المنزل من عند الله تعالىٰ، فقد بعث الله عز وجل عيسىٰ عليه السلام وأنزل معه الإنجيل، مصدقًا للتوراة ومصححًا ما حرفه اليهود من التوراة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٤).

(٢) المفردات، للراغب، مادة نصر.

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٣٤٣).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٣٤٣).

(٥) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه، د. أحمد عبد الله جود (ص:٤٥).

لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]، «النصرانية تعتبر امتدادًا لليهودية، لأن عيسىٰ عليه السلام أُرسل إلىٰ بني إسرائيل مجدِّدًا في شريعة موسىٰ عليه السلام، ومصحِّحًا لما حرفه اليهود منها، وليحل لهم بعض الطيبات التي حرمت عليهم»[١]. قال تعالىٰ في حق عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥١].

لكن ما حدث بعد ذلك أن هذا الدين القائم علىٰ توحيد الله في أصله، غُيِّر وبُدِّل، وحُرِّفت نصوصه، وتعددت الأناجيل، وتحول الناس من التوحيد إلىٰ الشرك.

٤ - أطوار النصرانية.

مرت الملَّة النصرانية بعدة أطوار ومراحل انتقلت فيها من رسالة التوحيد المنزلة من عند الله إلىٰ رسالة مُحرفة ومُبدلة.

المرحلة الأولىٰ: هي دين الله الحق، داعية إلىٰ توحيد الله تعالىٰ حيث لا رب غيره ولا معبود سواه، وأنه لا واسطة بين المخلوق والخالق سوىٰ عمل الإنسان نفسه. واستمرت مدة يسيرة بعد أن رفع الله عز وجل لعيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء.

المرحلة الثانية: واستمرت قرابة نصف قرن، اشتد فيها إيذاء اليهود لأتباع المسيح عليه السلام، يطاردونهم ويقتلونهم، ويشون بهم عند الحكام.

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٥).

المرحلة الثالثة: فيها بدأت كتابة الأناجيل المبتدعة، وهي عبارة عن اجتهادات لم تُسمع من عيسىٰ عليه السلام مشافهة، وبعضها من دسِّ اليهود. واستمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، عاشت خلالها النصرانية في تخبط وافتراق، «ففقدت النصرانية طابعها البسيط السهل، وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية وقتئذ؛ كالمصريين واليونانيين والرومانيين، خصوصًا ما اتصل بالمسيح نفسه، فقد كان بعضهم يراه عبدًا رسولًا...بينما يراه آخرون من النصارىٰ إلهًا، ورأىٰ فريق ثالث أنه ابن الله»(١).

المرحلة الرابعة: وتبدأ بالتجمع النصراني الكبير الذي عقده قسطنطين ملك الرومان في مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م، وفي هذا اللقاء رسخت عند النصارىٰ عقيدة التثليث الوثنية، وهو اعتقادهم أن الله ثالث ثلاثة؛ هم: الأب وهو الله بزعمهم، والابن وهو عيسىٰ كما يزعمون، وروح القدس ويتمثل في الروح التي حلت في مريم. ومن القرارات التي خرج بها المجمع؛ تكفير من يذهب إلىٰ أن المسيح إنسان(٢).

وبهذه الصورة صدرت النصرانية إلىٰ العالم ممسوخة مشوهة، فاقدة لشكلها وجوهرها الأساسي الذي جاء به عيسىٰ عليه السلام من رب العالمين.

٥- ملل النصارىٰ

ملل النصارىٰ وفرقهم كثيرة، وقد ذكر الدكتور ضياء العمري أنه توجد في

(١) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٤٧).

(٢) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٩-٧١)، علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٤٦-٤٨). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٥٦٤-٥٧٩).

أمريكا وحدها أكثر من مئتين وخمسين فرقة مسيحية، وفي إفريقيا أكثر من ألف وأربعمائة طائفة[1].

وأهم طوائفهم[2]:

الملكانية: وهم يَقُولُونَ إِن اتِّحَاد الله تَعَالَىٰ بِعِيسَىٰ كَانَ بَاقِيًا حَالَة صلبه.

النسطورية: وهم يَقُولُونَ إن الله تعالىٰ واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة علىٰ الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسىٰ عليه السلام، لا علىٰ طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا علىٰ طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة علىٰ بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

اليعقوبية: وهم يَقُولُونَ إِن روح الْبَارِي اخْتَلَط ببدن عِيسَىٰ عليه السلام اخْتِلَاط المَاء بِاللَّبنِ.

الفرفوريوسية: وهم أَتبَاع فوفوريوس الفيلسوف وَقد أخرج أَكثر دين النَّصَارَىٰ علىٰ قَوَاعِد الفلسفة.

الأرمنوسية: بقولون أَن الله تَعَالَىٰ دَعَا عِيسَىٰ ابْنًا علىٰ سَبِيل التشريف.

و- علاقة الملَّة النصرانية بالملَّة اليهودية.

جاءت رسالة عيسىٰ عليه السلام امتدادًا لرسالة موسىٰ عليه السلام، لكن غالب بني إسرائيل

---

(١) اليهودية والمسيحية (ص:٤٦٤).

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ص:٨٤-٨٥). الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ٢٧-٣٣).

(اليهود) كذبوا بعيسىٰ عليه السلام، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه. «والنصارىٰ يكفرون اليهود لتكذيبهم عيسىٰ عليه السلام، واليهود يكفرون النصارىٰ، لأنهم يرونهم مبتدعين، ودينهم باطل لأن عيسىٰ عليه السلام بزعمهم ساحر كذاب»(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صدقوا ولو حلفوا علىٰ ذلك ما حنثوا، لأن كل فريق منهم ليس علىٰ شيء»(٢).

---

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٦٦).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٨٥).

المطلب الثالث:
ملل من لا كتاب لهم

الفرع الأول: ملل الصابئة.

أول ملة من الملل التي لا كتاب لأهلها هي ملة الصابئة.

١ -تعريفها.

صبأ في اللغة من معانيها: البروز، والانتقال، والترك، والميل.

جاء في المعجم الوسيط: «صبأ الناب وَنَحْوه صبوءًا برز، وَمن شَيْء إِلَىٰ شَيْء: انْتقل. وَيُقَال: صَبأ الرجل ترك دينه ودان بآخر وَعَلِيهِ خرج وهجم فَهُوَ صابئ»[(١)].

وعند الشهرستاني: «الصبوة في مقابلة الحنيفية. وفي اللغة: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم الصابئة»[(٢)]. وهذا المعنىٰ قريب من معنىٰ الانتقال والترك، لأن من انتقل وترك دينه إلىٰ دين آخر يقال له: مال وزاغ عن دينه الأول.

وورد ذكر الصابئة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، مما يدل علىٰ أنهم أهل ملة من الملل التي كانت قبل الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

(١) المعجم الوسيط / مادة صبأ.

(٢) الملل والنحل (٢/ ٦٣).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وقد اختلف العلماء في حقيقة دين الصابئة[(١)]:

فقال مجاهد: الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارىٰ، ولا دين لهم.

وقال قتادة: الصابئون قوم يعبدون الملائكة، يصلون إلىٰ القبلة، ويقرؤون الزبور.

وأبو العالية قال: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور. قال الإمام أبو جعفر الرازي: وبلغني أيضًا أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون إلىٰ القبلة.

وقال ابن زيد: الصابئون، أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله.

وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب.

فنرىٰ اختلاف المفسرين فيهم، هل هم من أهل الكتاب أم لا؟ بسبب هذا الاختلاف عدَّهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل من الملل التي لها شبهة كتاب.

٢-معتقداتهم.

تطورت عقيدة الصابئة ومرت بمراحل، فذكر الإمام الرازي تطور عقيدتهم بقوله: «وَلما بعث الله إبراهيم ﷺ كَانَ النَّاس علىٰ دين الصبائية؛ فاستدل إِبْرَاهِيم ﷺ عَلَيْهِم فِي

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢/ ١٤٦-١٤٧).

حُدُوث الْكَوَاكِب، كَمَا حكىٰ الله تَعَالَىٰ عَنهُ فِي قَوْله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾، وَاعْلَم أَن عبَادَة الْأَصْنَام أحدث من هَذَا الدِّين لأَنهم كَانُوا يعْبدُونَ النُّجُوم عِنْد ظُهُورهَا، وَلما أَرَادوا أَن يعبدوها عِنْد غُرُوبهَا لم يكن لَهُم بُدٌّ من أَن يصوروا الْكَوَاكِب صورًا ومثلًا، فصنعوا أصنامًا وَاشْتَغلُوا بعبادتها، فَظهر من هَهُنَا عبَادَة الْكَوَاكِب»[١].

هذا التطور العقدي أدىٰ إلىٰ ظهور فرق جديدة في ملة الصابئة، قال الشهرستاني: «ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار علىٰ الروحانيات البحتة، والتقرب إليها بأعيانها، والتلقي عنها بذواتها، فزعت جماعة إلىٰ هياكلها وهي السيارات السبع، وبعض الثوابت. فصابئة النبط والفرس والروم مفزعها السيارات، وصابئة الهند: مفزعها الثوابت... وربما نزلوا عن الهياكل إلىٰ الأشخاص التي لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئًا. والفرقة الأولىٰ هم عبدة الكواكب، والثانية هم عبدة الأصنام»[٢].

ومن معتقداتهم في الإله:

«يعتقدون -من حيث المبدأ- بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق.

ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله ٣٦٠ شخصًا خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار ...وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

ويعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها»[٣].

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص:٩٠).

(٢) الملل والنحل (٢/ ٣٦).

(٣) الموسوعة الميسرة (٢/ ٧١٧).

الفرع الثاني: ملل المجوسية.

١ -تعريفهم.

«كلمة «مجوس» من الكلمات المعربة، عربت عن لفظة «مغوس» «Maghos» الفارسية التي تعني «عابد النار». وهي من الألفاظ التي دخلت إلىٰ اليونانية كذلك، حيث وردت لفظة «Magi» فيها. وهي جمع «مجوس» «Magus»»(١).

«المَجُوسُ: جَمْعُ المَجُوسيِّ، وَهُوَ مُعرب، أَصله: مِنْج قُوش، وَكَانَ رجلا صَغِير، الْأُذُنَيْنِ، كَانَ أول من دَان بدين المَجُوسِ، ودعا النَّاس إِلَيْهِ، فعرَّبته الْعَرَب. فَقَالَت: مَجُوسٌ، وَنزل الْقُرْآن بِهِ، وَالْعرب رُبمَا تركت صرف مَجُوس إِذا شُبِّه بقبيلة من الْقَبَائِل، وَذَلِكَ أَنه اجْتمع فِيهِ العجمة والتأنيث»(٢).

وفي المعجم الوسيط: «الْمَجُوسِي الكاهن عِنْد الأشوريين وقدامىٰ الفرس والكاهن الذي يقوم علىٰ النَّار، والكاهن الَّذِي يُبَاشر أَعمال السحر»(٣).

٢ -معتقداتهم.

وحقيقة المجوسية «مبني علىٰ تعظيم النور، وإثبات إله قديم يسمىٰ «يزدان»، وعلىٰ التحرز من الظلمة، التي قالوا بخلق إله محدث لها يسمىٰ «أهرمن»، ومن هنا نشأت عبادة النيران عندهم، لأنهم لما عظموا النور عبدوا النار مصدره»(٤).

وقال الشهرستاني: «ثم إن التثنية اختصت بالمجوس، حتىٰ أثبتوا أصلين اثنين،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٢/ ٢٦٨).

(٢) تهذيب اللغة / أبواب الجيم والسين.

(٣) المعجم الوسيط / باب الميم.

(٤) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٢).

مدبرين قديمين؛ يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة. وبالفارسية: يزدان وأهرمن. ولهم في ذلك تفصيل مذهب.

ومسائل المجوس كلها تدور علىٰ قاعدتين اثنتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأً، والخلاص معادًا»[1].

وقال ابن حزم: «وَالْمَجُوس يعظمون الْأَنْوَار والنيران والمياه إِلَّا أَنهم يُقِرونَ بنبوة زرادشت وَلَهُم شرائع يضيفونها إِلَيْهِ»[2].

فيتبين من خلال ما سبق أن المجوسية يعظمون النور والظلمة، لكنهم لا يجعلونها متساوية بالخلق والإبداع والتصرف، بل يجعلون النور حاكمًا علىٰ الظلمة.

٣-المجوسية في جزيرة العرب.

الموطن الأصلي للمجوسية هو بلاد فارس، ثم تفرقت إلىٰ فرق عديدة تجمعهم التثنية، ثم دخلت إلىٰ بلاد العرب، فظهرت أول ما ظهرت في الحيرة ثم ترسخت في بني تميم وبعدها انتقلت إلىٰ اليمن، وعمان، والبحرين، واليمامة[3].

فظهرت فكرة تقديس النار وتعظيمها، «فقد ذكر أهل الأخبار أن العرب كانت في الجاهلية الأولىٰ، إذا احتبس عنهم المطر، ويئسوا من نزوله، يجمعون

---

(١) الملل والنحل (٢/ ٣٧).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (١/ ٨٧).

(٣) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٣-٦٤).

البقر ويعقدون في أذنابها وعراقبها السلع والعشر ويصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر»[(١)].

وبذلك ظهر تأثير الديانة المجوسية علىٰ بعض مناطق العرب التي بعث فيها النبي ﷺ.

الفرع الثالث: ملل المشركين.

والمشركون هم الصنف السادس من أهل الملل الذين ذكرهم الله تعالىٰ في سورة الحج، وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، وقد عدَّهم القرآن الكريم قسمًا خاصًّا، ولكن هذا لا يعني أن غيرهم من أهل الملل الباطلة ليسوا بمشركين. بل كلهم مشركون بالله تعالىٰ.

١-تعريفهم.

وهم الذين عبدوا مع الله ﷻ إلهًا آخر، قال الآلوسي: «وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا المشهور أنهم عبدة الأوثان، وقيل: ما يعمهم وسائر من عبد مع الله تعالىٰ إلهًا آخر من ملك وكوكب وغيرهما ممن لم يشتهر باسم خاص كالصابئة والمجوس»[(٢)].

٢-الوثنية عند العرب.

دخلت الوثنية بلاد العرب عبر عمرو بن لحي الخزاعي، الذي خرج إلىٰ الشام فوجدهم يعبدون الأصنام، فأخذ منهم صنمًا ونصبه إلىٰ الكعبة[(٣)].

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢/ ٢٧٢).

(٢) تفسير الآلوسي (٩/ ١٢٤).

(٣) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٤٩).

فانتشرت عبادة الأصنام في بلاد العرب، «فعبدوا «هبل» في جوف الكعبة، ووَدًّا بدومة الجندل، واللات بالطائف، والعزىٰ بوادي النخلة، ومناة بالمشلل من قديد، وسواع في ينبع. كما كان منهم من عبدوا الملائكة أو الجن، وأنكروا الرسل والرسالات والبعث والنشور»[(١)].

«ولم تقتصر ديانات العرب علىٰ الوثنيات العربية وحدها، بل اعتنق العرب ديانات أخرىٰ كالمجوسية، واليهودية، والمسيحية»[(٢)].

أمام هذا الوضع بعث الله ﷻ محمدًا ﷺ للبشرية، ليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والخرافة إلىٰ نور الهداية والتوحيد، ومن عبادة المخلوقات إلىٰ عبادة الخالق ﷻ.

◆ خلاصة القول في هذا الفصل.

إن الملل كما بينها القرآن الكريم والحديث الشريف أقسام؛

فالقسم الأول: هو ملة الحق، وهي الحنيفية التي هي الإسلام، الذي جاء بها جميع الأنبياء والرسل، وعبَّر عنها القرآن الكريم والسنة الشريفة بملَّة إبراهيم.

أما القسم الثاني من الملل: فهو الملل الباطلة، ويدخل فيها كل ملَّة خالفت ملَّة الحق وانحرفت عن منهج الله ووحيِهِ ورسله. وأبرز هذه الملل؛ ملل أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارىٰ، وملل من لا كتاب لهم، وهم الصابئة والمجوس والمشركين.

والقاسم المشترك بينهم أنهم زاغوا عن منهج الله ووحيه، واتبعوا أهواءهم فضلُّوا عن الإسلام، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا يطعن بعضهم في بعض ويكفر بعضهم بعضًا.

---

(١) علم الملل ومناهج العلماء فيه (ص:٦٦).

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور (٣/ ٢٠).

الخاتمة

درس هذا البحث «مصطلح الملَّة في القرآن الكريم» وبين أنواعها وخلص إلىٰ نتائج أهمها:

أولًا: يرجع أصل الملَّة في اللغة إلىٰ معنىٰ الطريقة والاتباع والالتزام.

ثانيًا: حضور مصطلح الملَّة في القرآن الكريم معتبر ومنتشر في السور المكية والمدنية، مما يدل علىٰ كونه حاملًا لمفهوم أساسي في حياة الأمة.

ثالثًا: الملَّة قسمان كبيران؛ ملَّة الحق وهي ملَّة الإسلام. وملل الباطل وهي ملل الكفر.

رابعًا: عبَّر القرآن الكريم عن ملَّة الحق، بضميمة (ملة إبراهيم)، حيث لم ترد في القرآن الكريم إلا بذلك، وقد أفادت الدراسة بأمر الله تعالىٰ باتباعها، حيث أفادت صفاتها أنها أحسن الدين، والدين القيم، والصراط المستقيم، ملَّة سمحة ليس فيها حرج ولا تضييق.

خامسًا: الملل الباطلة جاءت مضافة للأقوام الكافرة؛ لأنها نتاج أهوائهم وتقليدهم لآبائهم، فناسب أن تضاف إليهم. وأبرز هذه الملل ملل أهل الكتاب وهم اليهود والنصارىٰ، وملل من لا كتاب لهم وهم الصابئة والمجوس والمشركين.

وقد حذر الله منها وأمر بتركها وبيَّن سوء عاقبتها، لأنها ملل تفتري الكذب علىٰ الله تعالىٰ، غارقة في الكفر، لا سند لمنتسبيها إلا اتباع الأهواء وتقليد ما كان

يعبده الآباء والأجداد دون علم، نتيجة اتباعها الخسارة وعدم الفلاح.

إلا أن البحث يبقىٰ مفتوحًا علىٰ دراسة قضايا أخرىٰ، لأن القضايا المرتبطة بالمفاهيم القرآنية من شأنها التعدد والتنوع من مثل:

-البحث في الدعائم التي تقوم عليها ملة الحق من خلال دراسة أعمق وأشمل للنصوص القرآنية والحديثية.

-البحث في وسائل أكثر نجاعة في كيفية جعل الأمة الإسلامية أمة مرتبطة بالملَّة الإبراهيمية اعتقادًا وعملًا، ورصد مواطن الخلل في تديُّن الناس من أجل تقديم حلول تمكِّن علاجه.

-البحث في كيفية الاستفادة من منهج سيدنا إبراهيم عليه السلام في التفكير والاستدلال لتوظيفه في واقعنا الحالي، دفاعًا عن الإسلام وردًّا لشبهات من يكيد للإسلام والمسلمين بالسوء. فملَّة إبراهيم أساس دعوة البشرية كافة إلىٰ الدِّين الحق، فكيف نؤسس لذلك عمليًّا في عالمنا المعاصر؟

-دراسة ملل الباطل في زماننا وظروف نشأتها وسبل التعامل معها.

والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. مراجعة وتحرير: علي سامي النشار. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م.

٣- البداية والنهاية. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: علي شيري. ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن. شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦- الديانات والعقائد في مختلف العصور. أحمد عبد الغفور عطار. ط١، بيروت: طبع بإشراف دار الأندلس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٧- الرسل والرسالات. عمر سليمان بن عبد الله الأشقر. ط٤، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٨- العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن

حجر. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

١٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة. ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية. د. أحمد الريسوني. تقديم د. محمد الروكي. ط١، القاهرة: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.

١٢- الكليات. أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري. د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

١٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٤- المستصفىٰ. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت

١٦- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (إبراهيم مصطفىٰ/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار). د.ط، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

١٧- المغني. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي. د.ط، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٨- المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

١٩- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. الدكتور جواد علي. ط٤، دار الساقي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٠- الملل والنحل. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل. د.ط، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.

٢١- الموافقات. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٢- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ عرض نقدي وتاريخي ميسر. ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل. ط١، الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٢٤- بحر العلوم. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، الملقب بإمام الهدى. تحقيق محمود مطرجي. ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٥- بنو إسرائيل في الكتاب والسنة. د. محمد سيد الطنطاوي. ط٢، القاهرة: دار الشروق الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٦- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

٢٧- تهذيب اللغة. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٩- حاشية الدسوقي علىٰ الشرح الكبير. ابن عرفة، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي. د.ط، دار الفكر، د.ت.

٣٠- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣١- سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٢- علم الملل ومناهج العلماء فيه. د. أحمد بن عبد الله جود. إشراف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل. ط١، الرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣٣- لسان العرب. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علىٰ الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقي. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٣٤- معاني القرآن وإعرابه. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٥- معجم مقاييس اللغة. الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني. تحقيق عبد السلام محمد هارون. د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٦- موسوعة الملل والأديان. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف. الناشر: موقع الدرر السنية علىٰ الإنترنت dorar.net، تم تحميله في ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

٣٧- نظرات في المصطلح والمنهج. د. الشاهد البوشيخي. سلسة دراسات مصطلحية: ٢. ، ط٣، د.ن، يونيو ٢٠٠٤م.

References and Sources

1) The Holy Quran.

2) Beliefs of Muslim and Polytheists, Fakhr al-Din Al Razi, Review and Editing by Ali Sami Al-Nashar, Dar al-Serami- Beirut, 1402 Ah / 1982 AD.

3) Beginning and End, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Kabir al-Qurashi al-Basri and then Damascene (deceased: 774 Ah), Investigation: Ali Sherry, House of Revival of Arab Heritage, Edition: First 1408, E- 1988 AD.

4) The mosque of Al-Masnad, the correct acronym for the affairs of the Messenger of God, peace be upon him, his age and his days, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Jaafi, investigation: Mohammed Zuhair bin Nasser al-Nasser, Dar Al-Tuq al-Najat (pictured on the Bowl with the addition of numbering Muhammad Fouad Abdel Baki), Edition: 1, 1422 Ah.

5) The Mosque of the Provisions of the Qur'an, Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji Shamseddine al-Qartabi (deceased: 671 Ah), Investigation: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Attish, Egyptian Book House - Cairo, Edition: II, 1384 Ah - 1964 AD.

6) Religions and beliefs of various times, Ahmed Abdel Ghafoor Attar, printed under the supervision of Dar Al-Andalus - Beirut - Edition: First 1401 Ah / 1981 AD.

7) Apostles and Letters, Omar Suleiman bin Abdullah al-Ashkar, Al-Falah Library, Kuwait, Edition: 4th, 1410 Ah- 1989 AD.

8) Al Ain, Abu Abdul Rahman al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim al-Farahidi al-Basri (deceased: 170 Ah), Investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar and Library of the Crescent.

9) Chapter in Boredom, Whims and Bees, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm al-Andalusi Al-Qartabi Al-Dhaheri (deceased: 456 Ah), Investigation: Mohamed Ibrahim Nasr, Abdul Rahman Amira, Dar al-Jil - Beirut, Edition: II, 1416 Ah / 1996 AD.

10) Basic Colleges of Islamic Law, Dr. Ahmed Al Raisoni, Presented by Dr. Mohammed Al-Roki, Al-Qahma Publishing and Distribution House - Cairo, Edition: 1st 1434 Ah / 2012 AD.

11) Colleges, Ayoub bin Musa al-Husseini al-Quraimi Al-Kfoury, Abu al-Aqia al-Hanafi (deceased: 1094 Ah), investigation: Adnan Darwish- Mohammed al-Masri, Al-Resala Foundation - Beirut.

12) The brief editor in the interpretation of the book Aziz, Abu Muhammad Abdul Haq bin Ghaleb bin Abdul Rahman bin Tammam bin Tammam bin Attia al-Andalusi al-Ma'adiri (deceased: 542 Ah), investigation: Abdessalam Abdul Shafi Mohammed, Dar al-Suri al-Suri , Beirut, Edition: 1st - 1422 Ah.

13) Al-Mustafi, Abu Hamed Mohammed bin Mohammed al-Ghazali al-Tusi (deceased: 505 Ah), Investigation: Mohammed Abdul Salam Abdul Shafi, Dar al-Sali, Edition: First, 1413 Ah - 1993 A.D.

14) The correct and brief assigned to the transfer of justice from justice to the Messenger of God, Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hassan al-Qasiri al-Nisaburi (deceased: 261 Ah), investigation: Mohammed Fouad Abdel Baki, House of Revival of Arab Heritage - Beirut.

15) Intermediate Dictionary, Cairo Arabic Language Complex (Ibrahim Mustafa / Ahmed Al Zayat / Hamed Abdel Kader / Mohammed Al Najjar), Al Shorouk International Library, 2004.

16) The singer of Ibn Imama, Abu Mohammed Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmed bin Mohammed bin Imama al-Qaddali al-Maqdisi and then Damascene Al-Hambali, famous for ibn Imama al-Maqdisi (deceased: 620 Ah), Cairo Library, without edition, publication date: 1388 Ah - 1968 AD.

17) Vocabulary in the Strange Qur'an, Abu al-Qasim al-Hussein bin Mohammed, known as Ragheb Al-Isfahani (deceased: 502 Ah), Investigation: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar al-Qalam, Dar al-Shamiya - Damascus Beirut, Edition: 1st - 1412 Ah.

18) Detailed in the history of pre-Islamic Arabs, Dr. Jawad Ali (deceased: 1408 Ah), Publisher: Dar al-Saki, Edition: 4th 1422 Ah / 2001 AD.

19) Boredom and Bees, Abu al-Fath Mohammed bin Abdul Karim bin Abi Bakr Ahmed Al-Shahristani (deceased: 548 Ah), Investigation: Abdul Aziz

Mohammed Al-Wakil, Al-Halabi & Co., Cairo, 1387 Ah- 1968 A.D.

20) Approvals, Ibrahim bin Musa bin Mohammed al-Lakhmi Al-Gharnati, famous for his shatabi (deceased: 790 Ah), Investigation: Abu Obeida Mashhour bin Hassan Al Salman, Dar Ibn Afan, Edition: 1st 1417 Ah/ 1997.

21) Summary in contemporary religions and doctrines; critical and historical presentation messer, Nasser bin Abdullah al-Qafari and Nasser bin Abdul Karim al-Akl, Al-Sama'i Publishing and Distribution House - Riyadh, Edition: First, 1413 Ah - 1992 AD.

22) The Easy Encyclopedia of Religions, Sects and Contemporary Parties, Preparation of the International Symposium on Islamic Youth, Supervision, Planning and Review: Dr. Manaa Bin Hammad Al-Jahni, Publisher: World Symposium House for Printing, Publishing and Distribution, Edition: 4th, 1420 Ah.

23) Bahr al-Uloom, Abu al-Laith, Nasr bin Mohammed bin Ahmed, Al-Samarqandi, alias Imam al-Huda, Investigation of Mahmoud Matarji, Dar al-Thought - Beirut, Edition: 1418 Ah - 1997 AD.

24) The Sons of Israel in the Book and the Sunnah, Dr. Mohammed Sayed Al-Tanawi, Dar Al-Shorouk I, Cairo, Edition: 2nd, 1420 Ah - 2000 AD.

25) Editing the good meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the glorious book, Mohamed Taher ben Mohamed ben Mohamed Ben Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 Ah), Tunisian Publishing House - Tunisia, 1984 Ah. Alusi Interpretation

26) The Refinement of the Language, Mohammed bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harwi, Abu Mansour (deceased: 370 Ah), Investigation: Mohammed Awad Mareeb, Arab Heritage Revival House - Beirut, First Edition, 2001.

27) Al-Bayan Mosque in the interpretation of the Qur'an, Muhammad bin Greer bin Yazid bin Kabir bin Ghaleb al-Ameli, Abu Jaafar al-Tabari (deceased: 310 Ah), investigation: Ahmed Mohammed Shaker, Foundation of the Letter, Edition: First, 1420 Ah - 2000 AD.

28) Al-Desouki's footnote to the great commentary, Muhammad bin Ahmed bin Arafa al-Desouki al-Maliki (deceased: 1230 Ah), Dar al-Fikr, without edition and without history.

29) Studies in Judaism, Christianity and Indian Religions, Mohammed Ziaur Rahman Al-Adhami, Library of Majority - Riyadh, Edition: 2nd, 1424 Ah / 2003 AD.

30) Sinan Abi Daoud, Abu Daoud Suleiman bin Al-Sha'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr al-Azdi al-Sajstani (deceased: 275 Ah), Investigation: Shoaib al-Arnaout - Mohammed Kamel Qara Balali, Dar al-Resala Al-Aly, Edition: 1, 1430 Ah - 2009 AD.

31) The Science of Boredom and the Curricula of Scholars in it, Dr. Ahmed bin Abdullah Jude, Supervision: Dr. Nasser bin Abdul Karim al-Akl, Dar al-Fadhila - Riyadh, Edition: First, 1425 Ah - 2005 AD.

32) Al-Arab, Mohammed bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din, son of The Perspective of Al-Ansari al-Ruweifi al-Africa (deceased: 711 Ah), Dar Sader- Beirut, Edition: 3rd - 1414 Ah.

33) Meanings and expressions of the Qur'an, Ibrahim ibn al-Serri bin Sahl, Abu Ishaq al-Glass (deceased: 311 Ah), Investigation: Abdul Jalil Abdo Shalabi, Book World - Beirut, Edition: First 1408 Ah - 1988 AD.

34) Dictionary of Language Standards, Ahmed bin Fares bin Zakaria al-Qazwaini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 Ah), Investigation of Abdessalam Mohammed Haroun, Dar al-Fikr, 1399 Ah - 1979 AD.

35) Encyclopedia of Boredom and Religions, a group of researchers under the supervision of Sheikh Alawi bin Abdul Qadir Al-Saqqaf, publisher: The Sunni Al-Darr website dorar.net, downloaded in the first spring of 1433 Ah.

36) Looks at the term and approach, Dr. Al-Shahid Al-Bushkhi, Series of Terminology Studies: 2, Third Edition: June 2004.

فهرس الموضوعات

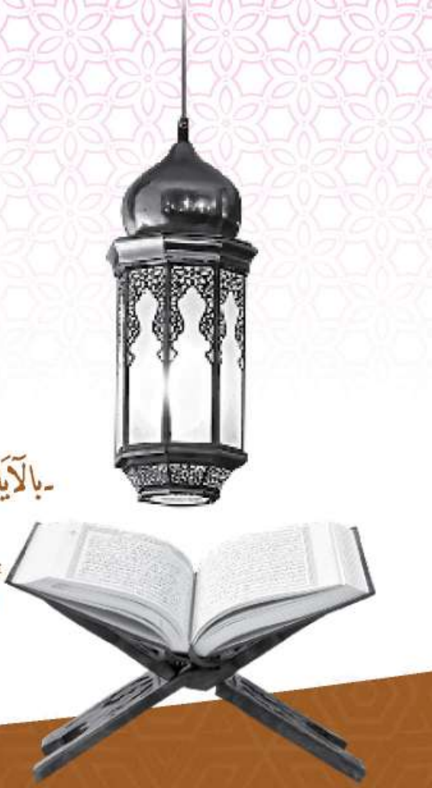
مجلة تدبر





ثانيًا: مُستَخلَصاتُ الرَّسائِل والمَشارِيع العِلْمِيَّة

مجلة تدبر



تقرير رسالة علمية بعنوان:

استشهاد الصحابة رضي الله عنهم -بالآيات القرآنية من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام- جمعًا ودراسة

The Prophet's Companions' Citation of Quranic Verses from Surat Al-Fatiha to the end of Surat Al-An'am .. Collection and Study

د. سليمان محمد كمارا

Sulayman Muhammad Camara

- العنوان: استشهاد الصحابة رضي الله عنهم بالآيات القرآنية من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام - جمعًا ودراسة.
- الباحث: سليمان محمد كمارا، غامبي الجنسية.
- المشرف: الأستاذ الدكتور/ حكمت بن بشير ياسين.
- الدرجة: الدرجة العالمية العالية (الدكتوراه).
- الجهة المانحة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- العام الجامعي: ١٤٤٣هـ.
- التقدير: ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.
- الوصف المادي: يقع البحث في مجلد واحد (٤٦٦ صفحة).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التقرير

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن علم تفسير القرآن من أجلِّ العلوم قدرًا، وأرفعها شرفًا ومنارًا، سيَّما إذا كانت العناية بتفسير الطبقة المباركة -طبقة الصحابة- التي عايشت نزول هذا الكتاب العظيم، وكانت العربية سليقتهم، وحسن المعتقد ميزتهم، ودقَّة الفهم سجيَّتهم، كيف لا؟ وهو المصدر الثالث من مصادر التفسير.

أهمية الدراسة وأسباب الاختيار:

من هنا وجب الاعتناء بما نُقل لنا عنهم، فتفسيرهم للقرآن واستدلالهم واستشهادهم بآياته يمثِّل اللبنة الأُولىٰ لهذا العِلم الشريف، وكلُّ من أتىٰ بعدهم عيالٌ عليهم.

ولقد اهتم العلماء بتفسير الصحابة ﵃ منذ أوائل تدوين العلوم، سيما علماء الحديث، فقد أفردوا لبعضه أبوابًا في كتبهم، وضمَّنوا بعضه الأبواب الأخرىٰ، وكذلك علماء التفسير، أوردوه عند الآيات التي جاء تفسيرًا لها، وبيَّنوا دلالته علىٰ معنىٰ الآية.

بيد أن تفسير الصحابة ﵃ للآيات القرآنية أنواع متعددة، حظيت بعض أنواعه باهتمام المفسرين أكثر من البعض الآخر؛ وذلك إما لظهوره في بعضٍ وخفائه في بعضٍ آخر، أو صراحته في بعضٍ وتضمينه في بعضٍ آخر.

ومن تلك الأنواع التي قلَّ حظُّها في التناول: ما استشهد بها الصحابة ﵃ من الآيات القرآنية، وظهر من خلال ذلك الاستشهاد أنَّ بين معاني الآية ومعنىٰ الأثر تلازمًا، بعضها صريح الدلالة علىٰ معنىٰ الآية، وبعضها يتضمَّن تنبيهات وإلماحات لا يُستغنىٰ عنها في التفسير وفهم المعنىٰ.

ومن أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية الدراسات التأصيلية لتفسير القرآن بالآثار المروية عن الصحابة ﵃، فأحببت أن أسهم في إثراء هذا الجانب من جوانب علم التفسير.

٢- أن هذا النوع من التفسير: متفرق في مظانه من دواوين الحديث، وكتب التفسير، وجمعه في موضوع واحد، وإيراد أقوال العلماء فيه يسهل للباحث في علوم القرآن الاطلاع علىٰ هذا النوع من التفسير.

٣- الوقوف علىٰ أوجه تفسير الصحابة ﵃ للقرآن ودراسته دراسةً تأصيلية تبين معالمه.

٤- الاقتداء بمنهج الصحابة ﵃ في التأمل، والتدبر.

٥- توسيع مجال الآفاق البحثية حول استنباط التفسير من أقوال الصحابة ﵃.

٦- قلة الدراسات التحليلية لآثار السلف، علىٰ الرغم من أهميتها البالغة؛ للوقوف علىٰ مناهجهم وطرقهم في التفسير والاستدلال وغير ذلك.

أهداف الدراسة:

١- العناية باستشهادات الصحابة رضي الله عنهم، وجمعها وإفرادها بالبحث والدراسة.

٢- إبراز تفسير السلف وعمل تراث ضخم وكبير لاستشهادات الصحابة رضي الله عنهم وفِقْهِهم من خلال ما فهموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- الاطلاع علىٰ المنهج الصحيح للاستنباط من القرآن الكريم، وإيضاح المنهج المتبع في التدبر والتأمل في آيات الكتاب العزيز من خلال بيان وجوه استشهاد الصحابة رضي الله عنهم بآيات من القرآن.

٤- بيان طرق العلماء في استنباط التفسير من أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وتوضيح مسالكهم في ذلك.

ثالثًا: تساؤلات الدراسة:

تسعىٰ هذه الدراسة للإجابة علىٰ التساؤلات التالية:

١- ما تعريف الاستشهاد عامة، والشاهد القرآني خاصة؟

٢- ما الفرق بين الاستشهاد والاستدلال؟

٣- ما الفرق بين تفسير الصحابة الصريح، والتفسير المستنبط من أقوال الصحابة المتضمنة للشواهد القرآنية؟

٤- كيف يستفاد من آثار الصحابة المتضمنة للشواهد القرآنية في فَهْم معنىٰ الآية إجمالًا؟

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يسير البحث وفق المنهج التالي:

١- **اعتماد المنهج الاستقرائي**: وذلك باستقراء كتب التفسير بالمأثور؛ كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن المنذر، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، إضافة إلىٰ كتاب الدر المنثور للسيوطي رحمهم الله جميعًا، وجمع الآثار المتضمنة للشواهد القرآنية من هذه الكتب، ثم استقراء كلام علماء التفسير وشراح الحديث، وجمع ما له علاقة بالموضوع.

٢- إيراد ما يصلح الاحتجاج به دون غيره؛ وهو الصحيح والحسن بأقسامه، وذلك وِفق حُكم علماء الحديث عليه، ويستثنىٰ من ذلك الآثار التي انفرد السيوطي بذكرها في الدر المنثور، ولم يوجد في دواوين السنة، ولا حكم عليه المحققون.

٣- ذكر أصح الطرق عند تعددها، وإذا اختلفت ألفاظها أخذت بأكثرها مساسًا لمعنىٰ الآية. وإن كان في اختلاف الألفاظ زيادة في المعنىٰ فإني أذكر الأثر بألفاظه المختلفة، مع توجيه المعنىٰ لكل لفظة.

٤- مراعاة ترتيب الآثار التي تضمنت الاستشهاد بالآيات حسب ترتيب سور القرآن. وإذا كان في الأثر الواحد أكثر من آية في معنىٰ واحدٍ فإني أكتفي بأسبق سورة؛ تفاديًا للتطويل والتكرار.

٥- **في قسم التطبيق**: ذكر الآية التي كان الاستشهاد بها في الأثر في مطلع الكلام عنها، ثم ذكر الأثر، ثم إيراد معنىٰ الآية إجمالًا، ثم وجه الاستشهاد، فكلام العلماء علىٰ الآية وتوجيههم لمعنىٰ الآية والأثر.

تقسيمات الدراسة:

تشتمل الدراسة علىٰ مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وفصلين، وخاتمةٍ، وفهارس.

المقدمة: وفيها:

أهمية الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع.

الدراسات السابقة.

خطة البحث.

حدود البحث.

منهج البحث.

التمهيد. يشتمل علىٰ أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشاهد القرآني.

المطلب الثاني: تعريف الاستشهاد، والفرق بينه وبين الاستدلال.

المطلب الثالث: أهمية التفسير بأقوال الصحابة، وأنواعه، ومنزلة أقوال الصحابة في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الفرق بين تفسير الصحابة الصريح، والتفسير المستنبط من أقوال الصحابة المتضمنة للشواهد القرآنية.

الفصل الأول: آثار الصحابة المتضمنة للشواهد القرآنية والاستفادة منها في فَهْم معنىٰ الآية إجمالًا:

ويشتمل علىٰ خمسة مباحث:

المبحث الأول: المراد بآثار الصحابة التي تعد تفسيرًا للشواهد القرآنية الواردة فيها.

المبحث الثاني: أسباب اعتبار الأثر المتضمن للشاهد القرآني تفسيرًا للآية.

المبحث الثالث: بيان وجه انحصار معنىٰ الآية في معنىٰ الأثر المتضمن للآية وعدمه.

المبحث الرابع: طرق الوقوف علىٰ المعنىٰ القرآني من خلال الآثار المتضمنة للشواهد القرآنية.

المبحث الخامس: دلالة الأثر علىٰ معنىٰ الشاهد القرآني.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية للآثار المتضمنة للشواهد القرآنية.

ويشتمل علىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار التي استشهد فيها الصحابة بآيات من سورة الفاتحة والبقرة.

المبحث الثاني: الآثار التي استشهد فيها الصحابة بآيات من سورة آل عمران والنساء.

المبحث الثالث: الآثار التي استشهد فيها الصحابة بآيات من سورة المائدة والأنعام.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس:

وتشمل فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث والآثار، وفهرس الأعلام، وثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا، والحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله علىٰ ما منَّ علي من إتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد هذه الرحلة الميمونة التي طفت خلالها بين بساتين الصحابة الواسعة، وما قطفت من ثماره اليانعة، وارتويت من ينابيعه الصافية، وما منَّ الله عليَّ من الاطلاع علىٰ أقوال العلماء، وتوجيهاتهم لأقوال الصحابة، فقد توصلت إلىٰ نتائج، من أهمها:

أولًا: نتائج الدراسة:

١- في أثناء جمع مادة الرسالة تبيَّن وجود ضعف في أسانيد كثيرة من الآثار التي وقع فيها الاستشهاد بالآيات القرآنية، وأوردها المفسرون أو المحدثون في كتبهم، مما تسبب في إسقاط كثير من الآثار التي تم جمعها في الجرد الأول.

٢- تناولتِ الدراسة ثلاثةً وعشرين ومائة أثرٍ، مرويًّا عن ثلاثةٍ وعشرين صحابيًا رضي الله عنهم.

٣- اختلفت رواياتهم واستشهاداتهم بالآية قلة وكثرة، فأكثرهم استشهادًا بالآية استشهادات ابن عباس رضي الله عنه، فقد بلغت (٤٨) موضعًا، وابن مسعود (١٧) موضعًا، وابن عمر (١٠) مواضع، وعائشة (٨)، وعلي بن أبي طالب (٧)، وعمر (٦)، وأبو الدرداء (٣)، وكل من أبي بكر الصديق وأَبي أُمامة (٢)، ولكل من البقية أثر واحد.

٤- إن علماء الحديث يطلقون الأثر علىٰ المرفوع والموقوف، والفرق بينهما أن الأثر إذا أُطلق غير مقيَّد فإنه لا ينصرف إلا إلىٰ الموقوف الصحابي، أما المرفوع فلا يطلق عليه الأثر إلا مقيَّدًا؛ كقولهم: وفي الأثر عن النبي ﷺ كذا.

٥- تفسير الصحابة منه ما يدل علىٰ معنىٰ الآية دلالة صريحة، ومنه ما يحتاج إلىٰ قرائن تدل علىٰ كونه تفسيرًا، ويحتاج إلىٰ تطبيق قواعد الأصول، والنظر من خلالها إلىٰ بيان دلالة الأثر علىٰ المعنىٰ.

٦- من ضروب الاقتباس والتضمين: ما كان الاستشهاد بآية مع اختلاف يسير في نظم الآية عما وردت عليه في المصاحف.

٧- الغالب في الآثار التي تبيِّن معنىٰ لفظة قرآنية أنها تبيُّنها من جهة استعمالها في القرآن، لا من جهة وضعها في اللغة.

٨- منهج المفسرين في استعمالهم لقواعد الأصول -من عام وخاص، ومطلق ومقيد، ...- أوسع من منهج الأصوليين؛ لأنهم في الغالب يستعملونها في آيات الأحكام، بينما يطبقها المفسرون علىٰ عموم الآيات.

٩- من أبرز مصنفي التفسير الذين عنوا بتوجيه استشهادات الصحابة بالآيات القرآنية: الإمام الطبري، وابن العربي، وابن عطية، وفخر الدين الرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، والآلوسي، وابن عاشور، والشنقيطي، كما كان لشراح الحديث والأثر اهتمامًا بالجمع بين الأثر والآية ودراستها من خلال أقوال المفسرين، ومن أشهرهم: الخطابي، وابن عبد البر، وأبو العباس القرطبي، والنووي، وابن حجر.

١٠- تنزيل الصحابة للآية علىٰ الواقع لا يدل أنها نزلت فيهم، وإنما يعني أن معنىٰ الآية تشمل من اتصف بما ذكر في الآية من مذمة أو مدح.

ثانيًا: التوصيات:

١- العناية بتفسير الصحابة ﭢ، فهو المصدر الثالث الذي لا يمكن لأحد يريد التمكُّن في التفسير إغفال تفسيرهم، فيُعتنىٰ بدراسة الآثار الواردة عنهم، والحاجة لا تزال قائمة إلىٰ استقراء كتب التفسير وغيرها وجمع ما تحتويه من تلك الدرر، ودراستها واستنتاج المسائل التفسيرية منها، سيما القواعد التفسيرية.

٢- وضع منهج وسط في دراسة آثار الصحابة التفسيرية، وعدم إعمال جميع قواعد المحدثين علىٰ تلك الآثار.

٣- ومما له علاقة وطيدة بهذا البحث: استشهاد التابعين بالآيات القرآنية، فإنك تجد استشهاداتهم وتنزيلاتهم للآية علىٰ الوقائع المشابهة لمعنىٰ الآية مبثوثًا في كتب التفسير وكتب الحديث، فلو جمعت ودرست واستُنتج منها ما له علاقة بالتفسير لأزهىٰ المكتبة القرآنية، وقد توسعوا في الاستشهاد بالآيات بما لم يكن في زمن الصحابة ﭢ، وأنزلوا الآيات علىٰ وقائع وأحداث تعين في فهم الآية.

وختامًا:

فهذا جهد المقلِّ، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمني ومن الشيطان، والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وعملًا، وأن ينفع بهذا التقرير قرّاء مجلة تدبر.

وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مجلة تدبر



تقرير عن معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه

Report about Imam Al-Shatibit Institute for the Holy Quran and Its Sciences

إعـــداد : إدارة المعهد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسرنا أن نضع بين يدي قرّاء «مجلة تدبر» تقريرًا عن معهد الإمام الشاطبي للقرآن وعلومه.

نشأة المعهد:

أنشئ معهد الإمام الشاطبي قبل عقود ثلاثة في عام ١٤١٠هـ؛ ليصبح معهدًا قرآنيًّا متخصصًا في المملكة؛ لتأهيل معلمي ومعلمات القرآن الكريم، وتطوير معارفهم، وصقل مهاراتهم، واستشراف احتياجاتهم، والعمل علىٰ الرقي بهم علميًّا وتربويًّا.

الركائز التي يقوم عليها المعهد:

واليوم يقوم المعهد علىٰ ثلاث ركائز:

الأولىٰ:

الإقراء القرآني ومنح الإجازات بالسند المتصل إلىٰ النبي ﷺ.

والثانية:

التعليم والتدريب ببرامج قرآنية متخصصة في تأهيل معلمي ومعلمات القرآن الكريم، تتسم بالريادة والابتكار وتسد ثغرة في التعليم القرآني.

الثالثة:

البحث العلمي والنشر الأكاديمي، حيث يُنتج المعهد كتبًا علمية متخصصة، وينشر مقرراتٍ دراسيةً تدرَّس في الجامعات والكليات والمعاهد، ويُصدر مجلة

علمية محكَّمة في القرآن وعلومه.

◆ الرؤية:

قيادة الابتكار في التأهيل والتطوير المتخصص في تعليم القرآن الكريم وعلومه.

◆ الرسالة:

مؤسسة أكاديمية، تعنىٰ بتأهيل القائمين علىٰ تعليم القرآن الكريم، وتطوير أساليبه ومناهجه، من خلال تقنيات حديثة وشراكات استراتيجية، كما تعنىٰ بتقديم برامج ومنتجات مبتكرة في تعليم القرآن الكريم وعلومه ذات أثر نوعي مُستدام تواكب الاحتياجات المعاصرة، وتحقق مكانة علمية متميزة.

◆ القيم:

التكامل والمبادرة والاهتمام والإتقان والمصداقية والتمكين.

◆ الأهداف الاستراتيجية:

١- تأهيل الكفاءات المتخصصة في مجال تعليم القرآن الكريم أكاديميًّا ومهاريًّا.

٢- استقطاب وتمكين كفاءات متخصصة في مجالات عمل المعهد.

٣- تطوير البرامج والمنتجات التعليمية القرآنية.

٤- توظيف التقنية وتطبيقاتها والابتكار في تعليم القرآن الكريم وعلومه.

٥- بناء الشراكات الاستراتيجية الفاعلة مع الجهات والأفراد.

٦- إبراز مكانة علمية متميزة للمعهد وطلابه ومخرجاته.

٧- تعزيز البنية المؤسسية المتوافقة مع معايير الجودة والتميز.

٨- بناء منظومة متكاملة لتحقيق الاستدامة المالية لمشاريع المعهد وبرامجه.

أوليات معهد الإمام الشاطبي:

- أول دبلوم لمعلمي القرآن الكريم معتمد من المجلس الأعلىٰ لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة.

- أول مؤسسة غير ربحية تصدر مجلة علمية محكَّمة متخصصة في القرآن الكريم.

- أول جهة تابعة لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم تصدر مقررات دراسية تدرس في المعاهد والجامعات.

- أول مؤسسة قرآنية تنشئ قاعدة بيانات لأوعية المعلومات القرآنية.

منجزات معهد الإمام الشاطبي:

إقراء القرآن الكريم:

٣٤ عامًا ومعهد الإمام الشاطبي يضع نصب عينيه إقراء القرآن الكريم ومنح الإجازة فيه، والمساهمة في المحافظة علىٰ السند القرآني حتىٰ تمكن من صناعة أجيال تتلوها أجيال من مجازي شيوخ الإقراء لديه، مسخرًا أحدث التقنيات لتحقيق هذا الهدف.

وقد بلغ عدد المجازين بالقراءات القرآنية: ٧٨٦ مجازًا ومجازة.

وبلغ عدد المستفيدين من المقارئ القرآنية: ١٢,٦٤٥ مستفيدًا ومستفيدة.

التعليم والتدريب:

يعد التعليم والتدريب القرآني من أهمِّ الأسس التي قام عليها المعهد من حين تأسيسه، فمذ أيامنا الأولىٰ قدَّمنا تدريبًا متخصصًا لمعلمي ومشرفي حلقات القرآن الكريم لتأهيلهم تأهيلًا علميًّا ومهاريًّا وتربويًّا، هادفين إلىٰ تخريج معلمين ومشرفين -من الجنسين- متَّسمين بالتميز والإتقان، ولبلوغ هذه الغاية أسَّسْنا مركزًا يُعنىٰ بتوفير برامج تدريبية متكاملة وفق أفضل الممارسات.

الدبلومات والبرامج والدورات الدراسية بالمعهد:

أولًا- الدبلومات:

١- دبلوم إعداد معلمي ومعلمات القرآن الكريم.

٢- دبلوم القراءات.

٣- دبلوم التفسير.

٤- دبلوم إعداد معلمة رياض الأطفال.

٥- دبلوم إدارة المؤسسات القرآنية.

وقد بلغ عدد خريجي الدبلومات الأكاديمية: ١,٥٣٧ خريجًا وخريجة.

ثانيًا- البرامج الفصلية:

١- البرنامج التأهيلي الشامل لمعلمي القرآن الكريم.

٢- برنامج كفاءة لإعداد معلمات رياض الأطفال.

٣- برنامج رائدات لإعداد مشرفات رياض الأطفال.

ثالثًا- الدورات العامة:

وهي دورات في علوم القرآن، وتجويده، وقراءاته، ومهارات تعليمه، والإجازة بذلك، والتعريف بتاريخ القرآن ومراحل جمعه، وعلم رسمه، واصطلاحات ضبطه، وقواعد تفسيره، وما يتعلق بذلك من علم العَروض.

والمدد الزمنية للدورات العامة ما بين ٤ ساعات و٤٨ ساعة.

ومن أبرز الدورات العامة:

اسم الدورة	عدد الساعات
شرح أصول متن الشاطبية في القراءات السبع	٤٨
مدخل إلىٰ علم القراءات	٢٤
شرح أصول متن الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية	٢٤
شرح أصول رواية الإمام ورش عن نافع	١٦
دورة شرح أصول قراءة الإمام حمزة الكوفي	١٦
شرح أصول قراءات الأئمة (قالون - ابن كثير - أبو جعفر)	١٦
المهارات الأساسية لإتقان التجويد	١٢
مخارج الحروف وصفاتها بين علماء التجويد وعلماء اللغة	٨
شرح أصول قراءة الإمام الكسائي	١٢
قواعد في حسن تلاوة القرآن الكريم	١٠
دورة قواعد التفسير وأصوله	١٠
شرح منظومة السهم الرشيق في قراءة التحقيق	١٠
دورة مهارات ضبط المتشابه اللفظي في القرآن	١٠

المدخل إلىٰ علم العَروض	١٠
مخارج الحروف وصفاتها بين علماء التجويد وعلماء اللغة	٨
دورة مبادئ وتطبيقات في علم الوقف والابتداء	٨
المدخل إلىٰ علم رسم المصحف وضبطه	٨
دورة مدخل إلىٰ علوم القرآن الكريم	٨
مهارات شرح متون التجويد	٤
مسارات ما بعد الإجازة القرآنية	٤
مراحل جمع القرآن الكريم	٤
الوقف والابتداء بين الإمامين الداني والسجاوندي	٤
اصطلاحات ضبط المصحف الشريف	٤
دورة مهارات الحفظ التربوي للقرآن الكريم	٤
دورة التعريف بالإجازة القرآنية	٤

رابعًا- الدورات النسائية:

وهي دورات تركز علىٰ تجويد القرآن، وقواعد حفظه، ومهارات تعليمه، والتأهيل للإجازة القرآنية، وإدارة المؤسسات التعليمية القرآنية. والمدد الزمنية للدورات النسائية ما بين ٤ ساعات و١٤٠ ساعة.

ومن أبرز الدورات النسائية:

اسم الدورة	عدد الساعات
تطوير الأداء القرآني (المستويات الثلاثة)	١٤٠
دورة التأهيل للإجازة القرآنية	٤٨

الإتقان للتدريب علىٰ أحكام التلاوة	٤٨
دورة الحفظ والتثبيت	٤٨
المهارات اللغوية لمعلمة القرآن الكريم	٣٠
دورة شرح متن الجزرية	٢٨
استراتيجيات التعلم النشط في تعليم القرآن الكريم	٨
التميز الإداري في المؤسسات القرآنية	٨
قواعد ضبط متشابهات القرآن الكريم	٨
مهارات التفكير الإبداعي لمعلمات القرآن الكريم	٨
استراتيجيات التدريس الحديثة في تعليم القرآن الكريم	٨
التعلم النشط وتطبيقاته في تعليم القرآن الكريم	٨
مهارات الإقراء وتصويب أخطاء الأداء	٨
قواعد في ضبط متشابهات القرآن الكريم	٨
مهارات تميز معلمة القرآن الكريم في بيئة العمل	٤
طرق تدريس تجويد القرآن الكريم	٤
تصميم الاختبارات الموضوعية	٤
مهارات التفكير الإبداعي لمعلمات القرآن الكريم	٤
تصميم العروض التعليمية بطريقة احترافية	٤

وقد بلغ عدد المتدربين في الدورات التدريبية: ٧٣٧٢٨ متدربًا ومتدربة.

ويقدم المعهد برامجه عبر الانترنت لآلاف المستفيدين في أكثر من ٨٤ دولة حول العالم.

الكتب والإصدارات:

يتميز معهد الإمام الشاطبي بوجود مركز متخصص في إعداد وتأليف الكتب والمقررات الدراسية في المجال القرآني.

موسوعة التفسير المأثور:

تعد موسوعة التفسير المأثور التي تقع في ٢٥ مجلدًا درة إصدارات المعهد، وقد عمل عليها فريق من الباحثين والأكاديميين علىٰ مدىٰ ١٠ سنوات.

تشتمل هذه الموسوعة علىٰ جميع ما ورد عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعيهم في تفسير القرآن الكريم؛ معزوًّا إلىٰ مصادره الأصلية، التي تعدت كتب التفسير المسندة إلىٰ جميع الكتب المسندة في الحديث والعقيدة والسير والتراجم والفقه، وتتضمن تعليقات: ابن جرير، وابن عطية، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير علىٰ الأحاديث والآثار الواردة في التفسير؛ بتوضيحها أو توجيهها أو الموازنة بينها.

وقد رتبت أحاديث وآثار الموسوعة تاريخيًّا حسب الطبقات، ثم صنِّفت موضوعيًا، بدءًا بالقراءات، فالنزول، فالنسخ، فالتفسير، فالأحكام، ثم الآثار المتعلقة بالآية مما سوىٰ ذلك.

مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية:

يصدر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالمعهد مجلة قرآنية محكَّمة تعنىٰ بنشر الأبحاث والأعمال العلمية المتصلة بالقرآن وعلومه؛ وفق المعايير العالمية للبحوث العلمية المحكمة، وتصدر مرتين في العام. وقد مضىٰ علىٰ انطلاقتها ١٨ عامًا (منذ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ)، وبلغت أعدادها ٣٤ عددًا.

مجموعة الأعمال الكاملة للعلامة الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (١٣٢٥-١٤٠٣هـ):

ومن إصدارات المعهد الكبرىٰ مجموعة الأعمال الكاملة للعلامة الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، وهو من أشهر علماء القراءات في هذا العصر، وقد اتفق المعهد مع ورثته علىٰ إعادة طبع مؤلفاته التي سبق نشرها محققة، وطباعة ما لم ينشر منها كذلك؛ سواء كان في علوم القرآن أو في غيرها، وقد أسند الإشراف علىٰ تحقيقها وضبطها ومراجعتها إلىٰ الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ.

أبرز إصدارات المعهد من المقررات الدراسية وغيرها:

١- الميسر في علوم القرآن/ إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالمعهد- أربع طبعات.

٢- الميسر في علم التجويد/ تأليف: أ.د. غانم قدوري الحمد- خمس طبعات.

٣- الميسَّر في علم رسم المصحف وضبطه/ تأليف: أ.د. غانم قدوري الحمد- ثلاث طبعات.

٤- الميسَّر في علم عدِّ آي القرآن/ تأليف: أ.د أحمد خالد شكري- ثلاث طبعات.

٥- المدخل إلىٰ علم القراءات/ تأليف: د. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي- طبعتان.

٦- الميسَّر في أصول التفسير/ إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالمعهد- طبعتان.

٧- التحرير في أصول التفسير/ تأليف: أ.د. مساعد بن سليمان الطيار- ثماني طبعات.

٨- علم الاستنباط من القرآن - المفهوم والمنهج/ تأليف: د. نايف بن سعيد الزهراني- طبعتان.

٩- طرائق ومهارات تدريس القرآن الكريم/ تأليف: أ.د. علي بن إبراهيم الزهراني- طبعتان.

١٠- المحرر في علوم القرآن/ تأليف: أ.د. مساعد بن سليمان الطيار- اثنتا عشرة طبعة.

١١- مدخل إلىٰ التعريف بالمصحف الشريف/ تأليف: د. حازم بن سعيد بن حيدر- طبعة واحدة.

١٢- شرح المقدمة الجزرية/ تأليف: أ.د. غانم قدوري الحمد- ثلاث طبعات.

١٣- الشرح الوجيز علىٰ المقدمة الجزرية/ تأليف: أ.د. غانم قدوري الحمد- سبع طبعات.

١٤- إقراء القرآن الكريم: منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه/ د. دخيل بن عبد الله الدخيل- طبعة واحدة.

١٥- منهج الاستنباط من القرآن الكريم/ د. فهد بن مبارك الوهبي- طبعة واحدة.

١٦- تعليم تدبر القرآن الكريم - أساليب عملية ومراحل منهجية/ تأليف: أ.د. هاشم بن علي الأهدل- أربع طبعات.

١٧- تفسير السلف: تاريخه وأعلامه ومصادره/ د. خالد بن يوسف الواصل- طبعة واحدة.

١٨- حلية أهل القرآن/ إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بالمعهد- ثلاث طبعات.

١٩- تجربة المقرأة الثانية في تعليم القرآن/ إعداد: الشيخ موسىٰ بن درويش الجاروشة- طبعة واحدة.

سلسلة الأدلة والكشافات:

١- دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية-١٤٣٢هـ.

٢- دليل أوعية تعليم القرآن الكريم- ١٤٣٤هـ.

٣- دليل الرسائل الجامعية في علوم القرآن- ١٤٣٧هـ.

٤- دليل مصنفات علوم القرآن المسندة المطبوعة- ١٤٣٩هـ.

٥- دليل أوعية تدبر القرآن الكريم- ١٤٣٩هـ.

٦- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن جرير الطبري- ١٤٣٩هـ.

٧- دليل الأعمال والدراسات العلمية المتعلقة بتفسير ابن كثير- ١٤٤٠هـ.

٨- دليل الأعمال العلمية المطبوعة المتعلقة بالمنظومة الشاطبية- ١٤٤٠هـ.

تطلعات معهد الإمام الشاطبي:

وضعنا رؤية تمثل ما نصبو إليه، وجندنا إمكانياتنا البشرية والتقنية واستعنَّا بأفضل الخبرات والاستشارات لتحقيقها وتنفيذ أهدافنا الاستراتيجية.

ونسير في المعهد إلىٰ المستقبل في مسار جلي وعزم أبي إلىٰ قيادة الابتكار في خدمة القرآن الكريم، راجين التوفيق من الله في تحقيق مطامحنا وتطلعاتنا.

- ابتكار برامج تعليمية جديدة تقوم علىٰ الذكاء الاصطناعي.
- نيل عدد من براءات الاختراع في تعليم القرآن وأساليبه وتقنياته المتقدمة.
- إطلاق تطبيقات نوعية في التعليم والتدريب وتصحيح التلاوة.
- تخريج أكثر من عشرة آلاف مستفيد سنويًّا.
- إجازة أكثر من ٢٠٠ قارئٍ وقارئة سنويًّا.
- استكمال المقررات الدراسية وتطويرها.
- القيام بأعمال بحثية علىٰ موسوعة التفسير المأثور كالاستدراك عليها واختصارها ودراسة موضوعاتها.
- السعي لترجمة إصدارات المعهد وتراثه العلمي إلىٰ عدد من اللغات.

مجلة تدبر





ملف تعريفي عن المجلة
باللغة الإنجليزية

Table of Contents

pers in the journal issues starts from six months to one year.

3- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

4- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

5- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

6- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

7- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

8- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

Thanks to Allah, Tadabbour Journal got the First Rank on the Arab level for (2021) in the Arab Citation & Impact Factor (ARCIF) among (79) journals in the domain of Islamic studies. In addition, the Journal got the (62 Repeated) rank among (877) journals in ARCIF

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.
- Romanizing references and sources at the end of paper in Latin letters according to the APA for citation.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The average period for arbitrating the paper varies from one to two months (30-60 days) and the period for publishing pa-

Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

  An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

  An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.
- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.
- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.
- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.
- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.
- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

4- The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

Consultative Committee

Editorial Board:

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

....
....

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

- **Mission:** To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.
- **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

Tadabbur Magazine

464 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

مجلة تدبر

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia

PO Box 7119

Medina 41462

+966 50 30 72 333

info@tadabburmag.sa

http://www.tadabburmag.sa

@tadabburmag

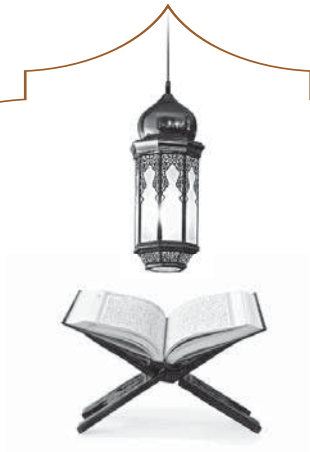
All contributions express their authors' views

Management and Operation

office khibrat tibah for research and studies

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur’an

Issue No. (13) Year 7 / Muharam1444 AH, corresponding to August 2022



TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (13) Year 7/ Muharam1444 AH, corresponding to August 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:



25 SR

1658-7642